مشرقية
معطيات
العدد 31 - نيسان - 2023
فصلية فكرية ثقافية تعنى بشؤون المشرق

الفهرس

فكر

من الحرب العالمية الثانية إلى الحرب الأوكرانيّة: أحداث ومفاجآت!! 3

د. إيلي جرجي الياس

الشعوبية صناعة عربية 57

د. هنادي أمين

المنية المكان المقصود اللقاء بين سيدنا موسى عليه السلام، وسيدنا الخضر عليه السلام 75

د. حسين حسن الدهيبي

لنجرؤ على اختراع المستقبل 93

الأب الياس زحلاوي

صراع الأسطولين العربي الإسلامي والبيزنطي على البحر المتوسط، والدهاء الحربي (معركة «ذات الصواري» أنموذجاً) 101

شيماء عليوي عبيد السعيدي

تاريخ رهن الأسهم عبر العصور 117

إعداد وتأليف: د. حسين حسن الدهيبي
د. مصطفى عثمان الأيوبي - أ. غالية فوزي
علم الدين - أ. آلاء خليل الشيخة

وسائل التربية الإيمانية لدى الأطفال والدعوة إلى توحيد الله تعالى 147

إعداد: علي حميد عايد - عيد عماش طلك

اتجاه معلمي التربية الإسلامية وأولياء أمور التلاميذ نحو العقاب البدني في المدارس الابتدائية 169

أنور لايق عبد الكريم اللافي

دلائل الإعجاز التربوي لآيات الحج في القرآن الكريم 203

سعد عوّاد بردي الحلبوسي - أبوبكر عزيز
سعد آل غازي الرفاعي العاني

أدب

ندوة مجلة «تحولات» حول كتاب الشاعر والأديب نعيم تلحوق«أرض الزئبق» 223

تقديم: ميشلين مبارك

كلمة ممثل معالي وزير الثقافة القاضي محمد وسام المرتضى 226

المحامي زياد بيضون

كتاب «أرض الزئبق» عالمٌ لا أحد سوى نعيم تلحوق يمتلك المفاتيح إليه 228

مردوك الشامي

«أرضُ الزّئبق» لنعيم تلحوق معناكَ هناكَ في أرضِ الذهبِ المصفّى 231

د. محمود حيدر

سرديَّة المعنى بين تأويليَّة الامتداد، وقصديَّة الارتداد 235

د. راغدة قربان

كلمة الأستاذ نعيم تلحوق 239

تحولات مشرقية

فصلية، فكرية، ثقافية، تعنى بشؤون المشرق والمنطقة

مجلة محكمة

المدير العام المسؤول: سركيس أبو زيد
abouzeid@gmail.com

مدير العلاقات العامة: أ. زاهر العريضي

هيئة التحرير

د. فاتن المر	أ. نجيب نصير
د. عاطف عطية	أ. الياس فرحات
د. حسن حماده	د. زهير فياض
أ. نصري الصايغ	د. محمود حيدر
د. علوان أمين الدين	د. لؤي زيتوني
أ. ستيفاني عويني	أ. سليمان بختي

سكرتير التحرير التنفيذي: هنادي شموط
info@tahawolat.net
هاتف: 841086 (71 - 00961)
صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان.
لبنان – بيروت – شارع عبد المنعم- بناية بلعة وقمند ط 4

الإخراج الفني: ZAID MAHDI

تصدر في طبعتين من فلسطين ولبنان
مدير عام طبعة فلسطين: سعاده مصطفى أرشيد
هاتف: 0599305248
صندوق بريد: 41 جنين – فلسطين

توزيع: شركة الأوائل لتوزيع الصحف والمطبوعات
بيروت – لبنان
هاتف: 666314 - 666668 - 1 - 00961
فاكس: 653260 - 1 - 00961

الاشتراك السنوي – لبنان
للأفراد: 50 دولار أمريكي أو ما يعادله
للمؤسسات: 100 دولار أميركي أو ما يعادله

الاشتراك السنوي – خارج لبنان
للأفراد: 100 دولار أمريكي أو ما يعادله
للمؤسسات: 200 دولار أمريكي أو ما يعادله

سعر المجلة 10 $ أو ما يُعادلها.

المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها

من الحرب العالمية الثانية إلى الحرب الأوكرانيّة: أحداث ومفاجآت!!(*)

د. إيلي جرجي الياس(**)

مقدّمة

الحدث الاستراتيجيّ وضمناً الجيوستراتيجيّ – الحرب الأوكرانيّة مثالاً – ينطلق من الزمكان المحـدّد، ويتمدّد أبعد من الزمان وأوسـع من المكان.... حتّى وكأنّـه يفتح أرض العمليّات العسـكريّة: البرّيّة والبحريّة والجوّيّة عـلى كافة الاتّجاهات الجغرافيّـة المحتملة، كما في حالة أوكرانيا، أوروبيّاً وآسيوياً وشرق أوسطيّاً ودوليّاً... حتّى وكأنّه يربط الزمان المعيّن كما بالنسبة لسنة الحرب الأوكرانيّة 2022، بالأبعاد الزمنيّة الممكنة: ماضياً وحاضراً ومستقبلاً...

والحدث الاسـتراتيجيّ يحتاج إلى قائدٍ رؤيويّ، وهو في خضمّ الحرب الأوكرانيّة، الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين: السـياسيّ المحنّك والعسـكريّ الجريء والاستخباريّ الداهية، الذي أقدم على خوض غمار هذه الحرب الاستباقيّة، معلناً إيّاها بما تحتاج إليه لتبيان أسبابها وتحديد مسـارها: الخطاب الاسـتراتيجيّ الموجّه حيناً والنخبويّ أحياناً والذي جاء على مرحاتين مترابطتين: خطاب مسـاء الإثنين 21 شباط 2022، وخطاب الحرب الخميس 24 شباط 2022.

(*) محاضرة ألقيتُها في الكليّة الحربيّة التابعة للجيش اللبنانيّ بتاريخ 14/ 11/ 2022.

(**) كاتب، وباحث اسـتراتيجيّ، وأسـتاذ جامعيّ، دكتور في التاريخ والديموغرافيا، ماجسـتير في المعلوماتية، ماجسـتير في الإحصاء، أسـتاذ محـاضر في الجامعة اللبنانية – كليـة الآداب – الفرع الثاني، وفي الجامعـة اللبنانية – معهد العلوم الاجتماعيـة – الفرع الثاني، وفي الجامعـة اللبنانية – معهد العلوم الاجتماعية – الفرع الرابع، وفي الجامعة اللبنانية – كلية إدارة الأعمال – الفرع الثاني، وفي جامعات خاصّة، رئيس رابطة خريجـي الجامعة اللبنانية – كلية العلوم – الفرع الثاني، باحـث لبناني في العلاقات الدولية والدبلوماسية وقضايا التسلّح.

وفي هذا الخطاب المتكامل، ضمن المرحلتين المذكورتين، فرضيّات دقيقة، تحتاج إلى التحليل المركّز، والتوثيق المعمّق، ولعلّ أبرزها:

- يقول الرئيس بوتين: «أوكرانيا ليست مجرد دولة مجاورة لنا، فهي جزء لا يتجزأ من تاريخنا وثقافتنا وفضائنا المعنوي. هؤلاء ليسوا رفاقنا وأقاربنا وزملاءنا وأصدقاءنا فحسب، بل هم أيضاً أقاربنا، تربطنا معهم صلة الدم وروابط عائلية. أبدأ من حقيقة أن أوكرانيا تأسست بالكامل من قبل روسيا، حتى من قبل روسيا البلشفية الشيوعية. بدأت هذه العملية فور ثورة 1917. عمل فلاديمير لينين وأصدقاؤه بشكل فجّ جداً ضد مصالح روسيا من خلال فصل جزء من أراضينا التاريخية وتمزيقها إرباً. وفيما يتعلق بالمصير التاريخي لروسيا وشعوبها، اتضح أن المبادئ اللينينية لبناء الدولة لم تكن مجرد خطأ، بل كانت أسوأ بكثير من خطأ. لقد أصبح هذا جليًا تماماً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991»[1]، **لماذا يصوّب الرئيس بوتين مباشرةً باتّجاه ملهم ومنظّر الثورة الروسيّة فلاديمير لينين، وكأنّ في قلب الثورة الروسيّة جبل من الأسرار والألغاز قادر أن يفجّر حقائق خطيرة وقاسية عن تلك الثورة المفصليّة في التاريخ العالميّ؟؟**

- يضيف الرئيس بوتين: «بعد أن تولى ستالين مناصب السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي التابع للبلاشفة ومفوض الشعب للشؤون الوطنية عام 1922، اقترح بناء دولة تقوم على مبادئ الحكم الذاتي، أي إعطاء سلطات واسعة للجمهوريات، والوحدات الإدارية والإقليمية المستقبلية، وضمان قيامها بأنشطتها في إطار دولة واحدة. ولاحقاً، انتقد لينين هذه الخطة وعرض تقديم تنازلات للقوميين، الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم الاستقلاليين. لقد ظهرت أوكرانيا السوفييتية نتيجة للسياسات البلشفية، لذلك ليس من الضير أن نطلق عليها اسم

(1) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة)، تم بثه مساء الإثنين 21 شباط 2022، وكالة الأناضول للأنباء، 23 شباط 2022.

أوكرانيا فلاديمير إيليتش لينين. لينين هو مصمم ومهندس تأسيس أوكرانيا. تم برهنة هذا بشكل واضح من خلال الوثائق الأرشيفية، بما في ذلك توجيهات لينين القاسية بشأن دونباس، والتي تم وضعها ضمن حدود أوكرانيا. والآن قام أحفاده الأشاوس بهدم تماثيل لينين في أوكرانيا. إنه لمن الطبيعي أن يتحول الإرهاب الأحمر والانتقال السريع إلى الديكتاتورية الستالينية وسيطرة الأيديولوجية الشيوعية واحتكار الحزب الشيوعي إلى بيان بسيط لنظام اقتصاد وطني. في الواقع، تحول كل هذا إلى بيان بسيط، شكلي من حيث المبادئ المعلنة، ولكن غير قابل للتطبيق في نظام الدولة. في الواقع، لم يكن للجمهوريات الاتحادية أي حقوق سيادية، فهي ببساطة لم تكن موجودة، لأنه في الممارسة العملية، تم إنشاء دولة مركزية بحتة. في الواقع، ومن الناحية العملية، طبق ستالين بالكامل أفكاره وعكسها على هيكل الدولة، ولم يتقيّد بأفكار لينين. ومع ذلك، لم يدرج التغييرات ذات الصلة في الوثائق المكونة للنظام، في دستور البلاد. لم يتم مراجعة المبادئ اللينينية المعلنة التي بني عليها الاتحاد السوفيتي رسميًا. نعم، يبدو أن ذلك لم يكن ضروريًا. ففي ظل نظام شمولي، كان كل شيء لا يزال يعمل وكل شيء بدا جميلًا وجذابًا وحتى ديمقراطيًا للغاية من الخارج.»[1]، **إلى أيّ حدّ يريد الرئيس بوتين الوصول إليه في تلميحاته المباشرة حول الخلافات السياسية والاستراتيجية بين الرفيقين فلاديمير لينين وجوزف ستالين، خصوصاً فيما يتعلّق بنشوء أوكرانيا البولشفية السوفياتية، برعاية لينينيّة خالصة؟**

– في خطاب 24 شباط إشارات صريحة أنّه استكمال أو تتمة لخطاب 21 شباط، ضمن مسار مرتبط لتحديد الأبعاد الجيوستراتيجية للعملية الأوكرانية الشاملة: «اسمحوا لي أن أبدأ بما قلته في خطابي في 21 فبراير (شباط) من هذا العام. نحن نتحدث عما يثير قلقنا بشكل خاص، حول تلك التهديدات الأساسية. خطوة وراء خطوة، تم إنشاؤها بشكل فظ وغير مسبوق تجاهنا، من قبل سياسيين غير مسؤولين في

(1) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

الغرب. أعني توسع كتلة الناتو شرقاً، وتقريب بنيتها التحتية العسكرية من الحدود الروسية.»[1]، وفي خطاب 21 شباط ربط تاريخيّ في المدى الروسّي السوفياتّي للأسباب المتعاقبة التي أدّت إلى القرار الروسيّ المركزيّ: «بعدها، وعشية الحرب الوطنية العظمى وبعدها، وحّد (جوزيف) ستالين بالفعل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، ونقل ملكية بعض الأراضي التي كانت في السابق تابعة لبولندا ورومانيا والمجر إلى أوكرانيا. في الوقت نفسه، وكنوع من التعويض، أعطى ستالين بولندا جزءاً من الأراضي الألمانية. وفي عام 1954 اقتطع خروتشوف لسبب ما شبه جزيرة القرم من روسيا ووهبها لأوكرانيا. في الواقع، بهذه الطريقة تشكّلت أراضي أوكرانيا السوفيتية. في منتصف الثمانينات، وعلى خلفية المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة، نمت الأزمة الواضحة للاقتصاد الشيوعي، ونمت معها بعض الطموحات والتطلعات غير المحققة لشعوب الاتحاد، فضلاً عن الشهية المتزايدة للنخب المحلية. اقتصرت قيادة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي على الحديث الفارغ عن استعادة المبدأ اللينيني لتقرير المصير، بدلاً من تحليل الوضع بعمق، واتخاذ تدابير مناسبة في الاقتصاد، وفسح المجال أمام التحول السياسي وإعادة هيكلة الدولة. وفي سبتمبر 1989، في الجلسة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الاشتراكي السوفياتي، تم تبني وثيقة حتمية تحتوي على ما يسمى بالسياسة الوطنية للحزب وفقًا للظروف المستجدّة. احتوت هذه الوثيقة على أحكام تنص على أن جمهوريات الاتحاد تتمتع بجميع الحقوق المقابلة لوضعها كدول اشتراكية ذات سيادة. كان انهيار الاتحاد السوفياتي، في الواقع، نتيجة محددة سلفًا وقبل عامين. الآن، وقبل كل شيء، ينسب الراديكاليون والقوميون في أوكرانيا إلى أنفسهم فضيلة نيل الاستقلال. وكما نرى، لم يكن الوضع هكذا على الإطلاق. لقد أدت الأخطاء التاريخية والاستراتيجية التي ارتكبها قادة البلاشفة

(1) إعلان الحرب على أوكرانيا: النص الكامل لخطاب بوتين، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، 24 شباط 2022.

في بنـــاء الدولة والسياســـة الاقتصادية والوطنية في أوقـــات مختلفة في ظل الحزب الشيوعي إلى تفكك الاتحاد الســـوفياتي. إن قضية انهيار روسيا التاريخية تحت اسم الاتحاد الســـوفيتي متروكة لضمائر أولئك القادة.»[1]، **لماذا يغمز بوتين، رغم التقييم المركّز، من قناة الزعيم ســـتالين؟ لماذا يحمّل الرفيقين نيكيتا خروتشيف وميخائيل غورباتشيف، مسؤوليات شـــاملة ومضاعفة؟ وكأنّه يعفي الزعيم ليونيد بريجنيف من المسؤولية، ويغضّ الطرف أيضاً عن الزعيم يوري آندروبوف، فلماذا؟**

– يفنّـــد الرئيس بوتين مراراً وتكراراً آلية انهيار الاتّحاد الســـوفياتي حتّى تبدّده يوم 25 كانون الأوّل 1991، وقيام الاتّحاد الروسيّ وباقة من الدول المستقلّة على هامش ذلك الانهيار الكبير!! «على الرغم من كل هذه المظالم والخداع والنهب الذي تعرضت له روسيا، إلا أن شعبنا اعترف بالحقائق الجيوسياسية الجديدة التي ظهرت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واعترف بالدول المستقلة حديثًا. ولم يعترف وحسب، بل قامت روســـيا الاتحادية نفســـها، رغم الموقف الصعب الذي كان سائدًا في ذلك الوقت، بمد يد العون للشركاء في رابطة الدول المســـتقلة بما في ذلـــك الزملاء في أوكرانيا، الذيـــن بدأوا يتلقون آنذاك عددًا كبيرًا من طلبـــات الدعم المالي منذ اللحظة الأولى للاســـتقلال. لقد تجاوب بلدنا مـــع هذا الوضع الصعب وقـــدّم لأوكرانيا الدعم اللازم، مرفقًا باحترام كرامة وسيادة أوكرانيا. لكن هذا ليس كل شيء. في نهاية عام 1991، بلغت التزامات ديون الاتحاد السوفياتي للدول الأجنبية والصناديق الدولية حوالي 100 مليار دولار. وفي البداية، كان من المفترض أن يتم سداد هذه القروض تضامنًا من قبل جميع جمهوريات الاتحاد الســـوفيتي السابق بما يتناسب مع إمكاناتها الاقتصادية. لكن روســـيا تعهدت بسداد جميع الديون السوفيتية ودفعتها بالكامل، واكتملت عملية الســـداد هذه عام .2017 جرى ذلك مقابل تخلي الدول المســـتقلة حديثًا عن حصتها من الأصول الأجنبية الســـوفيتية، وتـــم التوصل إلى اتفاقيات

(1) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

ثنائيــة في هذا الإطار مع أوكرانيا في ديســمبر 1994. ومــع ذلك، لم تصدّق كييف عــلى هذه الاتفاقيات ورفضت لاحقًا الامتثال لها. لقد بدأت كييف وقتها بالمطالبة بصندوق الماس واحتياطيــات الذهب، وكذلك الممتلــكات والأصول الأخرى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية السابق في الخارج.»[1]، ويمضي الرئيس بوتين إلى أبعد من ذلك، إلى دقّة المرحلة التي سادت قبل ومع وعقب انهيار الاتّحاد الســوفياتي: «من المعروف أننا على مدى 30 عاماً نحــاول بإصرار وصبر التوصل إلى اتفاق مــع دول الناتو حول مبــادئ الأمن المتكافئ وغــير القابل للتجزئة في أوروبا. وفي مقابل مقترحاتنا، واجهنا باســتمرار إما الخداع والأكاذيب الساخرة، أو محاولات الضغط والابتزاز، في حين أن حلف شــمال الأطلسي، في هذه الأثناء، رغم كل احتجاجاتنا ومخاوفنا، توسع باطراد. آلة الحرب تتحرك وأكرر أنها تقترب مــن حدودنا. لماذا يحدث كل هذا؟ من أين تأتي هــذه الطريقة الوقحة في التحدث من موقف الهيمنة والفوقية؟ من أين يأتي الموقف المستهتر والازدرائي تجاه مصالحنا والمطالب المشروعة المطلقة؟ الجواب واضح، كل شيء واضح. لقد ضعف الاتحاد السوفياتي في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، ثم انهار تماماً. إن مجمل الأحداث التي وقعت في ذلك الوقت تعد درســاً جيداً لنا اليوم؛ فقد أظهرت بشــكل مقنع أن شــلل القوة والإرادة هي الخطوة الأولى نحو التدهور الكامل. بمجرد أن فقدنا الثقة في أنفســنا لبعض الوقت، عانى ميزان القــوى في العالم من الاضطراب.»[2]، إلى إجابات الرئيس بوتين المباشرة، تطلّ أســئلة كثيرة وخطيرة برأسها، ومنها: **ما هي المخطّطات السرّيّة لحلف شــمال الأطلسي تجاه روسيا حين وبعد انهيار الاتّحاد الســوفياتي؟ ما موقف الرئيس بوتين من أسلوب حكم الرئيس بوريس يالتسن من خلال الكلمات ما بين السطور؟**

(1) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

(2) إعلان الحرب على أوكرانيا: النص الكامل لخطاب بوتين.

- أمّا بالنسبة للعلاقة بين الحراك القوميّ الأوكرانيّ والنازيّة الجديدة، فيمضي الرئيس بوتين محلّلاً: «إضافة إلى ما سبق، بدأت السلطات الأوكرانية ومنذ الخطوة الأولى في بناء دولتها، بإنكار كل ما يوحدنا. لقد حاولوا تشويه الوعي والذاكرة التاريخية لملايين الأشخاص الذين يعيشون في أوكرانيا، من جميع الأجيال. ليس من المستغرب أن المجتمع الأوكراني سرعان ما واجه صعود القومية المتطرفة، والتي اتخذت شكلًا عدائيًا ضد روسيا مع نزعة نحو النازية الجديدة. في الواقع لقد تحول ما سبق إلى مصدر يغذي انضمام القوميين الأوكرانيين والنازيين الجدد في العصابات الإرهابية في شمال القوقاز ورفع المزيد والمزيد من المطالب المتعلقة بالتراب الإقليمي الروسي. وفي هذا الإطار لعبت القوى الأجنبية دورها أيضًا، حيث وسعت شبكة عملائها وروجت لممثليها وأوصلتهم إلى السلطة في أوكرانيا بمساعدة شبكة كبيرة من المنظمات غير الحكومية والخدمات الخاصة.»[1]، **ما أهميّة تعريف النازيّة الجديدة وتحديد معاييرها؟ وما علاقتها بالشبكة النازيّة الأوكرانيّة المعلنة من قبل الروس؟ وما أوجه الشبه والعلاقة بين القومية الأوكرانيّة اليمينيّة المتطرّفة والنازية الجديدة؟**

- كما ويذكر الرئيس فلاديمير بوتين معطيات جديدة ونوعيّة: «إنهم، بالطبع، سيصعدون مع شبه جزيرة القرم، تماماً كما في دونباس من خلال عصابات القوميين الأوكرانيين، الذين ساعدوا هتلر، وقتلوا أشخاصاً عزل خلال الحرب الوطنية العظمى. الآن يعلنون صراحة أنهم يطالبون بجزء من الأراضي الروسية. يُظهر مجمل الأحداث وتحليل المعلومات الواردة أن صدام روسيا مع هذه القوات أمر لا مفر منه. إنها مسألة وقت فقط: إنهم يستعدون وينتظرون الوقت المناسب. الآن يزعمون أيضاً أنهم سوف يطورون أسلحة نووية. لن نسمح بذلك. إن نتائج الحرب العالمية الثانية، وكذلك التضحيات التي قدمها شعبنا على مذبح النصر على

(1) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

النازية، مقدسة. لكن هذا لا يتعارض مع القيم السامية لحقوق الإنسان والحريات، بناءً عــلى الحقائق التي تطورت اليوم على مدار جميع عقــود ما بعد الحرب. كما أنه لا يلغي حق الأمــم في تقرير المصير، المنصوص عليه في المــادة 1 من ميثاق الأمم المتحدة.»[1]، يســتطرد الرئيس بوتين قائلًا: «لقد تعرض السياسيون والصحفيون وممثلو المجتمع المدني للسخرية والإهانة علنًا. كما اجتاحت المدن الأوكرانية موجة من أعمال الشــغب والعنف، وسلســلة من جرائم القتل والإفلات من العقاب. من المســتحيل تذكر المأســاة الرهيبة التي وقعت في أوديسا دون الإصابة بالخوف والذعر، حيث تم قتل المشــاركين في احتجاج سلمي بوحشية وإحراقهم أحياء في مبنى النقابة. المجرمــون الذين ارتكبوا هذه الفظائع أفلتــوا من العقاب ولا أحد يبحث عنهم. لكننا نعرفهم بالاســم وســنفعل أي شيء لمعاقبتهم والعثور عليهم وتقديمهم للعدالة.»[2]، **لماذا يستذكر الرئيس بوتين الحرب العالمية الثانية، وأدولف هتلر، في ســياق الحرب الأوكرانيّة؟ وما أهمّ وقائع وحيثيات الصراع الطويل بين أوكرانيا وروسيا؟ وما هو المخطّط المباشر للنازية الجديدة والقومية الأوكرانية؟ وفي المقابل، تحديد الخطط الروسية البعيدة المدى انطلاقاً من أوكرانيا؟**

- يتناول الرئيس بوتين الأبعاد الاقتصاديّة للحرب الأوكرانيّة أيضاً: «ماذا حدث؟ لماذا يحدث كل هذا؟ الجواب واضح: لأن المهر المأخوذ ليس فقط من الحقبة الســوفيتية بــل وأيضًا من الإمبراطورية الروســية جرى تبديده وضــاع في غياهب الجيوب. لقد فقد الشــعب الأوكراني عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من الوظائف التي جرى إيجادها بفضل التعاون الوثيق مع روسيا والتي كانت توفّر للناس دخلاً ثابتًا وضرائب منتظمة تذهب إلى خزينة الدولة. لقد جرى تهميش صناعات مهمة مثل الهندسة الميكانيكية والإلكترونيات وبناء الســفن وبناء الطائرات ما جعل بعضها

(1) إعلان الحرب على أوكرانيا: النص الكامل لخطاب بوتين.

(2) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

يختفي تمامًا من الساحة الأوكرانية. في الواقع، حدث ذلك في بلد كان يشكل مصدر فخر ليس لأبناء شعبه فقط، بل للاتحاد السوفييتي بأكمله. في الواقع، كل ذلك يعود إلى حقيقة أن انهيار الاقتصاد الأوكراني كان مصحوبًا بالسطو المباشر على ممتلكات مواطني الدولة، وأن أوكرانيا نفسها كانت ببساطة تُحكم تحت وطأة سيطرة أجنبية.»[1]، **ما أهميّة الاقتصاد بالنسبة للحرب الأوكرانيّة؟ وما مدى تفاعل الاقتصاد الروسيّ مع هذه الحرب، وصمود الاقتصاد الأوكرانيّ، رغم ضراوة الحرب والعمليّات العسكريّة؟**

– كما يشير الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين إلى أبعاد عسكريّة نوعيّة في مدى الحرب الأوكرانيّة، والاستعدادات المتّخذة من الفريق الآخر: «مطارات عديدة في أوكرانيا نشر فيها طيران تكتيكي للناتو يمكن أن يضرب أراضينا وصولاً إلى فالغاغراد، كما تم نشر رادارات في أوكرانيا بإمكانها أن تسيطر على الفضاء الروسي حتى الأورال. كما تم نشر أسلحة وصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى يمكن أن تصل إلى 5 آلاف كيلو متر. إن نشر مثل هذه المنظومات في أوكرانيا يمكن أن يصيب كافة المواقع في الجزء الأوروبي وحتى الأورال في روسيا. قد تستغرق صواريخ توماهوك حوالي 35 دقيقة للوصول إلى موسكو، وبينها صواريخ قد تصل خلال 7 – 8 دقائق، فضلاً عن الصواريخ فرط الصوتية التي تصل موسكو خلال 4–5 دقائق. وأنا لا أشك أنهم يعولون على إنجاز هذه الخطة، كما قاموا في السابق أيضاً عندما توسع الناتو إلى الشرق وقربوا هذه المعدات إلى الحدود الروسية متجاهلين كافة مصالحنا واهتماماتنا...»[2]، وسط تطوّر المواجهات الاستخباريّة في المجال الحيويّ الروسّي: «اسمحوا لي أن أذكركم أنه في 2000 – 2005 قمنا بمواجهة عسكرية للإرهابيين في القوقاز، ودافعنا عن سلامة دولتنا، وأنقذنا روسيا. في عام 2014، دعمنا سكان

(1) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

(2) نص خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (وثيقة).

القرم وسيفاستوبول. ومنذ عام 2015. اعتادت القوات المسلحة على وضع حاجز موثوق به أمام اختراق الإرهابيين من سوريا إلى روسيا. لم يكن لدينا طريقة أخرى لحماية أنفسنا.»[1]، **فهل الحرب الأوكرانيّة جسر عبور بين أجيال الحروب، وصولًا إلى الجيلين الخامس والسادس؟ وهل يمكن أن تلامس الحرب الأوكرانيّة الحدود النوويّة المحرّمة دوليّاً؟**

وانطلاقاً من هذه المعطيات الكثيفة والمعلومات الغنيّة في خطاب الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين بمرحلتيه، تنبثق إشكاليّة هذا البحث العلميّ صريحة وساطعة: **ألا يصحّ دراسة الحرب الأوكرانيّة الجيوستراتيجيّة الحاليّة انطلاقاً من الأبعاد الزمنيّة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل؟ وإلى أين يمكن أن تصل هذه الحرب نهايات وتداعيات؟**

جدليّة العلاقة بين لينين وستالين في سياق مسار انبثاق قضيّة أوكرانيا.

يربط الرئيس بوتين نشأة أوكرانيا بالمدى الحيويّ الروسيّ، وحضورها بالذاكرة الشعبيّة والوطنيّة الروسيّة، ولكن يقدّم قيامها كدولة بمشروع محوره لينينيّ بشكلٍ خاصّ، أي أن للينين ملهم ومنظّر الثورة البولشفيّة مشروع شيوعيّ متكامل، وفي المقابل خطّة بديلة. ولا بدّ من البناء على العلاقة السرّيّة المكتشفة حديثاً بين رئيس الحكومة الانتقاليّة الروسيّة ألكسندر كيرنسكي والزعيم فلاديمير لينين!! «يوم 15 آذار 1917، يوم حاسم في حياة العائلة القيصرية الروسية، فقد استقال القيصر تحت تأثيرات ثورة شباط 1917 ومرضه المتفاقم... وفي حين تولّى الأمير جورجي لفوف رئاسة الحكومة الانتقالية بين 15 آذار و 21 تمّوز 1917، تنازل في يوم الحكومة الأخير لمصلحة وزير الحربية، القائد الثوريّ الطموح ألكسندر كيرنسكي!! استمرّ كيرنسكي في موقعه، حتّى أطاحت بحكومته ثورة أكتوبر الشيوعية يوم 7 تشرين الثاني 1917، وبرز إلى القيادة كلّ من فلاديمير لينين ورفاقه... كان كيرنسكي سيّد القرارات في المرحلة الأولى من الثورة، حتّى زمن الأمير لفوف، وبعد ذلك

(1) إعلان الحرب على أوكرانيا: النص الكامل لخطاب بوتين.

تولّى القيادة مباشرةً... وكان لينين، ينتظر دوره، إذا فشـــل كيرنسكي يوماً، وقد فشل!! أمّا ما كشـــفه إميل الخوري فعظيم: عهد شرفٍ بين الرجلين، جاري الطفولة ورفيقي الصبا، بضمانة والديهما الصديقين الصدوقين، واحترام متبادل وشامل، وإعجاب أكيد ومشترك، وإشـــادة أحدهما بالآخر، في السرّاء والضرّاء... وهكذا، حمى كيرنسكي رئيساً للحكومة الانتقالية لينين من الاعتقال، حتّى في أحلك الظروف وأصعبها!! كما أنقذ لينين كيرنسكي بعد نجاح ثورة أكتوبر البلشفية، وســـقوط الحكومة الانتقالية، وبرعايته غادر كيرنسكي البلاد واســـتقرّ أخيراً في باريس... ولعلّ لينين ردّ التحيّة مرّتين إلى كيرنسكي، مع وصول الأمير لفوف إلى باريس أيضاً، إثر هروبٍ غامضٍ ومفاجئ... هل حذّر كيرنســـكي لينين من طموحات ســـتالين وتهوّر تروتسكي؟ يبدو الأمر وارداً، وبقوّة!!»[1]، إذاً على ضوء ما أبرزه الصحفيّ اللبنانيّ العالميّ إميل الخوري، حول متانة العلاقة العائليّة بين كيرنســـكي ولينين وحذر الأخير من ستالين، يمكن التركيز على الخطّة البديلة للينين!!

ولكن، مجرّد أن يضيء الرئيس فلاديمير بوتين على الخلافات المســـتشرية في القيادة الثوريّة العُليا الروسيّة – السوفياتيّة، فدليل أنّ المواجهة الاستراتيجيّة بين لينين وستالين قد أخذت منحى أشـــدّ خطورة!! «لم نكن نعـــرف كلّ شيء... عبّر فلاديمير لينـــين، في هذه الجملة الصريحة، بما واجهته الثورة البلشفية من تحدّيات معقّدة ومواقف خطيرة!! فلاديمير لينين رجـــل النقاش والحوار بامتياز، بين مجموعات الثورة، مقدّماً نفســـه بصفة الثوريّ المنفتح ورجل الدولة الموجّه، وجد نفسه أمام اتّجاهين متناقضين: نظريات ليون تروتسكي الثورية الخام نسبةً إلى شخصية تروتسكي المتمرّدة، ورغبات جوزف ستالين العنيدة بضرورة إنشاء نظامٍ قويّ نســـبةً إلى رؤية ســـتالين التوتاليتارية.. وبينهما طوباوية لينين الثورية الفائضة، والتي انتقدهـــا الرئيس الروسيّ الحاليّ فلاديمير بوتين في معـــرض حديثه عن بقاء جثمان لينين المحنّط حيث هو!! تفاقم مرض لينين تباعاً بدءاً من ســـنة 1922، وهو نتيجة لمحاولة

(1) د. إيلي جرجي الياس: الكرملين من القيصر وكيرنسكي وراسبوتين، إلى تروتسكي ولينين وستالين: سلســـلة من الأحداث والأسرار والمفاجآت!!، الدراســـات الأمنية والقانونيـــة والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 91، تموز 2022، ص 77، 99، 100

اغتياله العنيفة في 30 آب 1918، وكان لينين شـــاهداً على وقوف ســـتالين خلفه بخطوات ثابتـــة، منتظراً موته بدهاءٍ اســـتثنائيّ، متحولاً تدريجياً من الصديـــق الصدوق إلى الخصم اللدود!! حاول لينين اســـتباق النهاية، محاولاً عزل ستالين من منصب الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشـــيوعي، لكنّ الموت داهمه قبل ذلك... لقد أزعج جوزف ســـتالين، في هذا المســـار نحو القيادة المحفوف بالصراعـــات والمصاعب والمخاطر، صديقه ومعلّمه ومرشد الثورة الشـــيوعية البلشـــفية، فلاديمير لينين، كثيراً... كما جعل القادة السوفيات مدركين في خاتمة المطاف، لما ينويه الرفيق ســـتالين صاحب الابتسامة العذبة، لمن يعترض طريقه نحو القمّة... لقد اســـتثمر جوزف ســـتالين كافة جوانب شخصيّته، ببراعة هائلة، فبين الابتسامات والمواجهات والتصفيات، هدف واحد: السلطة الكاملة والمطلقة!!»[1]، هل ســـاهم جوزف ستالين في مسار موت فلاديمير لينين المبكّر؟ يحتاج هذا المسار البحثيّ الخطير المتجدّد إلى المزيد من الوثائق، على ضوء اعتماد ســـتالين مسيرة قياديّة مستقلّة تماماً لاحقـــاً عن أفكار وطموحات وتوجيهـــات فلاديمير لينين، ولو أنّ قائـــد القوى الأمنيّة والاســـتخباريّة لافرينتي بيريا اســـتلهم حضور لينين، وخيانة ستالين المفترضة للينين، في محاولة غامضة للتخلّص من الزعيم جوزف ســـتالين نفسه!! «وبعد الحرب العالمية الثانية، وبتوجيه من القائد الســـوفياتيّ العامّ جوزف ستالين، تعززت مسيرة المخابرات السوفياتية برعايـــة الرجل الخطير لافرينتي بيريـــا، على محورين: داخليّ، بالقضـــاء على كل معارضة ممكنة أو محتملة، واستعمال القوّة المفرطة للسيطرة بشكل كامل على كل الدولة والحزب!! وخارجـــيّ، بالتصدّي الكامل لمشـــاريع المخابرات المركزية الأميركيـــة!! ولن يتغير هذا التوجّه حتى ولو تغيرت القيادة العليا، ومهما كان اســـم الزعيم: جوزف ستالين أو نيكيتا خروتشـــيف أو ليونيد بريجنيف.... ويبرز هذا التوجه العنيف في التخلّص من بيريا، بعد وفاة ســـتالين، ولعلّ بيريا ساهم في تسريع وفاة ســـتالين نفسه!!»[2]، وتالياً لا يمكن دراسة

(1) د. إيلي جرجي الياس: الكرملين من القيصر وكيرنسكي وراسبوتين، إلى تروتسكي ولينين وستالين: سلسلة من الأحداث والأسرار والمفاجآت!!، ص 88، 100.

(2) د. إيلي جرجي الياس: أوروبا تشـــتعل في خضمّ الحرب الباردة، الدراســـات الأمنية والقانونية والعلمية

تطوّر أوكرانيا كدولة ووطن وشعب، خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، وبعد ذلك خلال المراحل المتعاقبة من حياة الاتّحاد السوفياتي والاتّحاد الروسيّ، إلّا استناداً إلى الخلافات القياديّة السوفياتيّة المترابطة... `ذهب كيرنسكي إلى أبعد ما ذهب إليه الرئيس بوتين، وهو القائل: «أمّا لينين فقد عانى من ظلم الدهر والرجعية ما لم يعانه أحد من أمثالي.»[1]، هذه المعاناة خلقت مزيجاً من الدهاء والغموض خلف طوباويّة لينين المعلنة، فكانت خطّة لينين السرّيّة البديلة، والتي أسماها الرئيس بوتين: اسم أوكرانيا فلاديمير إيليتش لينين، منتقداً لينين بشدّة، وستالين حتّى لكونه تخطّى هذه الخطّة الخطيرة، فكانت أوكرانيا شوكة في خاصرة روسيا في قلب الاتّحاد السوفياتي، حتّى إذا جاء يوم وتبدّد النفوذ السوفياتيّ، ورثت روسيا مشكلة تاريخيّة أوكرانيّة مستعصية... لعلّ في وصيّة لينين لتروتسكي ما يفيد، إلّا أنّ ستالين حرص لاحقاً على التخلّص من رفيق دربه تروتسكي، تاركاً أوكرانيا تحت قبضة استخباراته المطلقة في أيّامه الأخيرة!!

مواقف القادة السوفيات والروس من تجلّيات القضيّة الأوكرانيّة.

لا بدّ قبل عرض مواقف القادة السوفيات والروس من تجلّيات القضيّة الأوكرانيّة، من عرضٍ محكم وشامل لهؤلاء القادة، وفهم نقاط التلاقي والتباعد بينهم، ومعرفة دقيقة بمسار حكمهم، وقدراتهم الاستراتيجيّة العميقة!! في مسار الثورة الروسيّة تبرز «ست شخصيات وفائض من الطموحات، لقاء أفكار واختلاف رؤىً وتباعد مصالح، في فترة زمنية حرجة وقلقة 1914 – 1924: القيصر نيكولاي الثاني ألكسندروفيتش رومانوف (18 أيّار 1868 – 17 تمّوز 1918)، وغريغوري يتفيموفيتش راسبوتين (21 كانون الثاني 1869 – 30 كانون الأوّل 1916)، وألكسندر فيودوروفيتش كيرنسكي (4 أيّار 1881 – 11 حزيران 1970)، وفلاديمير ألييتش لينين (22 نيسان 1870 – 21 كانون الثاني 1924)، وليف دافيدوفيتش برونشتاين – ليون تروتسكي (7 تشرين الثاني 1879 – 21 آب 1940)،

والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 80، تشرين الأوّل 2019، ص 151.

(1) إميل خوري: آثار أقدام، الجزء الثاني، دار النشر للجامعيين، 1956، ص 261.

وجوزف فيساريونوفيتش ستالين (18 كانون الأوّل 1878 – 5 آذار 1953).»[1]، ومنذ زمن الثورة الروسيّة حتّى اليوم، سلسلة من القادة والأفكار والطموحات، مترابطة حيناً ومختلفة أحياناً، في خضمّ مجال من الغموض الشديد، البنّاء تارةً والغريب تارة... «ثلاثة كبار، طبعوا التاريخ السوفياتيّ – الروسيّ الحديث والمُعاصر، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى: الزعيم السوفياتيّ الشيوعيّ القدير والمستبدّ الخطير جوزف ستالين، الذي يخامره الشكّ والقلق من كلّ رجاله المخلصين أو الطموحين، لكنّه يدير ظهره للفوهرر أدولف هتلر بكلّ ثقة، فيتلقّى طعنات الغدر منه، إلّا أنّه سيتصدّى للهجوم ثمّ للاحتلال النازيّ بكل إرادة صلبة وصمود أسطوريّ، وسيكتب له الانتقام من النازيين فرصةً للتعويض عمّا ارتكب في الداخل من حماقات وإعدامات!! والزعيم السوفياتيّ الآخر ليونيد بريجنيف، المتألّق في الحكم والسلطة وإدارة مفاصل القرار في الدولة بحنكة عالية وحكمة واضحة، ولو أنّه حيّر الأقربين والأبعدين بقدرته على إدارة الملفّات المعقّدة بسلاسة!! والرئيس الروسيّ العظيم، فلاديمير بوتين، العائد بروسيا التاريخية إلى ساحات القرار الدوليّ، بإمكانيات واسعة ورؤية ساطعة ومستقبل واعد، بفضل مهارة سياسية عالية وقدرات استراتيجية استيعابية نوعية!! وبين الثلاثة الكبار، من رسم الطريق كفلاديمير لينين، ومن تمّ التضحية بتعاليمه كليون تروتسكي، ومن أمّن المرحلة الانتقالية كنيكيتا خروتشيف، ومن لم يمهله الزمن الوقت الكافي كرجل الاستخبارات العنيد يوري أندروبوف، وخلفه كونستانتان تشارنينكو، ومن أضاع مجد الاتحاد السوفياتي عن قصد أو دون قصد، كميخائيل غورباتشيف، ومن مثله بدّد مجد روسيا، كبوريس يالتسن، إلّا أنّه أحسن في اللحظة التاريخية المنشودة، اختيار الوريث ليكون المنقذ الأكيد!! دون أن ننسى صديق بوتين الوفيّ، والرجل السياسيّ الهادئ، ديمتري ميدفيديف، رئيساً!!»[2]، وبين هؤلاء

(1) د. إيلي جرجي الياس: الكرملين من القيصر وكيرنسكي وراسبوتين، إلى تروتسكي ولينين وستالين: سلسلة من الأحداث والأسرار والمفاجأت!!، ص 73.

(2) د. إيلي جرجي الياس: الحرب الباردة تمتدّ والمواجهات الاستخباريّة تشتدّ (1975 – 1990)، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن،

جميعاً، من استفاد من تجارب القادة الذين سبقوه، فاستطاع أن يجمع خلاصة توجّهاتهم على اختلافاتها ونقاط الالتقاء إذا وُجدت، قبل أن يحسم قراراته الاستراتيجيّة!! وهو: «الرئيس الروسيّ الجريء والمقدام، فلاديمير بوتين، القادم من عالم الأمن والاستخبارات والمهمّات المحدّدة والدقيقة والناجحة، ومع إطلالته الساطعة والنوعية والرمزية رئيساً للاتحاد الروسيّ يوم 1 كانون الثاني 2000، سيدشّن مع انبثاق الألفية الثالثة تماماً، زمن الحرب الباردة الثانية، عبر مواجهة استراتيجية جديدة مع الأميركيين، ولكن من نوع آخر، بمعايير جديدة وأساليب تكنولوجية حديثة... لاستعادة الحضور الروسيّ الرائد بعد فترة من التراجع السياسيّ النسبيّ مع الرئيسين السوفياتيّ ميخائيل غورباتشيف والروسيّ بوريس يالتسن... وستبرز نتيجةً لذلك احتمالات عديدة وتبدلات هامّة!! لقد اتخذ الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين القرار الحاسم: عودة روسيا الاتحادية بقوّة إلى الساحات الدولية، ولو اقتضى الموضوع مواجهةً استخبارية حادّة مع الأميركيين خلال الحرب الباردة الثانية، بعدما كاد المشروع الأميركيّ بإنهاك روسيا ينجح في الفترة الممتدّة بين ولاية الرئيس السوفياتيّ الأخير ميخائيل غورباتشيف والرئيس الروسيّ الأوّل بوريس يالتسن... أحكم الرئيس فلاديمير بوتين قبضته الحديدية في الداخل، فأقصى مراكز القوى والمافيا الاقتصادية، وكلّ معارضة مدعومة من الغرب، وصولاً حتّى تجربة أليكسي نافالني... وعمل على حماية وصيانة المجال الحيويّ لروسيا: أعاد الشيشان إلى الحضن الروسيّ، ووضع حدّاً للطموحات الجورجية، وحاصر الأحلام الأوكرانية في مهدها فضمّ القرم – المنطقة الاستراتيجية – إلى روسيا، ووفّق بين أرمينيا وأذربيجان في سبيل المصلحة الروسية المطلقة، وتدخّل في سوريا فارضاً كلمته الفاصلة، على مسافة من الدهاء السياسيّ بين القدرات الإيرانية والطموحات السعودية والآمال التركية، وتفوّق حضوراً سياسياً واستخبارياً في البلقان، وبات الحاكم والحكيم والحكم، وكأنّه القيصر الروسيّ الجديد

العدد 86، نيسان 2021، ص 145. د. إيلي جرجي الياس: الحرب الباردة تمتدّ والمواجهات الاستخباريّة تشتدّ (1975 – 1990)، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 86، نيسان 2021، ص 145.

في مطلــع الألفية الثالثة...»[1]، وهكذا انفتحت طريق حســم قضيّة أوكرانيا أمام الرئيس القيصر بوتين، كما كان يشتهي...

وانطلاقــاً من تعريف هــذه الكوكبة من القادة الروس والســوفيات، من القيصر نيكولا الثاني، حتّى الرئيس فلاديمير بوتين الملقّــب بالقيصر، لا بدّ من عرض خلاصة أفكارهم وهواجسهم تجاه أوكرانيا، منذ مطلع القرن العشرين، حتّى يوم الهجوم الروسيّ الأخير على أوكرانيا:

على إثر إهمال متعمّد للقضيّة الأوكرانيّــة من قبل القيصر نيكولا الثاني وفريق عمله، لأنّ مشــاريع القيصر آنيّة وليست اســتراتيجيّة، ومع تردّد صدى نبوءة غريغوري راسبوتين، وبين تفاهم لينين وكيرنســكي السرّيّ من جهة، وتصاعد الانسجام بين لينين وتروتسكي في مقابــل تزايد الخلافــات بين لينين وســتالين، ومع اعتلال صحة لينــين تباعاً، صدق الرئيس بوتين في تقييمه: لقد زرع لينين أوكرانيا خاصرة رخوة في جســد مخطّطات ستالين المستقبليّة!! وإذا استطاع ســتالين، بفضل سلطته المركزيّة التوتاليتاريّة الجبّارة إبطال تركة لينين، إلّا أنّ ذلك ســيكون لفترة من الزمن لا غير، وقراءة ما بين ســطور خطابي الرئيس بوتين، تشــير إلى أنّ منح أوكرانيا القرم من قبل خروتشــيف، يأتي تشفّياً من ستالين بعد وفاته!! موقف خروتشيف غير الحاســم تجاه أوكرانيا، سيقابله موقفا الرئيسين السوفياتيّ الأخير ميخائيل غورباتشــيف، والروسيّ الأوّل بوريس يالتســن، في تجاهل كلّيّ للمسألة الأوكرانيّة المتراكمة، وســبل إيجاد الحلول الناجعة للخلافات المتواصلة ولو المخفيّة، بين موســكو وكييف... وقد تعمّد الرئيــس بوتين تحييد الزعيم بريجنيف عــن مجال التقييم، بريجنيف الأوكرانيّ المولد والروسيّ النشأة والسوفياتيّ الهوى، الذي وعى حجم تداعيات قضيّة أوكرانيا، وســيكون له مواقف حاسمة لجعلها مطواعة في محور الكرملين، بالتعاون

(1) د. إيلي جرجي الياس: ما بين تجلّيات الحرب الباردة الثانية وبداية الألفية الثالثة!!، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفســية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 89، كانون الثاني 2022، ص 100، 113، 114.

مع رئيس ال كـــي جي بي وقتذاك آندروبوف... كما كان للقيـــادة الأوكرانيّة العليا وصيّة باندیرا، كذلك للقيادة الروسيّة العليا وصيّة بريجنيف...

نهايـة جديدة للحرب العالمية الثانية. النازيّة الجديدة وعلاقتها بالقوميّة الأوكرانيّة.

انطلاقـــاً من حديث الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين الشـــامل، لا بـــدّ من تعريف مفهوم النازيّين الجدد في أوروبا وعبر العالم، ولو أنّ هـــذا التوجّه تابع حكماً لزمن النازيّة الهتلريّة المُبـــاشر، لما كان ثمّـــة داعٍ لإطلاق اســـم النازيّين الجدد عليهم!! كما يجـــب توثيق بعض التحديـــدات وتعريفها بشـــكلٍ مفصّل لربطها ضمن الأطر المطلوبة والمناســـبة: «**الحزب النازيّ الألمانيّ**: أو حزب العمال القوميّ الإشـــتراكيّ الألمانيّ، اليمينيّ المتطرف، هو وريث حزب العمال الألمانيّ. في 5 كانون الثاني 1919، قام آنتون دريكسلر والصحفي كارل هارير بتأســـيس حزب العمال الألمانيّ في ميونيخ. وفي سنة 1920 قام دريكسلر بتغيير اسم الحزب كـــما أوصى أدولف هتلر، المنتســـب حديثاً الى الحزب والأكثر اندفاعـــاً وجرأةً وحضوراً، من حزب العمال الألمـــاني إلى حزب العمال القوميّ الإشـــتراكيّ الألمانيّ (NSDAP). وفي ســـنة 1921، أصبح هتلر قائـــدا للحزب لما تمتع به من مهارات تنظيمية وقيادية اســـتثنائية وقدرة على الخطابة والحشد وأسر انتباه ومتابعة الجماهير! بينما بات دريكسلر رئيساً فخرياً للحزب، وسرعان ما نســـيه الجميع!. **المنظومة النازية العالمية والسرية**: تشـــكّلت المنظومة النازيـــة السرية مباشرةً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وهزيمة ألمانيا المعلنة، وحلّ الحزب النازيّ، وعلى ضوء المفاوضات المعقّدة والسرية بين النازيين والأميركيين! تشـــتّت الحزب النازيّ، بعـــد نهاية الحرب العالمية الثانية، في اتجاهين مســـتقلين ولكن يتكاملان: منظومة نازية عالميـــة وسرية، وريثة النازية الهتلرية، ذات جناح ســـياسيّ هامّ، وجناح عســـكريّ طموح وجـــريء وقوي... لقد بات ألبرت شـــبير، قائـــد الجناح الســـياسيّ للمنظومة، ورودولف هس المســـجون لمدى الحياة الرمز، وبرز الجناح العســـكريّ للمنظومة، وأبرز قادتـــه: راينهارد غيهلن، أدولف إيخمان، أنتي بافليتش، أوتو ســـكورزيني، ليون ديغريل،

كارلوس فولدنر، أوتو أرنست ريمر، ألويس براونر، والمختفيان الشهيران مارتن بورمان وهاينريش مولر.... وانتشرت عملياته الأمنية والعسكرية والاستخبارية، عبر أنحاء العالم! **النازيّون الجدد**: أول من سمّوا أنفسهم، النازيين الجدد، قادة مؤامرة 20 تموز 1944، أي عملية فالكيري، وفي مقدمتهم الكولونيل كلاوس فون ستوفنبرغ بطل العملية الرئيسيّ، والذين حاولوا اغتيال الفوهرر، والتخلص من نظامه، سعياً لإحلال السلام مع الحلفاء، وإنهاء الحرب العالمية الثانية وإنقاذ ما تبقّى من ألمانيا، وتسليم القيادة الى شخصية عسكرية نازية معتدلة ومقبولة من الشعب الألمانيّ ومن العالم، كالماريشال إيروين رومل! يحاول النازيون الجدد في أيامنا الحاضرة، عبر الانتخابات في أوطان ومجتمعات عديدة، في أوروبا وفي العالم، البروز والتقدّم ضمن إطار اليمين المتطرف، وبتنسيق قوي وثابت بين الأحزاب الفاشية والنازية واليمينية المتطرفة! **الحزب القوميّ الألمانيّ**: أوتو أرنست ريمر، الذي ساهم في إفشال عملية 20 تموز 1944 فالكيري، لاغتيال الفوهرر، يعتبر بعد الحرب العالمية الثانية، الأب الروحيّ لإحياء النازية! سنة 1950، ساهم في تأسيس حزب قوميّ يمينيّ متطرف: حزب الرايخ الاشتراكيّ الألمانيّ، وقد منع لاحقاً، سنة 1952! وسنة 1993 صدرت بحقّه مذكّرة توقيف من السلطات الألمانية، فهرب الى إسبانيا! هو مرشد القوميين النازيين بامتياز، حتى وفاته في إسبانيا، سنة 1997! **منظمة أوديسا**: أسّسها القائد النازيّ أوتو سكورزيني، بعد الحرب العالمية الثانية، وهي منظمة قدامى الأس أس، التي تكفلت بالتصرف في أموال وممتلكات أعضاء الأس أس، وتأمين حياتهم المستقبلية! كما وتهريبهم من أوروبا الى عدة بلدان في العالم وبالأخصّ في أميركا الجنوبية! تعاونت منظمة أوديسا، مع القائد النازيّ كارلوس فولدنر، المكلّف من الرايخ الفوهرر أس أس هاينرايش هملر بعملية في الطريق الى الخارج، لتهريب كبار القادة النازيين الى أميركا الجنوبية خصوصاً! **منظمة غيهلن**: هي واجهة التعاون الطويل والنوعيّ والمعقّد، بين النازيين والمخابرات المركزية الأميركية سي أي إيه! أسّسها القائد الألمانيّ النازيّ، ثمّ الأميركيّ، الاستخباريّ بامتياز، الجنرال الداهية راينهارد غيهلن (1902–1979)، القامة الاستخبارية المتفوقة في مجال الأمن والتحليل والرصد والمتابعة، رئيس وحدة الاستخبارات الألمانية النازية

المضادة للروسية تحت حكم الفوهرر أدولف هتلر (1942–1945)، رئيس منظمة غيهلن المناهضة للشيوعية في الولايات المتحدة الأميركية (1946–1956)، ومنسقٌ رئيسيّ مع المخابرات المركزية الأميركية، ال سي أي إيه، وأحد مؤسسيها البارزين، وأوّل رئيس لجهاز الاستخبارات الفيدراليّ في ألمانيا الغربية (1956–1968)، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، وأثناء الحرب الباردة. وفيما بعد، بعد تولي الجنرال غيهلن قيادة المخابرات الألمانية الغربية، دمجت منظمة غيهلن ضمن المخابرات الألمانية الغربية!.»[1]، إذاً يمكن على ضوء هذا العرض الشامل، فهم مسار انبثاق مسيرة النازيّين الجدد، بطريقة مستقلّة ومترابطة في آن مع الحزب النازيّ الهتلريّ السابق!!

ولمزيد من الإحاطة بالموضوع، لا بدّ من العودة إلى مسألة اغتيال الفوهرر أدولف هتلر المحوريّة يوم 20 تمّوز 1944، عمليّة فالكيري!! «لم يضيّع هملر الفرصة، فبينما معركة الغرب دائرة بقوّة، استغلّ زيارة هتلر الى الغرب، ليحاول التخلّص منه بواسطة صاروخ ف 1، أضاع هدفه، وسقط قريباً من مقرّ قيادة الفوهرر، في 18 حزيران 1944، وقد شعر هتلر أنّها عملية اغتيال لا يمكن أن تتمّ إلا بدعم استخباريّ وخيانة داخلية، وقد استعدّ هملر جيّداً للخيار البديل، فأقنع هتلر أنّ رومل هو الفاعل، استناداً لمعارضة رومل الجريئة لتوجهات القيادة العليا في معركة الغرب، ولإعلانه جهاراً ضرورة إحالة جريمة أورادور–سور–غلان ومرتكبيها الى القضاء، وهذا ما عارضه هتلر بشدّة! وأتت عملية فالكيري في 20 تموز 1944، لاغتيال هتلر والانقلاب عليه، لتؤكد مخاوف هتلر ورغبات هملر بالتخلّص من مراكز القوّة العسكرية والاستخبارية والإدارية! وسهّلت على هملر إخفاء معالم عملية 18 حزيران 1944، وصبّ جامّ غضب هتلر على رومل الذي إن عارض الفوهرر يوماً فعلناً وبكلّ جرأة! وبفضل الانتقام الواسع الذي تولّاه هملر، تمّ التخلّص من كل معارضي هتلر وهملر والنظام النازيّ ولكن أيضاً من بعض أصدقاء هتلر المخلصين والراغبين بإنهاء

(1) د. إيلي جرجي الياس: الدولة النازية في أميركا الجنوبية مفاجآت هائلة في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، دار سائر المشرق، بيروت، أذار 2020، ص 101، 102، 103.

الحرب بطريقة مشرّفة كرومل!»[1]، هي اللحظة التاريخيّة المفصليّة والمحوريّة، التي يُمكن رسمها كما يلي: بينما أوتو أرنست ريمر القائد الثاني في عمليّة فالكيري، بعد الكولونيل كلاوس فون ستوفنبرغ، واقفاً أما وزير الدعاية جوزف غوبلز المستعدّ للانتحار، ممسكاً بسمّاعة الهاتف الذي سلّمه إيّاه غوبلز، متواصلاً هاتفيّاً مع الفوهرر نفسه، الذي طالبه بإنقاذ ألمانيا الأمّ، فأدرك أنّ هتلر على قيد الحياة وأنّ عمليّة فالكيري قد فشلت، وكأنّه على الأذن الأخرى يتذكّر كلمات فون ستوفنبرغ المعبّرة: يجب على أحدنا أن يكمل المسيرة، فاتّخذ ريمر القرار الحاسم، وانبثقت مسيرة النازيّة الجديدة، وقد نجح الممثّل الأميركيّ طوم كروز في إيصال تلك الفكرة عبر فيلم فالكيري 2008!! لتتصالح لاحقاً النازيّة الجديدة مع فكرة مرجعيّة هتلر وهتلر وحده، بينما قرّر الفوهرر في مشهديّة أخرى أن يغيب عن الأنظار!! «مع مرور السنين، تتعزز فرضية إريك فراتيني: لقد هرب الفوهرر أدولف هتلر وحبيبته وزوجته إيفا براون، على متن طائرة هانا رايتش! وقد رتّب المستشار ألبرت شبير القضية، وغطاها وأمّن لها الوقت الكافي، فوهرر الرايخ الرابع، خليفة هتلر، الأميرال كارل دونيتز! وقد انتهى المطاف بأدولف وإيفا الى حياة عائلية جديدة وهادئة، في أميركا الجنوبية، ويرجح أن يكون ذلك في الأرجنتين!»[2]، ولتصويب آلية احتمال الهروب الكبير لأدولف هتلر إلى الأرجنتين، ورفد هذه الحكاية بالمعلومات الضروريّة والمعطيات المنطقيّة، لا بدّ من إيراد مسار شامل لهذا الهروب: «**23 نيسان 1945**: نشر غوبلز في الصحف وعلى الإذاعة خبراً رئيسياً أن الفوهرر سيبقى في برلين ليشرف على الدفاع عنها!. **23 نيسان 1945**: حطّ ألبرت شبير بطائرة خفيفة أمام باب براندبورغ وحضر الى مبنى المستشارية الذي كان هدفاً لنيران المدفعية السوفياتية المتقطعة. يبدو أنّه حاول، بطلب من إيفا، إقناع هتلر بالخروج من برلين، لكنّ الفوهرر رفض وأصرّ على البقاء! لم يمكث شبير في برلين

(1) د. إيلي جرجي الياس: الدولة النازية في أميركا الجنوبية مفاجآت هائلة في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، ص 26.

(2) د. إيلي جرجي الياس: أدولف هتلر وإيفا براون من برلين إلى الأرجنتين حب أقوى من الحرب، دار سائر المشرق، بيروت، أذار 2019، ص 90.

طويلاً، قبل أن يغادرها الى هامبورغ!. **24 نيسان 1945**: في رسالته الى الماريشال فرديناند شورنر، كتب هتلر: يتوجب عليّ البقاء في برلين، لكي أشارك بشكل مشرف في المعركة الحاسمة لأجل ألمانيا، ولكي أكون خير مثال لكل الباقين. مما يؤكد إصرار هتلر الكامل على البقاء في برلين حتى اللحظة!. **25 نيسان 1945**: تمّ تطويق العاصمة برلين بالكامل من قبل القوات السوفياتية مساءً!. **26 نيسان 1945**: حضرت بطلة الطيران الألمانية النازية الوفيّة لهتلر، هانا رايتش، وزوجها الجنرال في سلاح الجوّ الألمانيّ روبرت ريتر فون غرايم، بطائرة فيزلرستورك أف إي 156 إلى برلين مساءاً في عملية بطولية واستثنائية وسط مخاطرة كبيرة! كان الهدف من زيارة هانا، نقل أولاد غوبلز الستة من برلين الى مكان آمن في ألمانيا!. **27 – 28 نيسان 1945**: اكتشفت الخيانة الكبرى: خيانة الرايخ فوهرر أس. أس. هاينرايش هملر، بسبب تورّطه في مفاوضات متقدمة ومعقّدة مع الأميركيين بغير علم هتلر! وساهم ممثل هملر لدى هتلر، في القيادة النازية العليا، زوج غريتل شقيقة إيفا براون، هرمان فغلاين، بقوّة في هذه المفاوضات! فصبّ الفوهرر جامّ غضبه على هملر وفغلاين الذي تورّط كما يبدو أيضاً، وبأمر من هملر، بمحاولة اغتيال هتلر الأخيرة والفاشلة، عبر التفكير بضخّ غازٍ سام في مجاري التهوئة في المعقل، والتي تبناها شبير لاحقاً لإنقاذ نفسه أمام محاكم نورمبرغ!! عيّن هتلر فون غرايم زوج هانا مكان غورنغ قائداً لسلاح الجوّ (27 نيسان)، كما كلّفه باعتقال هملر، الذي كان أقاله أيضاً وعيّن مكانه على رأس الأجهزة الأمنية القائد النازيّ كارل هانكه (28 نيسان)! غادر فون غرايم برلين بطريقة غامضة برّاً، لتنفيذ مهمّته! في ساعة متأخرة من ليل 28 نيسان، ذهب بضعة رجال شرطة من قسم أمن الرايخ للمجيء بفغلاين. ما أن تقدموا عدة أمتار في الممر، حتى شهر أحد الحراس عليه رشاشه وأطلق رشقة من الرصاص في ظهره!. اتخذ هتلر قراره المفاجئ: تحقيق أمنية إيفا، المدعومة من هانا رايتش وماغدا غوبلز، بإنجاز الهروب الكبير من برلين الى الأرجنتين. **28 – 29 نيسان**: ليلاً: بعد أن عقد هتلر كالعادة إجتماعه الأخير ووزّع الأدوار الضرورية، اتخذ مبادرتين جديدتين: تزوج من إيفا براون بحضور الموجودين، وأخذ بعد ذلك يملي وصيته السياسية. **28 – 29 نيسان**: ليلاً: غادرت برلين بطائرة أرادو أر 96، برفقة أدولف هتلر وإيفا براون،

حسب فرضية إريك فراتيني والمسارّ البحثيّ العالميّ الحديث، في رحلة الهروب الكبير من برلين! الطيارة هانا رايتش نقلت هتلر وإيفـــا إلى مدينة ماغديبورغ التي تقع على بعد 150 كلم غرب العاصمة برلين. **29 نيسان – 1 أيار 1945**: وزير الدعاية الألمانيّ النازيّ، صديق هتلـــر الصدوق، جوزف غوبلز، فوهرر الرايخ الرابع لثلاثة أيام! وفي هذه الأثناء، أوصل طيار متمرس من ســـلاح الجو الألماني يدعى إريش بومغارت، الفوهرر وزوجته إلى مدينة توندر الدانماركية! المصدر الرئيسي الذي أســـس لهذه الفرضية كان ضابطاً رفيعاً في جهاز الأمن الخاص لهتلر، اســـمه فريديريش فون أنكلوتي–ماكنسن، الذي أعلن في استجواب سابق أنه التقى بالدكتاتور الألماني شخصيا وسلم عليه مباشرة قبل ركوبه، رفقة صديقته، الطائـــرة التي قادها بومغارت! يبدو أنّ بومغارت نفســـه قاد هتلر وإيفا وفريق عمل محدّد جوّاً من توندر الى مدريد! ويرجّح أن هتلر فور وصوله قابل الكاوديو الجنرال فرانسيسكو فرانكو حاكم إسبانيا المطلق!. **30 نيســـان 1945**: عين فوهرر الرايخ الثالث هتلر، حسب وصيته، الاميرال كارل دونيتز، رئيســـاً للرايخ وقائداً لقوة الدفاع، الفيرماخت. وقد بات دونيتز فوهرر الرايخ الرابع حكماً! كما عيّن الماريشـــال فرديناند شورنر قائداً عامّاً للجيش الألمانيّ!. **1 أيار 1945**: إنتحر جوزف غوبلز في برلين مع زوجته ماغدا وأولادهما الستة... وقبل انتحاره، حرص غوبلز أن يشـــهد على إنجاز عملية انتقال غامضة لروؤس أموال في ألمانيا وربّما في ســـويسرا، كما يبدو لمصلحة هارالـــد غواندت، إبن ماغدا غوبلز من زوجها الســـابق رجل الأعمال غونتر غواندت، والإبن الروحيّ لجوزف غوبلز!. **2 أيار – 23 أيار 1945**: عهد حكومة فلينزبـــورغ، بقيادة الأميرال كارل دونيتز، الـــوفيّ للفوهرر، والذي سيشرف ضمن مسؤولياته على عملية الإنتقال بحراً بواسطة الغواصات لهتلر وإيفا وفريق عمله، من إســـبانيا الى الأرجنتين! بينما أشرف، مستشار دونيتز وحكومته، ومستشار هتلر وإيفا، المهندس الداهية ألبرت شبير على عملية المفاوضات المعقّدة والغامضة بين النازيين والأميركيين، وعلى إنجاز المعاملات المالية الضرورية في ســـويسرا، مكلّفاً من هتلر طبعاً، لتأمين الأموال المخصّصة لعملية الهروب الكبير! وحسب فراتيني، ضمن الوثائق الأخيرة التي أفرجت عنها جهاز إف.بي.آي حديثاً، إحداها تؤكد بأن الحكومة الأمريكية كانت قد

رصدت الغواصة المشـــتبه نقلها لهتلر فور مغادرتها لباقـــي وحدات البحرية الألمانية وهي تســـلك اتجاهاً غريباً، لكنها لم تفعل شيئا، ويبدو هذا الاتجاه الى أميركا الجنوبية مستقراً. كما تشـــير هذه الوثيقة إلى كون أجهزة الاستخبارات الأمريكية كانت تعلم أن هتلر يعيش مع إيفا متخفيا في ســـفوح جبال الأنديز الأرجنتينية، وتحديداً في إينالكو في باتاغونيا، دون أن تحرك ساكناً! ويرجّح أن هتلر فور وصوله الى الأرجنتين، قابل الجنرال خوان بيرون رئيس الجمهوريـــة الأرجنتينية الجديد والملقّب بفوهرر أميركا الجنوبية!. **7 ايار 1945**: استســـلم الالمان في رامس، دون تغطية إعلامية إكراماً للرئيس الســـوفياتيّ جوزف ســـتالين. تشكّل الوفـــد الالماني من جودل وفريدبورغ والقائد الألمانيّ ويلهلم أوكســـينيوس. **9 ايار 1945**: استســـلم الالمان في برلين بحضور كبار قادة الحلفاء، وكان الوفد الالماني الذي وقّع وثيقة الاستسلام مؤلفاً من الماريشـــال كايتل رئيساً، الاميرال فون فريدبورغ موقعاً عن البحرية الالمانية، والجنرال هانز جورجان شـــتومبف موقعاً عن الطيران الالماني، ممثلاً الماريشـــال الجريح فون غرايم. **23 أيار 1945**: شـــهد هذا اليوم حدثين بارزين، ففي ذلك اليوم انتحر هاينرايش هملر، بطريقة غامضة، وأقال الحلفاء رســـمياً حكومة الأميرال كارل دونيتز أي حكومة فلينزبورغ!»[1]، ســـاعد الأميركيّون في هذا المســـار الدقيق والمعقّد بطبيعة الحال، وراقب السوفيات تطوّرات القضيّة ليستفيدوا منها في المستقبل الآتي، خصوصاً بعدما تمّ حســـم مســـار أنّ جثّة الفوهرر المُفترض مُنتحراً حســـب الرواية الرســـميّة التي فقدت مصداقيّتها، ليســـت في روســـيا ولا في أيّ مكان آخر!! «ويحكي الســـوفيات بأنهم عندما دخلوا قبو مبنى الاستشـــارية الألمانية وجدوا هتلر ميتاً بعـــد إقدامه على الانتحار، فقاموا بنقل جثمانه على وجه السرعة إلى موســـكو. في الحقيقة، لم ير جثة هتلر غيرهم ولم يســـتطع أحد رؤيتها بعدهم، حتى سنة 2009 عندما ســـمحت سلطات روسيا لعالم آثار أمريكي، يدعى نيكولاس بيلاتوني، بإجراء فحوصات الحمض النووي على أجزاء من جمجمة هتلر للتأكد من هويته. النتائج كانت صادمة للكل، تعريف الحمض النووي للجمجمة المفترضة

(1) د. إيلي جرجي الياس: الدولة النازية في أميركا الجنوبية مفاجأت هائلة في الأشـــهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، ص 48، 49، 50، 51.

لهتلر لا يطابــق مثيله لأفراد عائلته ولا لأفراد عائلة إيفا بــراون!!»[1]، وهذا ما يفتح هذا المسار الخطير أمام مزيد من المفاجأت المذهلة والمعطيات المترابطة...

لأكثر من ســبب استراتيجيّ، وللاســتفادة من الخبرات العســكريّة لكبار القادة الألمان، ومن المعلومات السرّيّة لكبار رؤســاء الأجهزة الاستخباريّة النازيّة وفي مقدّمتهم الجنرال راينهارد غيهلــن، ولكبار العلما، الألمان وفي مقدّمتهم عالم الصواريخ الشــهير فيرنر فون براون، وعلماء الذرّة والأطبّاء والمهندســين، ولتفادي اســتعمال الفوهرر ســلاح الدمار الشامل البيولوجيّ، تورّط الأميركيّون في مسار الاستفادة من القدرات الألمانيّة الجبّارة!! «وهكــذا كان مصير القادة الالمان مع نهاية الحرب العالميــة الثانية، مصيراً قيّد له أن يكون محتوماً فبات غريباً! لقد اســتطاعوا بلا شــك أن يتوقعوا مسبقاً الحرب الباردة فلعبوا على تناقضاتها قبل أن تحدث! فاختاروا الجانب الغربي وربما لم يكن ذلك محض صدفة بل ضمن خطــة سرية وغامضة!»[2]، وكان تورّط الأميركيّين مكلفاً وباهظاً، ولو أنّه أفادهم على كلّ المستويات!! «إســتبعد الاميركيون البريطانيين والفرنسيين من أية مفاوضات مرحلية مع النازيين، ولعلهم تعلموا من أخطاء فرنسا وبريطانيا السابقة، ليكون هدفهم بعد الحرب، استيعاب الالمان لمعســكرهم وفي المقابل مكافحة النازية وإنهاءها وإلغاءها من النصوص والعقول ولا هم عندهم كيف يتأطر النازيون الســابقون؟! وقد اســتفاد الاميركيون من الضغوطات الســوفياتية ورفضهم القاطع لأي شكل من أشــكال التفاوض، بأن جعلوا مفاوضاتهم مع النازيين سرية الى أقصى الحدود، حسب الحاجة وحسب الظروف، غامضة الى درجة كبيرة، وبعيدة عن الدعاية والاعلام!! واســتفاد الاميركيون من النازيين بحصة

(1) د. إيــلي جرجي الياس: لغز اختفاء أدولــف هتلر، قراءة جديدة وتحليل علمي، الدراســات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفســية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 71، تموز – آب – أيلول 2017، ص 145.

(2) د. إيــلي جرجي الياس: مصير القادة الألمان بعد 1945 وأثرهم على تكوين أجهزة المخابرات العالمية، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 72، تشرين الأول – تشرين الثاني – كانون الأول 2017، ص 108.

الاســد: العلماء والباحثين والاطباء والمهندسين وكبار الاســاتذة وأهم الجنرالات وأبرز رجال الامن والمخابــرات.... وباتت المانيا الاساســية التي دعيت غربية، والمســتوعبة أميركياً، تــدور حكماً في الفلك الاميركي!! أما النازيون، فذلك يشرح ولو بشــكل عام، ألغاز اختفاءهم وهروبهــم والاحكام المخففة على بعضهم في محاكم نورمبرغ وســواها، وحفاظهم عــلى الاموال واللوحات والاثار والوثائــق المسروقة والموضوعة في مصارف ســويسرا والعالم...»[1]، وأكثر من ذلك، فالحاجة إلى الألمان قد تكون أكبر، حسب الحاجة لإنهاء الحرب العالمية الثانية، في الشرق الأقصى!! «شراســة اليابانيّين في الدفاع عن اليابان – الوطن الأمّ، تاريخيّة وغير مســبوقة!! هل تدوم الحرب العالمية الثانية لســنين أخرى؟! لو ترك القــرار الأخير والنهائيّ للشــعب اليابانيّ، لاختار القتال حتّــى الرجل الأخير، دليل وفاء مطلق وولاء كامــل للإمبراطور اليابانيّ هيروهيتو!! وعلى ضوء هذه المعطيات الخطيرة والمعقّدة، فلا حلّ إذاً أمام الأميركيّين، إلّا باســتعمال القنابل الذرّيّة، وهكذا كان: الولد الصغير على هيروشيما (6 آب 1945) والرجل السمين على ناكازاكي (9 آب 1945)، وعدد هائل من الضحايا لن يُعلن كاملاً حتّى اليوم – ولو بعد مرور أكثر من 75 عاماً على نهاية تلك الحرب – مع دمارٍ شــامل ورهيب!! ورغم ذلك، لن يكون استســلام اليابان ســهلاً أبداً، مع رفض الشعب للأمر الواقع، واســتعداده للموت جماعيّاً في سبيل الوطن والأمّة والإمبراطور!! وفي 2 أيلول 1945، استســلمت الإمبراطوريّة اليابانيّة للأميركيّين والحلفاء الغربيّين تالياً، ولو بغير رضا من الزعيم الســوفياتيّ جوزف ســتالين، وبمسعى شــخصيّ من الإمبراطور اليابانيّ هيروهيتو بطبيعة الحال، وخلف ســتارة الغموض البنّاء ثمّة تفاهــم ضمنيّ بين الإمبراطور هيروهيتو والجنرال الأميركيّ الفذّ دوغلاس ماك أرثر الباحث عن فرص السلام الأخيرة والحاسمة، في سبيل تكريس انتصار الولايات المتّحدة الأميركيّة، وزعامتهــا القويّة والثابتة!! ومــن المُفترض أنّ الولايــات المتّحدة الأميركيّة

(1) د. إيــلي جرجي الياس: المفاوضات السرية التي أنهت الحرب العالميــة الثانية في أوروبا، بين الوقائع والحقائق والفرضيات، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 73، كانون الثاني – شباط – آذار 2018، ص 64.

باســتعمالها القنبلتين الذرّيّتين ضدّ اليابان، جعلت موقــف الإمبراطور هيروهيتو يطغى على ســلطات أمراء الحــرب اليابانيّين...»[1]، وهكذا أصبحت الحاجــة إلى الألمان – ولو نازيّين – مضاعفة ومرغوبة بشــدّة من الأميركيّين!! «ولكن مجرّد إلقاء القنبلتين الذرّيتين على الأراضي اليابانيّة، مفاجأة من العيــار الثقيل!! وهكذا أصبح كلّ شيء جاهزاً لولادة القنبلة الذرّية – هذا مع أن أحداً لم يكن يعلم بعد ما إذا كانت مجرّد خرافة. إلّا أنّ مســألة ثانويّة قد عُرضت: أيصحّ استخدام هذه القنبلة ضدّ اليابان، وقد صمّمت في الأساس ضدّ ألمانيا؟ وانطلاقاً من ذلك، احتمالات المفاوضات حول إنتاج القنبلة الذرّية، بين الأميركيّين والنازيّين – ضمن مفاوضات شــاملة محتملة – في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، في ســويسرا، عبر التواصل غــير المُباشر مع عالم الذرّة الألمانيّ وارنــر هايزنبرغ!! وتتوالد الأسئلة وتترابط وتتشابك: هل اســتفاد الأميركيّون من التجارب الألمانيّة لإنتاج القنبلة الذرّية التي استُعملت في اليابان، فساهمت لاحقاً في صنع السلام بين الإمبراطور هيروهيتو والأميركيّين، بعد إقصاء أنصــار الحرب من القادة اليابانيّين؟ هل كان ثمّة تفاهمات سرّيّة بين الأميركيّين والألمان، أو بين الأميركيّين واليابانيّين، أو بين الأطراف الثلاثة، على هامش نهاية الحرب؟؟»[2]، على الأرجح، نعم!! إلاّ أنّ المؤكّد، أن الســوفيات قد رفضوا مُفاوضة أو التعامل مع النازيّين، لإحراج الأميركيّين لاحقاً، بالمستندات والأدلّة والوقائع، فلا جثّة للفوهرر أدولف هتلر، ولا جثّة للرايخ فوهرر أس أس هاينرايش هملر، ومفاوضات سرّيّة في كلّ اتّجاه، ناهيك عن أنّ اسم أوديسا: جمعية قدامى ال أس أس الأخطر والأقوى، يعود كما يبدو إلى مدينة أوديســا الأوكرانيّة، كما رغب بذلــك رجل الأميركيّين الجديد الجنرال راينهارد غيهلن... وفي خضمّ الحرب الأوكرانيّة، لا يزال الرئيس القيصر الروسيّ فلاديمير بوتين، وريث الحقبة السوفياتيّة ممسكاً بهذه الملفّات الشائكة، ملوّحاً بها أمام الأميركيّين كلّما

(1) د. إيــلي جرجي الياس، الإمبراطوريّــة اليابانيّة خلال الحرب العالمية الثانية: الجرأة العســكريّة الطاغية والرؤية السياسيّة الداهية!!، تحوّلات مشرقية، مجلة فصلية محكّمة، العدد 29،تشرين الأول 2022، ص 46.

(2) د. إيــلي جرجي اليــاس: ألمانيا النازيّــة والإمبراطوريّة اليابانيّة، الدراســات الأمنيــة والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 92، تشرين الأول 2022، ص 94، 95.

كان ذلــك ضرورياً، وفي المقدّمة ملف أختفاء الفوهرر أدولف هتلر، لذلك لا بدّ من إيراد اسم هتلر لغزاً ودليلاً وإشــارة رهيبة للأميركيّين، على متن خطابات الرئيس بوتين!! ألا تهزّ رواية هروب هتلر أركان النظام الأميركيّ، ولو بعد 77 عاماً؟ يقهقه الرئيس الأميركيّ السابق دونالد ترامب، تاركاً خلف ضحكاته، ألف معنى وألف مغزى...

وقد آن الأوان، خلال الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، أن يقدّم الفوهرر للأميركيّين رجلهم الموعود والمُنتظر، الممسك من قلب أوكرانيا بالملفات السوفياتيّة الدسمة، والمُحتفظ بها بعناية شــديدة!! «في مطلع كانون الثاني 1945، وفي مطالعة مثيرة للاهتمام، هدفها فكرة هجوم ألمانيّ جديد نحو الشرق، أجاب أدولف هتلر الجنرال هانز غودريان بضرورة وضع الجنرال راينهارد غيهلن رئيس المكتب الألماني الثاني على الأراضي الســوفياتية، في مصحة للأمراض العقلية!! اســتناداً الى أنّ غيهلن شرح حقيقة الأرض وظروف المعركة الصريحة والصحيحة!! فكان ردّ غودريان عنيفاً أيضاً: ضعني فيها أنا كذلك... فات هتلر أنّ لغيهلن رؤية مستقبلية لمواجهة الســوفيات، وأدرك غودريان والأميركيون من بعده ذلك... وفي أوائل خمســينيات القرن العشرين، بات الجنرال هانز غودريان مستشاراً عسكرياً مساعداً في إنشــاء قوات الدفاع العسكرية في ألمانيا الغربية والتي ســتصبح لاحقاً الجيش الألمانيّ، قبل وفاته في أيار 1954!! تــاركاً مذكراته أيضاً تحت عنوان: مذكرات جنديّ!!»[1]، الأمر لهتلر، والربط لغودريان رجل الأميركيّين الأوّل في القيادة الألمانيّة العليا، والتنفيذ لرجلهم الجديــد والأخطر الجنرال راينهارد غيهلن، ليؤسّــس المنظومات الاســتخباريّة المترابطة بــين الولايات المتّحدة الأميركيّة وأوروبا الغربيّة وألمانيا الغربيّة حتّى الشرق الأوســط!! مع تســجيل «خُلاصة ما قاله الرئيس الأميركيّ هاري ترومــان: لم أكن لأوافق أبداً على صياغــة وكالة المخابرات المركزية الأميركية سي أي إيه، في عام 1947، لو كنتُ أعرف أنها ستصبح الغســتابو الأميركيّ!!»[2]، وآن الأوان للقوميّة الأوكرانيّة الفاشيّة أن تبصر النور

(1) د. إيلي جرجي الياس: أوروبا تشتعل في خضمّ الحرب الباردة، ص 135، 150.

(2) د. إيلي جرجي الياس، مئة عامٍ من الأسرار سيرة قائدٍ ألمانّي، دار سائر المشرق، 2021.

كما رغب بذلك طويلاً الجنرال راينهارد غيهلن!! «من القادة الذين اعتمد عليهم راينهارد غيهلن في عملياته النوعية والهامّة، ستيبان باندیرا، القائد السياسيّ الأوكرانيّ، الذي سعى الى اســتقلال أوكرانيا بمواجهة الإتحاد السوفياتيّ، والذي تعاون مع النازيين أثناء الحرب العالمية الثانية، مؤسّساً الكتيبة الأوكرانية التابعة للويرماخت! في 30 حزيران 1941، أعلن استقلال أوكرانيا بقيادة ستيبان باندیرا وعهدت رئاسة الحكومة الى رفيق دربه ياروسلاف ستيتسكو! رفض أدولف هتلر بشكل قاطع هذا الإعلان، وفي بدايات شهر تموز (5 تموز) 1941 أوقــف باندیرا وستيتســكو ونقلا الى برلين! أفرج عن باندیــرا في 25 أيلول 1944، ودخل في مرحلة تعاون شاملة مع النازيين بمواجهة الاتحاد السوفياتي، دافعاً كل مقدّرات وجهود الشــعب والجيش الأوكرانيين الى ســاحة المعركة!! وبعد تــوالي الهزائم النازية، اختفى باندیرا في مناطق أوروبية وغربية عديدة، بهويات غامضة، واضعاً نفســه بتصرف الجنرال راينهارد غيهلن أهمّ الاســتخباريين النازيين في الاتحاد السوفياتي تحت الاحتلال الألمانيّ، والذي باتت منظمته تتعاون بشكل كامل مع الأميركيين! لقد شكّل باندیرا الغطاء الســياسي وشبكة العلاقات الخارجية للثورة الأوكرانية المتواصلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي قويت في خمســينيات القرن العشرين!! وبالرغم من الحذر الأميركي لتورط باندیرا في جرائم حرب فقد اســتطاع غيهلن الاستفادة الى أقصى حدود من باندیرا نتيجةً لخبراته الأمنية، بقصد إرسال عملاء لمنظمة غيهلن الى الاتحاد السوفياتي، انطلاقاً من ألمانيا! غير أنّ منظمة غيهلن باتت تحت لعنة العملاء المزدوجين، مما مكّن أحد العملاء السوفيات من اغتيال باندیرا في 15 تشرين الأول 1959!! وشــكّل ذلك ضربة قاسية وقاضية لرئيس جهاز الاستخبارات الألمانية الغربية الجنرال راينهارد غيهلن!!»[1]، وحتّى اليوم تدين كافة المجموعات الثوريّة اليمينيّة المتطرّفة الأوكرانيّة بالولاء للقائد ستيبان باندیرا، وها هو زمن وصيّة ستيبان باندیرا التاريخيّة يلوح في الأفق!!

(1) د. إيلي جرجي الياس: أوروبا تشتعل في خضمّ الحرب الباردة، ص 139، 140.

الصراع الطويل الأوكرانيّ – الروسيّ، بين مخطّطات الولايات المتّحدة الأميركيّة وحلف شمال الأطلسي، وطموحات القوميّة الأوكرانيّة والنازيّة الجديدة، والاستراتيجيّة الروسيّة المتجدّدة.

صدقت الكلمات التالية: «إحدى أكثر اللحظات خطورة بالنسبة لاستقرار العالم ستحين عندما تبدأ السلطة السوفييتية بالانهيار في أوروبا الشرقية.»[1]، وصولًا إلى روسيا وأوكرانيا والبلدان السابقة التي كانت ضمن الاتّحاد السوفياتي قيد الانهيار... وستحاول الولايات المتّحدة الأميركيّة وخلفها حلف شمال الأطلسي، تطبيق مخطّطات معقّدة وخطيرة، لتقسيم المناطق السوفياتيّة وتبديد كلّ فرصة لانطلاق الاتّحاد الروسيّ الجديد نحو النجاح والازدهار!! «تقرير ضابط الاستخبارات غير الشرعية المقيم في نيويورك يوري شيفتشينكو: روى لي موظفو وكالة المخابرات المركزية (سي أي إيه) ماذا سيحدث بالضبط في المستقبل. الدور التاريخي للحزب الشيوعي انتهى... الحزب سيختفي عما قريب. بعد ذلك ستطرح المهمة الخاصة. المرحلة الأولى: تفكيك الاتحاد السوفيتي بحسب الجمهوريات الاتحادية. المرحلة الثانية: تفكيك جمهورية روسيا الاتحادية وانهيارها. وهناك خطة لتأسيس جمهورية الفولغا الشمالية (أي تترستان ووسط حوض الفولغا)، وجمهورية جنوب الفولغا. أما غرب وجنوب غرب روسيا فيلحقان بالدول المجاورة لروسيا. ويصبح الشمال، أي ما يسمى إنغريا وكاريليا جمهورية منفصلة أخرى. وسيبيريا ستقسم بين الصين واليابان والولايات المتحدة الأميركية. وتبقى روسيا الاتحادية في حدود إمارة موسكو القديمة (دوقية موسكو الكبرى). ماذا فعل غورباتشيف عندما اطلع على التقرير؟ كتب حاشية بأنه اطلع عليه. ولكنه لم يكتب تم الاطلاع على التقرير نفسه بل على ورقة منفصلة ربطها بالتقرير بمشبك الورق وذلك كي يحفظ في الأرشيف وكأنه لم يطلع عليه... (تقرير، ARABIC – RT برنامج رحلة في الذاكرة، خالد الرشد، كانون الأوّل 2020.) الاستخبارات السوفياتية غير الشرعية (غير الرسمية) كانت تقوم بنشاطٍ عملياتيّ

(1) بيرنارد لوكومت، أسرار الكرملين، جروس برس ناشرون، الطبعة الأولى، طرابلس، 2019، ص 261.

دون تغطية رسـمية في دولٍ أجنبية، خطير للغاية، وكانت بقيادة الجنرال يوري دروزدوف منذ سـنة 1979!! وبذلك قدّمت هذه النخبة الاسـتخبارية، المُرادفة ل كي جي بي، خدمة كبرى إلى القيادة السـوفياتية العُليا!!»[1]، لكنّ الرئيس فلاديمير بوتين قُيّض له بعد معاناة شـخصيّة ومراقبـة عامّة أن يكون في موقع القـرار والإنقاذ!! «كيـف لا يتأثر فلاديمير بوتين بهـذه القصة العائلية؟ جده الـذي كان يطهو الطعام لسـتالين، ووالده الذي نجا بأعجوبة من النازيين، وهو غارق في مسـتنقع ويتنفس تحت الماء بواسطة قصبة خيزران، وأمه التـي كادت تموت وهي مرمية فوق كومة جثث خلال حصـار المدينة، وأنقذت في آخر لحظة.»[2]، وسـيعمل على عودة روسيا إلى السـاحات الدوليّة ممهّداً للضربة الكبرى والحاسـمة في صراعه البارد مع الأميركيّين وحلف شمال الأطلسي: الحرب الأوكرانيّة!! «لقد قرّر الرئيس الـروسي فلاديمير بوتين تعزيز وتمتين مكانة روسـيا في المناطق التابعة سابقاً للاتحاد السوفياتي، سياسياً، وعسكرياً إذا اقتضت الحاجة، فالحرب الشيشانية الأولى 1994 – 1996 أدّت إل استقلال فعليّ لا رسميّ لجمهورية الشيشان وانكفاء روسيا... إلّا أنّ الرئيس فلاديمير بوتين قرّر حسـم القضية لمصلحة روسيا، فكانت الحرب الشيشانية الثانيـة 1999 – 2009!! في 23 أيلول 1999 أعلنت روسـيا الحرب، ودفعت بنحو ثلاثين ألف جندي إلى الحدود الشيشـانية، لتدخلها وتواصل تقدمهـا إلى غروزني التي وصلتها في اليوم الأول من عام 2000، أي بعد يوم واحد من تولي بوتين رئاسـة البلاد إثر استقالة يلتسـين. وهكذا بدأ الرئيس بوتين عهده، بقبضة حديدية في القوقاز!! وفي نهاية المطاف، تمكن المركز الفدرالي من حشد الدعم لمفتي الشيشـان أحمد قديروف، والذي انتخب فيما بعد رئيسـاً لجمهورية الشيشان. اغتيل أحمد قديروف في 9 أيّار 2004، وقد بات ابنه رمزان لاحقاً، رئيسـاً للجمهورية الشيشـانية، سـنة 2007... كلّ ذلك وسط حرب استخبارية

(1) د. إيلي جرجي الياس: ما بين تجلّيات الحرب الباردة الثانية وبداية الألفية الثالثة!!، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسـية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 89، كانون الثاني 2022، ص 100، 101.

(2) بيرنارد لوكومت، أسرار الكرملين، ص 282.

ضروس بين الروس والمعارضة الشيشـــانية وخلفها خصوم موسكو!! لقد برهن النجاح الروسيّ في الشيشـــان، مع الرئيس بوتين، حجم القدرات العسكرية والإمكانيات الأمنية والاستخبارية الروســـية، في مناطق الاتحاد السوفياتي السابق، بحيث بات يحسب لروسيا ألف حساب، من قبل الأميركيين والغربيين، في حال محاولتهم إثارة الاضطرابات في المناطق المحسوبة على روسيا، التي استعادت قدراتها الاستراتيجية مع الرئيس فلاديمير بوتين... تابع الرئيس بوتين خطّته الاســـتراتيجية، مدعوماً من الرئيس ميدفيديف... فتدخّل ضد جورجيا ســـنة 2008، وثبّت الاستقلال الذاتيّ لأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا بحماية روسية!! وضمّ القرم إلى الاتحاد الروسيّ، بعد اســـتفتاءٍ فيها، إثر مواجهة حاسمة مع أوكرانيا، سنة 2014!! وتدخّل إثر الحرب بين أذربيجان المدعومة من تركيا وجمهورية أرتســـاخ المدعومة من أرمينيا، ســـنة 2020، متوسطاً بين الطرفين، فارضاً شروطه الاستراتيجية، رغم انتصارٍ محدود لأذربيجان!! إنّه زمن النجاحات الروســـية السياســـية والاستخبارية والأمنية، في منطقة القوقاز، والمناطق التابعة للاتحاد الســـوفياتي ســـابقاً... لقد نجح الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين نجاحاً استراتيجياً باهراً في تأمين المجال الحيويّ للاتحاد الروسيّ، استعداداً لضمان المصالح الروســـية في أوروبا الشرقية واســـتعادة الدور الريـــاديّ هناك من جهة، ولتثبيت الحضور الروسيّ في ســـوريا وإعلاء شـــأن الحضور الروسيّ في الشرق الأوسط وشـــمال أفريقيا من جهة أخرى... شتّان ما بين السياســـة الروسية الاستراتيجية الشاملة، زمـــن الرئيس الروسيّ بوريس يالتســـن ضعفاً وتراجعاً، وزمـــن الرئيس فلاديمير بوتين نجاحـــاً وتألّقاً...»[1]، وهكذا عـــلى ضوء المفاوضات والتســـويات والمفاجآت، انفتحت الطريق أمام مجريات الهجوم الروسيّ الشامل على أوكرانيا...

ومـــن جهة النازيّة الجديدة اليمينيّة المتطرّفة، بعدما انتقـــل الحدث من ألمانيا وأوروبا حتّى ســـنة 1945، إلى أميركا الجنوبيّة، عاد بعد انهيار الاتّحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة إلى أوروبا، لفترة محدودة نحو كرواتيا، ولكن أساســـاً نحو أوكرانيا!! «لقد اختار هتلر ألمانيا

(1) د. إيلي جرجي الياس: ما بين تجلّيات الحرب الباردة الثانية وبداية الألفية الثالثة!!، ص 102، 103.

دون أن يعرفها. كان الألمان شعبه المختار، لأن غريزة السلطة فيه أشارت نحوهم كأكبر قوة ممكنة في أوروبا ذلك الأوان، كعقرب مغناطيسي – وهذا ما كانوه.»[1]، واليوم بات شعب النازيّــة الجديدة المختار، لفترة من الزمن لا أكثر، شــعب أوكرانيا... انطلاقاً من أنّ «كلّ الحراك الســياسيّ في ألمانيا تحت الرصد والمُتابعة والمُراقبة، حتى بالنسبة إلى حراك النازيين الجدد، الجناح الســياسيّ لليمين المُتطرّف الألمانيّ، ســواء عبر تجربة الحزب الديموقراطيّ القومــيّ الألمانيّ بزعامة أودو فوغت، أو عبر ظاهرة حــزب البديل من أجل ألمانيا بزعامة يورغ موثين، أكبر أحزاب المعارضة في البرلمان بعد نجاح انتخابيّ ملحوظ.»[2]، يهمّ اليمين العالميّ المتطرّف، وتحديداً النازيّة الجديدة، استغلال كلّ فرصة ممكنة، فكيف إذا كان ذلك بالتعــاون مع القوميّة الأوكرانيّة الوثّابة والطامحة دائــماً أبداً إلى تحقيق حلم وصول اليمين المتطرّف الأوكرانيّ إلى السلطة في كييف، مدعوماً من من اليمين المتطرّف العالميّ!!

ولكن للحرب الأوكرانيّة الحاليّة خلفيّة تاريخيّة خطيرة: بعد الأفرج عن ستيبان باندیرا في أيلــول 1944، أدرك أنّ إنقاذ أوكرانيا القوميّة صعب على ضوء الانتصارات الســوفياتيّة، فوضــع مخطّطه الخاصّ لفترة ما بعد الحرب الذي ضُــمّ لاحقاً إلى مخطّط الجنرال راينهارد غيهلــن العامّ، وعلى ضــوء أزمات الاتّحاد الســوفياتي بعد الحرب، فقــد «واجه الاتحاد الســوفياتي خطراً خاصاً يتمثّــل بالتناقض بين فرح المجتمع الســوفياتي بالنصر والحقائق القاسية للحياة اليومية. واضحٌ أن ستالين لم يكن واثقاً بطريقة معالجة هذه التحدّيات.»[3]، ومســتفيداً من الضائقة الاقتصاديّة حتّى المجاعة، أطلق باندیرا ثورته الجيّاشة في أوكرانيا التي اشتعلت تصاعديّاً خلال خمســينات القرن العشرين، خصوصاً في عهد خروتشيف، وبدأت تضعف بعد اغتياله يوم 15 تشريــن الأول 1959!! لم يكن بالإمكان توفير الدعم

(1) سباستيان هافنر، حياة أدولف هتلر، منشورات الجمل، الطبعة الثانية، 2009، ص 178.

(2) د. إيلي جرجي الياس، مئة عامٍ من الأسرار سيرة قائدٍ ألمانّي، دار سائر المشرق، 2021.

(3) أوليغ ف. خلفنيوك، ســتالين، ســيرة ذاتية جديدة لمســتبد، جرّوس برس ناشرون، الطبعة الاولى، 2017، ص 424.

الغربيّ المُباشر للثورة الأوكرانيّة، وإن ذهب بعض القادة الأوروبيّين كونستون تشرشل إلى أن «يتمنّى إجبار السوفيات على إخلاء أوروبا الشرقية بتهديدهم بالسلاح النووي، لكن الإدارة الأميركية ترفض ذلك والحكومة البريطانية ليس بيدها ذلك السلاح...»[1]، لقد دخلت القضيّة الأوكرانيّة في نفق من التحدّيات، لا ينتهي!! ومن جهة، أدولف إيخمان الذي انتفض ضدّ توجّهات هملر في الأشهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية بسبب مفاوضات هملر مع الوكالة اليهوديّة العالميّة لنقل اليهود الهنغاريّين وبعض اليهود الأوكران والأوروبيّين الشرقيين إلى فلسطين لتأسيس الكيان الإسرائيليّ هنالك، وفضح هملر لدى هتلر، ثمّ حاول كما يبدو اغتيال هملر خلال شهر أيّار 1945، والذي قبض عليه الموساد الإسرائيليّ عام 1960 في الأرجنتين، ثمّ حوكم وأدين من خلال محاكمة يشوبها الكثير من التناقضات والأخطاء، كما أبرزت ذلك عالمة الاجتماع السياسيّ الأميركيّة حنة أرندت، والذي أُعدم عام 1962 في إسرائيل، تعرّض للخيانة، وكما يبدو من قبل غودرون بورويتز ابنة هملر، والتي عملت وقتذك ولفترة زمنيّة قصيرة، في الاستخبارات الاتحاديّة الألمانيّة الغربيّة، بقيادة الجنرال راينهارد غيهلن، ثمّ استُبعدت بسبب تصرّفاتها... يرجّح أنّ غودرون ساهمت في إيصال المعلومات الخاصة به وبمكان تواجده، الى المخابرات الإسرائيليّة، عبر المخابرات السوفياتيّة!! ربّما ساهمت بورويتز أيضاً بالتعاون مع فالفي بكشف باندیرا من جهة أخرى، أمر محتمل الحدوث جدّاً... وقد كشفت عملية ستينغ الإستخباريّة المعقّدة، في نيسان 1961 أنّ الألمانيّ هاينز فالفي، العضو السابق في جهاز أس أس أثناء الحرب العالمية الثانية، والفاعل في منظمة غيهلن والمخابرات الألمانية الغربية بعد الحرب، كان عميلاً مزدوجاً لمصلحة المخابرات السوفياتية أيضاً... اعتقل فالفي في تشرين الثاني سنة 1961 وحوكم سنة 1963 بالسجن 14 عاماً، وحُرّر عام 1969 بعملية تبادل استخباريّ بين الأميركيين والسوفيات!! صراع بارد ومشتعل في آن... «لم يعد في القلب متسع للخوف. تبددت الأحاسيس، لم يبق إلا إحساس واحد بأنّ كل شيء فانٍ. لم يبق شيء،

(1) فرنسوا كرسودي، ونستون تشرشل، جروس برس ناشرون، الطبعة الاولى، 2017، ص 507.

كل شيء زال وانتهى.»[1]، وبإرادة غامضة مـــن الجنرال غيهلن، وصلت معلومات حول اغتيال باندیرا وعدد من القادة النازيّين السابقين واعتقال أيخمان، عبر القائد الاستخباريّ النـــازيّ أوتو هاينزي، الذي نقلها إلى رجل غيهلن المتخفّي في الشرقي الأوســـط والمتنقّل بين بيروت ودمشق، ألويس براونر، الذي أوصلها بأمانة إلى قائد الجيش النازيّ في أميركا الجنوبيّـــة الجنرال كلاوس بـــاربي الذي حضّر قواه للانتقام لصديقـــه أيخمان خصوصاً... «تعدّدت الانحرافات والتشـــوهات في المحاكمة وتنوّعت وحملت قسطاً كبيراً من التعقيد القانونيّ على نحوٍ غطّت فيه، خلال المحاكمة نفســـها ومن الكـــمّ الصغير المفاجئ لحجم أدب ما بعد المحاكمة، على المشكلات المركزية الأخلاقية والسياسية، وحتى القانونية التي طرحتهـــا المحاكمة.»[2]، كُتب على أيخمان أن يتحمّل المســـؤوليّة بعد محاكم نورمبرغ خلال خمســـينات القرن العشرين وحيداً، وهو ما جعل باربي عبر القنوات الكرواتيّة والأوكرانيّة الفاشيّة، يستعدّ للتحضير لثورة كبرى ومتجدّدة في هاتين المنطقتين!! وفي المقابل، في خطوة صاعقة للغاية، يوم 6 آذار 1967، طلبت ابنة ســـتالين ســـفاتلانا أليلويافا اللجوء السياسي من الأميركيين!! وفوراً، تمّ اســـتبدال فلاديمير ساميتشاســـتني في رئاسة الـ كي جي بي، بـــــ يوري آندروبوف، الذي ســـيبقى عـــلى رأس ال كي جي بي طوال خمس عشرة ســـنة، وسيستعمل أقسى الوسائل وأقصى الإمكانيّات لتوثيق السيطرة الاستخباريّة السوفياتيّة!! ولكن كيف الســـبيل إلى الوصول إلى المعلومات الخاصّة بمخطّطـــات باربي؟ تمّ اللجوء إلى خدمات المناضلة الأمميّة الســـيوعيّة البوليفيّة الألمانيّة الأصل: مونيكا إرتل، إبنة رجل الأعمال والدعاية الألمانيّ النازيّ هانز إرتل، التي صبّت جامّ غضبها بعد وفاة مثالها الأعلى الزعيم الأمميّ تشي غيفارا، على باربي نفسه الذي تورّط في دعم الأميركيّين واغتيال غيفارا نفســـه، وقد لقّبت ب تشـــيا غيفارا، وأقامت علاقة مع خليفة غيفارا إنتي بيريدو، قبل أن تتورّط في مقتل الكولونيل روبرتو كوينتانيلا بيريرا الرجل المســـؤول عن قطع يد غيفارا،

(1) برونهيلد بومسيل، حياة سيّدة ألمانيّة في زمن النازيّة، جرّوس برس ناشرون، طرابلس، الطبعة الأولى، 2018، ص 97.

(2) حنة أرندت: أيخمان في القدس تفاهة الشر، ترجمة أحمد زعزع، دار الساقي، الطبعة الأولى، 2018، ص 265.

عام 1971 في هامبورغ بألمانيا، وقد كان بيريرا القنصل البوليفيّ في هامبورغ، أمّا المعلومات حول مخطّطات باربي، فهي خطيرة للغاية... وكما «تفور داخل أزمة الطبقة المسيطرة نقمة الطبقات المخضعة. لينين.»[1]، وبينما تستعدّ أوكرانيا لإطلاق ثورتها الجديدة، حلّت كارثة تشيرنوبيل الاستثنائيّة، وهي حادثة نوويّة كارثيّة إشعاعيّة، وقعت في المفاعل رقم 4 من محطة تشيرنوبيل للطاقة النووية، يوم السبت 26 نيسان عام 1986، قرب مدينة بريبيات في شمال أوكرانيا الواقعة في الاتّحاد السوفياتي، وإذ تعدّ كارثة تشيرنوبيل أكبر كارثة نوويّة شهدها العالم، يرجّح أنّها مفتعلة في الزمان والمكان المناسبين... لعلّ وصيّة الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف قد تحقّقت، رغم الظروف الدقيقة للاتّحاد السوفياتي...

الحرب الأوكرانيّة من التاريخ والاقتصاد والتكنولوجيا إلى نظريّات التسلّح بين الجيلين الخامس والسادس من الحروب.

ثمّة تداخل بين العوامل السياسيّة والعسكريّة والاستراتيجيّة والاجتماعيّة وحتّى الدينيّة، في مسار الحرب الأوكرانيّة التي تزداد عنفاً يوماً بعد يوم، على أمل أن يصل الطرفان الروسيّ والأوكرانيّ إلى اتّفاقيّة سلام تنهي الصراع الجيوستراتيجيّ والتاريخيّ حول أوكرانيا، أو بالحدّ الأدنى إلى تفاهم ينهي الصراع الممتدّ والذي يُخشى أن يقوى ويتمدّد!!

لا شك بيهوديّة الرئيس الأوكرانيّ فلوديمير زيلينسكي، ولا شكّ بقوميّته الأوكرانيّة وميله إلى النهج اليمينيّ، المتحالف مع اليمين المتطرّف القوميّ الأوكرانيّ... وثمّة اعتقاد سائد، ومستند إلى وثائق خاصّة بالاستخبارات السوفياتيّة كي جي بي، حول رغبة يهوديّة خفيّة بإقامة الوطن اليهوديّ البديل – أرض الميعاد الثانية – في القرم وبعض المناطق المُتنازع عليها اليوم بين الروس والأوكران، وقد ضعف هذا الخيار حكماً بعد تأسيس الكيان الإسرائيليّ الغاصب على أرض فلسطين!! ولكن ماذا عن الخيار اليهوديّ اليمينيّ المتطرّف تاريخيّاً؟ يروي روخوس ميش الخارس الشخصيّ للفوهرر أدولف هتلر: «رأيت راهباً

(1) ميشيل هيلير: السكرتير السابع والأخير نشوء وانهيار الإمبراطورية الشيوعية، ترجمة د. نظير جاهل ود. حسن الضيقة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992، ص 103.

يلبس إســكيماً من البت، له حزام أبيض، يصل الى مكتب الاســتقبالات يحيط به عميلان بلبلس مدني. كانت على صدره شــارة نجمة داوود. لم يأت ليفتشــه أحد. نادى أحد من وحدتنا ضابطــاً مرافقاً، على الأرجح أوتو غونش. أتى هــذا الأخير على الفور وقاده الى شقّة الفوهرر. لم يحرّك العميلان ساكناً. بقيا في الطابق الأرضي، معنا، مدة اللقاء. استطاع الرجــل، كما قيل لي، التحدث عدة دقائق مع هتلر قبل مغادرة المستشــارية. لم أســأل من كان ولا عن أســباب زيارته، إذ لم يكن ذلك لائقاً. ولم أعلم شيئاً عن مصيره. يسعني فقط أن أؤكــد على أنّه لم يعد مرّةً أخرى.»[1]، يُرجّح حســب المواصفات أنّه مؤسّــس الحراك الفــاشيّ اليهوديّ في بولونيا وأوكرانيا، رئيس حكومــة الكيان الإسرائيليّ لاحقاً، مناحيم بيغن!! من هنا يُفهم ارتباط يهوديّة الرئيس زيلينســكي بالمسار التاريخيّ اليهودي اليمينيّ المتطرّف في المنطقة!! «أمّا وقد ســقطت جميع الاحتمالات المطروحة: لم يســتطع الفوهرر أدولف هتلر تطبيق خطّته الشــاملة بنقل اليهود من أوروبا الى جزيرة مدغشقر الإفريقية، بســبب حجم التعقيدات التقنية، وانتهى خيار الدولة اليهودية في شــبه جزيرة القرم قبل أن يبدأ بسبب المعارضة الشرســة للزعيم السوفياتيّ جوزف ستالين، وتبدّدت المحاولات الأوروبية والبريطانية الاستعراضية لإقناع الوكالة اليهودية العالمية بإقامة الدولة اليهودية المنتظرة في أماكن مختارة عبر العالم، لم يبقَ إلّا خيار الصهيونية الأوّل والأخير: إقامة الكيان الإسرائيليّ الغاصب على أرض فلســطين الطاهرة!! وعلى وقع نهاية الحرب العالمية الثانية المدمّرة والقاسية، نشطت المفاوضات السريّة، بسرعة مريبة وطاقة غريبة، بين ألمانيا النازية – الرايــخ فوهرر أس أس هاينرايش هملر، والوكالــة اليهودية العالمية وخلفها الصهيونية العالمية واللوبي اليهوديّ في الولايات المتحدة الأميركية، بين النازيين ممثلين بالقائد أس أس أدولف إيخمان، المقرّب الى الفوهرر أدولف هتلر، وكورت بيشر المستشار الشخصيّ للرايخ فوهرر أس أس هاينرايش هملر، قائد الأجهزة الأمنية النازية العامّ، وبين الوكالة اليهودية العالمية ممثلة بالمحامي اليهوديّ المعروف رودولف كازســتنر، بقصد تحرير القســم الأكبر

(1) روخوس ميش، الحارس الشــخصي لهتلر يتكلم، شهادة دونها نيقولا بورسيه، الطبعة الاولى، 2015، ص 134، 135.

من اليهود الهنغاريين، في مقابل منح النازيين المال والعتاد العسكريّ!!»[1]، بالإضافة إلى جزء من يهود أوكرانيا وأوروبا الشرقيّة!! وإلى فلسطين طبعاً حيث تبلّور الخيار اليهوديّ الرئيسيّ!! «ويتّضح إذاً أنّ الفارق الخطير والناتج عن المقارنة بين الإحصاءات الخاصة بالهولوكوست، والذي يتراوح بين نصف مليون ومليون يهوديّ تقريباً كحدّ أدنى، منطقيّ وواضح، وعائد إلى الجالية اليهودية الهنغارية بشكلٍ رئيسيّ والتي اختفت عن التعداد الديموغرافيّ الهنغاريّ دون إثبات صريح أنّها تعرّضت للهولوكوست بشكلٍ مُباشر، بالإضافة الى بعض اليهود الأوروبيين الشرقيين أو الغربيين، وهذا الفارق السكانيّ قد انتقل إلى فلسطين المحتلة حكماً، وخلاصة الكلام أنّ هذا تصويب ديموغرافيّ مهمّ للغاية!!»[2]، ومن هنا يُفهم أهميّة القرم والمناطق المتنازع عليها في أوكرانيا، في الذاكرة اليهوديّة العالميّة!! ولذلك حسم ستالين خياراته، حتّى لو اضطرّ إلى هولوكوست سرّيّ جديد وفاعل، على قدر الهولوكوست النازيّ الشهير!! «إن العنصر الأكثر مأساويةً في عملية التصفية الأخيرة، والتي أطلق العنان لها ستالين في أواخر حياته، مثّل منطفاً إيديولوجياً حاسماً، إذ أظهرت اليهود أصحاب مؤامرة دولية يحوكونها لأهوائهم.»[3]، إذاً يتمّ تقدير محوريّة الحرب العالمية الثانية كمفتاح لفهم وتحليل الأحداث المُتعاقبة!! «الحرب العالمية الثانية: حربٌ ضروس وعاتية، وأسرارٌ وألغازٌ خافية... وتداعياتٌ رهيبة وقاسية!! تناولها الكثير من المؤرخين والباحثين والأكاديميين عرضاً للأحداث والمُجريات، وتحليلاً وتفنيداً، في محاولة جادّة لتأكيد فرضيات منطقية ولتقديم استنتاجات وخلاصات نوعية!! ولقد انتهت الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة على وشك أن تندلع، فالحرب قضت على

(1) د. إيلي جرجي الياس: دور هنغاريّ مركزيّ في تأسيس الكيان الإسرائيليّ الغاصب على أرض فلسطين، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 83، تموز 2020، ص 129، 138، 139.

(2) د. إيلي جرجي الياس، قراءة معمّقة وتحليل شامل لكتابي عالمة الاجتماع الأميركية حنة أرندت: أيخمان في القدس تفاهة الشر، وأسس التوتاليتارية!!، تحوّلات مشرقية، مجلة فصلية محكّمة، العدد 25، آب 2021، ص 67، 68.

(3) حنة أرندت، أسس التوتاليتارية، دار الساقي، الطبعة الثانية، بيروت، 2016، ص 28.

التوتاليتارية الهتلرية، لكنّ التوتاليتارية الستالينية استمرّت إلى حين... فاستفاد النازيّون والفاشيّون الناجون من ذلك، ليقدّموا خدماتهم إلى الأميركيين والحلفاء الغربيين في مواجهة الطموحات السوفياتية... لعلّ الحرب الباردة انطلقت فعلاً على أنقاض مدينة برلين المدمّرة...»[1]، أليس لهذه المنطقة حضور ساطع في تاريخ وذاكرة النازيّة العالميّة وملهمها الدائم الفوهرر أدولف هتلر؟ حتماً، نعم!! «حوالي منتصف عام 1942، انتقل مقرّ الفوهرر العام إلى أوكرانيا، في منطقة فينيتس، واسمها اليوم فينيتسا، ويقع هذا المقرّ العامّ على بعد 200 كيلومتر جنوب غربي مدينة كييف. هناك، في ذاك المكان الجديد، في تلك المعسكرات التي كان يجتاحها في الشتاء، برد قارس، قضى هتلر، إضافة إلى مقرّه العامّ في بروسيا الشرقية، معظم أوقاته خلال أشهر عديدة. أطلق هتلر على المقرّ العامّ الأوكراني إسم فارفولف، الرجل الذئب. في 8 أيلول 1943، رافقت هتلر إلى مقرّ عامّ مجموعة جيوش الجنوب في زابوروجي، اليوم زاباروجيا، على ضفاف نهر دنيبر، على بعد 250 كيلومتر جنوب خاركوف في أوكرانيا. سافرنا على متن طائرة. كان الفوهرر ينوي البقاء هناك خمسة أيام لكنه غادر بعد اليوم الثالث، تحت تهديد المدفعية السوفياتية التي كانت تقترب بشكل خطير. كانت تلك المرة الأخيرة التي وطأ فيها هتلر الأراضي السوفياتية.»[2]، ولن ينسى الروس أبداً حرب أوكرانيا، خلال الحرب العالمية الثانية!! «كان الانتصار في أوكرانيا نصراً شخصياً لهتلر، ففي تلك المرة أيضاً كسا راياته بالظفر على الرغم من معارضة قوّاده، فبعدما لقّنهم في الماضي دروساً عديدة في الجرأة، ها هو الآن يلقنّهم درساً في الحذر. وقد استحقّ اللقب الذي أضفاه عليه المقرّبون إليه، وهو: أكبر رجل حرب في تاريخ العصور كافة. كما استُقبل الألمان هنا استقبال المحرّرين، فكان القرويّون يأتونهم بالخبز والملح. ويقول المثل الأوكرانيّ: إنّ ملعقة ماء تسقط في الخريف تعطي دلواً من الطين.»[3]، منطقة

(1) د. إيلي جرجي الياس، الحرب العالمية الثانية، من خلال الصحفيين اللبنانيين العالميين، إميل الخوري وكامل مروة، تحوّلات مشرقية، مجلة فصلية محكّمة، العدد 26، شباط 2022، ص 47، 89.

(2) روخوس ميش، الحارس الشخصي لهتلر يتكلم، ص 138، 140، 160.

(3) ريمون كارتييه، الحرب العالمية الثانية، مؤسسة نوفل، 1983، الجزء الثاني، ص 231، 255، 261.

اســتراتيجيّة، وغنيّة اقتصاديّاً بالموارد الطبيعيّة والقدرات الزراعيّة والصناعية والتجاريّة، وهي في نفس الوقت، حاضرة بقوّة في ذاكرة الشــعبين الــروسيّ والأوكرانيّ، كما في مجال مخطّطات الوكالة اليهوديّة العالميّة واليمين العالميّ المتطرّف على حدّ ســواء، فهي إذاً قابلة للصراعات والمواجهات والاضطرابات...

ويأتي وزير خارجيّة روســيا ســيرغي لافروف، المتمرّس والخبير في مجاله، بديبلوماسيّته المعهودة والهادئة والرصينة والهادفة، ليصبّ الزيت على النار!! «بعد صمت استمرّ ليومين كاملين، ردّت القيادة الروسيّة على كافة الانتقادات الإسرائيليّة والغربيّة التي طالت وزير خارجيتها الديبلوماسيّ والســياسيّ، الداهية والمخضرم، سيرغي لافروف، إثر تصريحاته الأحد 1 أيّــار 2022، خلال مقابلته مع قناة ريته 4 الإيطالية، والتي قال فيها أن مؤسّــس النازيّة الفوهرر أدولف هتلر كانت لديه جذور عائليّة يهوديّة!! مع الإشــارة والتركيز أنّ النازيّين الجدد يحكمون في الوقت الراهن أوكرانيا انطلاقاً من الســلطة المركزيّة في كييف، وأنّ كون الرئيس الأوكراني فلاديمير زيلينســكي من أصــول يهوديّة صريحة، لا يمنع أن يكون النازيّون الجدد متمســكين بالقيــادة في أوكرانيا. لم ينكر مؤسّــس النازيّة ومنظّرها الأوّل، الفوهرر أدولف هتلر، الأصول اليهوديّة الغامضة والقديمة في عائلته، في مؤلّفاته الخاصّة لا ســيّما كفاحي، وأكّد ذلك مهندس النازيّة الكبير ومستشار هتلر ألبرت شبير في كتابه داخل الرايخ الثالث، وصديق الفوهرر الفيلســوف ألفرد روزنبرغ، ورئيس الشبيبة الهتلريّة بالدور فون شيراخ، ورئيس الجناح اليهوديّ السرّيّ في الحزب النازيّ الألمانيّ إميل موريس... غير أنّ ألبرت شــبير وحارس هتلر الشخصيّ روخوس ميش، حسما أنّ هتلر كاثوليكيّ المولد من والديــن كاثوليكيين... وبعد، ترجّح صلة القربى اليهوديّة في العائلة الهتلريّة إلى جــدّ والدته كحدّ أدنى، ومن هنا نالت نســاء العائلة احتمال إرضاع الأطفال الألمان اليهــود اليتامى، وفقاً لعرف ســائد... وانطلاقاً من ذلك، كانــت أنجيلا روبال اليهوديّة، شــقيقة الفوهرر بالرضاعة!! وقد انفعل هتلر مرّتين على ضوء ما حدث لاحقاً، وهذا ما أدّى إلى غضبه الشــامل من اليهود، فترك أمر تســوية الخــلاف معهم لاحقاً إلى

قائد الأجهزة الأمنيّة والاستخباريّة النازيّة العامّ الرايخ فوهرر أس أس هاينرايش هملر: الأولى، عندما خانته حبيبته وابنة أنجيلا اليهوديّة المولد جيلي مع إميل موريس، فاستبعد موريس، وتركها تنتحر سنة 1931... وظلّ مصير الجنين في أحشائها مجهولاً!! والثانية، عندما خانته ملهمته الذي أعجب بها بجنون، الممثّلة الألمانيّة اليهوديّة الفاتنة رينات مولر، مع ابن المصرفيّ اليهوديّ المعروف جورج دوتش... فتكرّر المشهد: انتحار رينات مولر سنة 1937، واحتمال لضياع جنينها في غياهب النسيان... وكانت الجميلة إيفا براون، الكاثوليكيّة المؤمنة، جاهزة، بدعم مطلق من أمين سرّ الفوهرر مارتن بورمان، لأن تصبح حبيبة الفوهرر الأبديّة، فتبعده عن هذا المسار الغامض والشاقّ... ولا عجب من موقع وموقف الرئيس الأوكرانيّ فلاديمير زيلينسكي، والنظام الأوكرانيّ الحاليّ، إذا كان الزعيم اليهوديّ الإسرائيليّ مناحيم بيغن، مؤسّس الحزب الفاشيّ البولونيّ – الأوكرانيّ ذات يوم، والزعيم الأوكرانيّ القوميّ الفاشيّ ستيبان باندیرا ملهم النازيّين الجدد كلّ يوم...»[1]، وفي كلمات لافروف إشارات خطيرة، على امتداد التاريخ من الحرب العالمية الثانية حتّى الحرب الأوكرانيّة!! أليس هذا حلم المنظومة النازيّة العالميّة والسرّيّة، وأمل النازيّين الجدد؟ طبعاً، نعم!! «أكثر الأحزاب عنصريةً وقوةً وجبروتاً، على مرّ التاريخ، الحزب النازيّ الألماني، الذي كان سيّد ألمانيا وأوروبا، وعلى وشك أن يصبح سيّد العالم، تشتت، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كبرى الحروب في تاريخ البشرية، وهزيمة ألمانيا المدوية، في اتجاهين: منظومة نازية عالمية وسرية، ورثت قيادة الفوهرر السياسية، احتفظت لنفسها بجناح عسكري قويّ، يتدخل حيث يشاء وكيفما يستطيع، مراهناً على الأزمات السياسية والعسكرية والاقتصادية، وفي طليعة أهدافه تعزيز الخلافات وتأجيج الصراعات... أما الاتجاه الثاني فمجموعات وأحزاب من النازيين الجدد تنتشر في ألمانيا والعالم وتنتعش من تفشي العنصرية ومن المشاكل والاضطرابات في كل مكان! إتجاهان مستقلان حكماً، ولكن التنسيق بينهما ممكن... ترافقت عمليات المنظومة النازية العالمية والسرية الأمنية، وحضورها السياسي

(1) د. إيلي جرجي الياس، لافروف ينقّب في دهاليز التاريخ!!، مقالة، الجمهوريّة، الثلاثاء 3 أيّار 2022.

في أكثر من موقع في العالم، مع تطور حضور ونشـــاطات النازيـــين الجدد في ألمانيا الغربية بادئ الأمر وفي ألمانيا الإتحادية لاحقاً، بشـــكل بارز ومقلـــق وتصاعديّ!»[1]، وفي أوروبا وأوكرانيا أيضاً... إذاً تأخذ الحرب الأوكرانيّة أهميّة قصوى بالنســـبة للاتّجاه النازيّ بكافة تجلّياته!! أليست تلك المنطقة: منطقة الذئاب رمزيّاً، ترمز إلى الرجل الذئب منطقيّاً؟ «لقد حان الوقت لأدولف هتلر أن يتناسى لقب الفوهرر وكلّ صلاحياته وامتيازاته، ويعود الى بداياته، في تحركاته السرية وفي حضوره الغامض والغريب، لا بل أن تزداد حياته غموضاً وغرابـــة، وأن يرجع الى شـــخصيته المحبّبة الأولى، أي الرجل الذئـــب... الرجل الذئب، يتحرك بسرية مطلقة ضمن مجال جغرافيّ صعب ومحدّد، وســـط العائلة، أو وسط مجموعة قيادية صغيرة، غائبة عن الرؤية والتاريخ، الرجل الذئب، خارج المكان والزمان، بعيد عن العين، لا ترصده الاستخبارات، ولا تصفه الكلمات، ولم تعد تعبّر عنه الأمنيات، حيّ ولو أنّ ذكراه في وجدان النازيين أشـــهى الذكريات!»[2]، من هـــو الرجل الذئب الجديد؟ وما حجـــم نطاق عمليّات منطقة الذئاب؟ وإلى الدعم الأميركـــيّ والغربيّ والأطلسيّ للقيادة الأوكرانيّـــة العليا، ما هو حجم الدعـــم المقدم من المنظومة النازيّـــة العالميّة والسرّيّة ممثّلة بمنظّمة أوديســـا؟ وما مدى حضور الحلم الصهيونيّ في بعـــض أوكرانيا بعد 77 عاماً من نهاية الحرب العالمية الثانية؟ لقاء مصالح غريب وعجيب، وربّما مؤقّت...

وبالنســـبة للمســـار الاقتصاديّ خلال الحرب الأوكرانيّة والهجوم الروسيّ الشـــامل على أوكرانيا، تمّ توقيع اتّفاقيّة تصدير الحبوب، في إسطنبول، يوم 22 تموز 2022، بوساطة تركيّة مباشرة، ورعاية الأمم المتّحدة، وذلك بعد أكثر 4 أشهر من المفاوضات!! أمّا آليات تطبيق

(1) د. إيـــلي جرجي الياس: حقيقـــة المنظومة النازية العالمية والسرية، بعد الحرب العالمية الثانية: دراســـة وتحليل، الدراســـات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفســـية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 74، نيسان – أيار – حزيران 2018، ص 186، 187، 189.

(2) د. إيـــلي جرجي الياس: تمدّد المنظومة النازية العالمية والسريـــة في أميركا الجنوبية، بعد الحرب العالمية الثانية، الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مجلة الأمن، العدد 76، 2018، ص 124.

هذه الاتّفاقيّة فكانت صعبة ودقيقة، على ضوء اســتمرار الحرب وغياب الثقة بين موسكو وكييف!! أتاحت الاتّفاقيّة تصدير أكثر من تسعة ملايين طن من الحبوب الأوكرانيّة، وكان من المفترض تجديدها يوم 19 تشرين الثاني. ولكن، توقّفت حركة نقل الحبوب الأوكرانيّة عبر البحر الأسود، يوم الأحد 30 تشرين الثاني 2022، بعدما علقت روسيا السبت العمل باتّفاقيّة تصدير الحبوب من الموانئ الأوكرانيّة، بينما هذه الاتّفاقيّة حيويّة لإمدادات الغذاء في العالم!! وقد أعلنت أوكرانيا، في المقابل، أنّ تعليق روسيا العمل باتّفاقيّة تصدير الحبوب من موانئها، يجعل إبحار الناقلات المحمّلة بهذه المنتجات أمراً مستحيلاً. بينما عزت روسيا تعليق تقيّدها بالاتّفاقيّة، إلى هجوم مكثّف بطائرات مسيّرة صباح السبت، استهدف سفناً عسكريّة ومدنيّة تابعة لأسطولها، المتمركز في خليج سيفاستوبول، في شبه جزيرة القرم، وقد اعترضت كييف على بيان موســكو!! وفي حين تحاول تركيا جاهدة إعادة العمل بالاتّفاقيّة عبر مفاوضات جادّة مع موسكو، ثبّت الكرملين زعامة روسيا الاقتصاديّة في منطقة البحر الأسود!! وفي هذا الســياق، يوم الإثنين 7 تشرين الثاني 2022، أعلن وزير الدفاع التركي خلوصي أكار، أن أوكرانيا قدّمت ضمانات مكتوبة لروســيا، عــبر بلاده طبعاً، قبل تمديد صفقة الحبوب، وأنّ أنقرة ســتقترح تمديد الاتّفاق لعام كامــل... محاولة تركيّة اقتصاديّة مُضاعفة!! وأضاف أكار: قلنا للطرفين الروسيّ والأوكرانيّ أنّ الصراع العسكريّ منفصل عن قضية الحبوب، والظروف الإنسانيّة مختلفة. أليست الظروف إذاً مُشابهة لزمن الحرب العالميــة الثانية؟ «الروس هم أقوى مما يتوهم العــالم عامة، والأتراك خاصة. وإذا كان بين الدول كلها دولة يهمها مصير روسيا، فهي تركيا.»[1].

أمّا تكنولوجيّاً، وفي خطوة استراتيجيّة، مطلع شهر تشرين الأوّل 2022، أثار طلب الملياردير الأميركيّ إيلون ماسك من مستخدمي تويتر التفكير في خطّة حقيقيّة وفعليّة لإنهاء الحرب الأوكرانيّة، تنديد الأوكرانيّين وفي مقدّمتهم الرئيس فلوديمير زيلينســكي!! وفي منتصف

(1) كامل مروّة: بيروت – برلين – بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، أيّار 1991، بيروت، ص 62.

الشـــهر، أعلنت شركة ستارلينك المملوكة لإيلون ماسك، وقف تقديم خدمات الإنترنت الفضائيّ مجّاناً للجيش الأوكرانيّ، في خطوة هدفها الأساسيّ عدم تمدّد الحرب الأوكرانيّة، نحو الخيارات النوويّة!! ونقلت صحيفة واشـــنطن بوســـت الأميركيّة، عن مســـؤول في البنتاغـــون، قوله أنّ وزارة الدفـــاع الأميركيّة تجهد لإيجاد بديل للقـــوات الأوكرانية عن نظام اتّصالات ســـتارلينك!! لقد تميّز ماسك مرّتين، عبر الدعم المُطلق لأوكرانيا، ثمّ عبر الانســـحاب من الأزمة متفادياً الحرب الفضائيّة – أي تدمير إمكانيّاته في الفضاء من أقمار إصطناعيّة وســـوى ذلك – مع الروس!! يعترف ماســـك أنّ بوتين أغنى منه، لأنّه يمتلك جيشـــاً جبّاراً طوع أمره، وإن كان يتقاســـم مع ملياردير التكنولوجيا الآخر، بيل غيتس، الإعجاب بشخصيّة الفوهرر أدولف هتلر...

وعلى ســـبيل المثال لا الحصر، فقد ســـاهم الإنترنت في أوكرانيا في نقل أفكار أدولف هتلر العامّة، وحتّى العنصريّة!! وهو القائل: «8 – 11 آب 1941: أراضي الشرق ستكون بالنسبة لنا، كما كانت الهند بالنسبة لإنكلترا. وسنزوّد الأوكرانيّين بالبخانق والخرز وكل ما يعجب الشـــعوب المستعمرة. ويجب على الألمان، وهذا شيء أســـاسي، أن يؤلفوا فيما بينهم مجتمعاً مغلقاً مثل قلعة.»[1]، لقد ميّز هتلر منذ البداية، الأوكران كنخبة المُســـتعمرين، عن الروس الأعداء في مطلق الأحوال... هل تكشف الوثائق مستقبلاً عن خطّة الجنرال غيهلن للتناسق بين العرقين الأوكرانيّ والألمانيّ؟ وقد انتشر كتاب هتلر كفاحي، مثل النار في الهشيم، ورقيّاً وعلى مواقع الإنترنت في أوكرانيا!! مثلاً، يوم 28 نيسان 2022، ذكرت وكالة نوفوستي أنّ القوات الروســـيّة عثرت على نسخ من كتاب أدولف هتلر: كفاحي، المصنّف في روسيا في قائمة المواد المتطرّفة، في قاعدة كانت تستخدمها كتيبة القوميين الأوكرانيّين النازيّين آزوف في مدينة ماريوبول. ولكن على مستوى الإنترنت، «كيف ندّعي إمكانية التعامل مع جمهور الانترنت حيث نجد كل شيء ونقيضه؟ كيف نضبط غابة الانترنت ومنتدياتها المشـــكوك

(1) جاك فرجيس، جرائم الدولة الكوميديا القضائية، تعريب حسين حيدر، دار عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، بيروت، 2004، ص 48، 49.

بأمرها، والتي يكثـــر عددها بمجرّد أن يتم الحديث عن كتاب كفاحي وتكون غالباً بدائية وأحياناً سريالية...»[1]، ويخُشى عند التمادي في حالة الحرب، كما في حالة الحرب الأوكرانيّة الممتدّة منذ أشـــهر مثالاً، من انتشار أفكار عنصريّة بغيضة، ومعادية للسلام بشكلٍ كامل، بين الجماهير!!

وأكثر مـــن المتابعة في دنيا الإنترنـــت، والغوص في عالم التكنولوجيـــا، والبحث الجادّ في النواحي التاريخيّة والجيوســـتراتيجيّة والاجتماعيّة... وفيما تحرص القيادة الروســـيّة العُليا على إبقـــاء ذكريات النصر الروسيّ الضخم، خلال الحـــرب العالمية الثانية، حيّة وحاضرة في الذاكرة الروســـيّة والحضور الشـــعبيّ العامّ، عروضاً ومعارض وفاعليّات بشكلٍ دائم ومُتواصل... يُمســـك الرئيس الروسيّ بإحكام بملفات الحرب العالمية الثانية لاستعمالها، عند الضرورة، ورقة مشتعلة بوجه الأميركيّين وحلف شمال الأطلسيّ: **لغز اختفاء أدولف هتلر**، «2 أيار 1945: هتلر تمكّن من الهرب! (وكالة الأنباء السوفياتية تاس)»[2]، **لغز انتحار هاينرايش هملر**، كما بالنسبة لاختفائه أثناء عمليّة فالكيري، «كان بالفعل بعد منتصف الليل عندما وصل هملر، الذي لم يتمكن أحد من تحديد موقعه حتى هذه اللحظة، إلى مقرّ غوبلز. بالتفصيل، وقبل أن يُســـأل، برّر غيابه. وقال إن هناك قاعـــدة مجرّبة وحقيقية للتعامل مع الانتفاضات. كان عليك الابتعاد عن المركز واتخاذ الإجراءات العكسية من الخارج. كانت هذه هي الاستراتيجية الصحيحة. يبدو أن غوبلز اقتنع بذلك.»[3]، هل هملر هو نفسه كورت بيشر مستشاره وممثّله في المفاوضات مع الوكالة اليهوديّة العالميّة؟ **عمليّات هروب النازيّين عبر العالم وإلى أميركا الجنوبيّة**، «أنّ حالة كلاوس باربي، القائد الســـابق المطلق الصلاحية

(1) كلـــود كيتيل، كتاب هتلر كفاحي ملابســـات النشر وردود الفعل، جروس بـــرس ناشرون، الطبعة الأولى، 2019، طرابلس، ص 229.

(2) Jean-Christophe Brisard and Lana Parshina, The death of hitler, Hodder, London, 2019, p 118.

(3) Albert Speer, Inside the Third Reich, London, 2003, p 522.
Gerald Steinacher, Les nazis en fuite, collection tempus, Perrin, Paris, 2018, p 424.

لغســتابو ليون، تشرح بأفضل شكل ممكن، كما لا تستطيع ذلك أيّة ملاحظة نظرية، المنطق الداخلي للحرب الباردة في بداياتها.» **(58)**، مئات عمليّات الهروب تنضوي ضمن إطار: أوديســا وعملية فاتيكان راتلاين الكبرى (1946 – 1958)، «بــدأ القادة النازيون بوضع خطط الفرار قبل شــهرين من نهاية الحرب العالمية الثانيــة. وعندما أدرك هاينريش هملر ضياع كل شيء، قرر إنشــاء عملية، في الطريق الى الخارج، ووضع على رأســها النقيب في وحدات الدرع الواقــي أرجنتيني المولد كارلوس فولدنر البالغ من العمر 34 عاماً والذي أصبــح بين عامي 1945 و 1950 الرجل الذي ســاعد مجرمي الحرب على الفرار من عدالة الحلفاء بعد الحرب. وغدت إسبانيا، والبرتغال، والمغرب والنمسا، وإيطاليا ملاذات آمنة للفارين المســافرين بمســتندات وهويات مزورة، كانت أجهزة مخابرات الفاتيكان تعدها في غالب الأحيان.»[1]، **مســار المفاوضات الخطيرة والمعقّــدة**، بين الرايخ فوهرر أس أس هاينرايــش هملر ممثّلاً بكورت بيشر، والوكالة اليهوديّة العالميّة ممثّلة برودولف كازســتنر، خلال الأشــهر الأخيرة للحرب العالمية الثانية، لترحيل القســم الأكبر من يهود هنغاريا وبعض يهود أوكرانيا وأوروبا الشرقيّة إلى فلســطين لتأسيس الكيان الإسرائيليّ الغاصب هنالك!! «كورت بيشر رقّي الى منصب مساعد الرايخ فوهرر أس أس في كانون الثاني 1945 كما عيّنه هملر المفوّض الخاص لكل معسكرات الاعتقال النازية في 9 نيسان. وبهذه الصفة دعا كازستنر الى مرافقته في جولة تفتيشية شاملة.»[2]، **ملفات التفاوض في سويسرا المحايدة وســواها**، من جهة بين هتلر والأميركيّين، ومن جهة أخرى بين هملر والأميركيّين!! «وفي نهاية أيلول 1944، وصل الى سويسرا، روزويل د. ماككليللن، قادماً من الولايات المتحدة الأميركية، كوسيط في المفاوضات بين أس أس والمنظومة اليهودية في سويسرا. وهذا الخبر الذي انتظره هملر بفارغ الصبر. وفي 5 تشرين الثاني، التقى كورت بيشر ووفد مفاوض من

(1) إريك فراتيني، الكيان خمســة قرون من جاسوســية الفاتيكان السرية، الطبعــة الاولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010، ص 339.

(2) Thomas Ammann, Stefan Aust: les rançonneurs d’Hitler, nouveau monde, édition 2019, p 334.

قبل هملر، ماككليللن في أوتيل سـافوا. وفي نهاية تشرين الأول 1944، قابل الدكتور جان ماري موزي، هملر، منسّقاً مع ماككليللن. وافق هملر على وضع نهاية لعملية تصفية اليهود والسماح بذهابهم الى سويسرا.»[1]، **ملف نهاية الحرب العالمية الثانية**، في أوروبا أو في الشرق الأقصى!! «بدأت المعركة من أجل ألمانيا كأكبر حدث عسـكريّ منفرد في القرن العشرين، وانتهت كأكبر مأساة إنسانيّة تراجيديّة.»[2]، هل تنتهي الحرب الأوكرانيّة الطويلة والمعقّدة، كأكبر مأساة إنسانيّة تراجيديّة، خلال القرن الواحد والعشرين؟

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، يمكن تعريـف وتحديد الحروب الباردة بين الأميركيّين وحلفائهم من جهة، والسوفيات – الروس والصينيّين وحلفائهم من جهة أخرى، وأجيال الحروب تالياً، كما يلي: **الحرب الباردة الاولى** 1947 – 1991، وقد اعتمدت على منطق الجيلين الثالث والرابع من الحـروب، وعلى التلازم والتكافل والترابط بين الحروب العسـكرية العنيفة كما في كوبا وأفغانسـتان وفيتنام، وبين العمليات الاسـتخبارية المُعقّدة والهادفة في مناطق تحت النفوذ المُشـترك للطرفين كما في ألمانيا، وصـولاً إلى المناطق الحليفة للطرفين، حتّى العمقين الـروسيّ والأميركيّ!! **الحرب الباردة الثانية** 2000 – 2020، والهدف الأوّل لهذه الحرب، استعادة روسيا حضورها السياسيّ وتألّقها العسكريّ والاستخباريّ بعد زمن السيطرة الأميركية الأحادية الجانب وشبه المطلقة 1991 – 2000، وقد اعتمدت على منطق الجيلين الرابع والخامس من الحروب، وبات الصراع الاستخباريّ بين الطرفين هو الأخطر والأكثر جرأةً، بالرغم من الحضور العسكريّ المُباشر للروس والأميركيين في بعض مناطق الصراع الحسّاسة عبر العالم، كما في الشرق الأوسط مثلاً!! **الحرب الباردة الثالثة** بعد مرحلة الكورونا كوفيد 19، وقـد أعلن عنها الروس والصينيّون والأميركيّون على حدّ سـواء، حيث سـتتعزّز العمليات الاستخبارية الواسعة والمُترابطة، على حساب المعارك العسكرية

(1) Boguslaw Woloszanski, Les secrets de guerre de Hitler, Editions Jourdan, Paris, 2019, p 387.

(2) Max Hastings, Armageddon The battle for Germany 1944- 45, Pan Books, London, 2015, p 591.

المُباشرة، حتّى في دول العالم الثالث، وستعتمد هذه الحرب على الجيلين الخامس والسادس من الحروب حكماً، وبينما يتمسك الأميركيون بقيادة المعسكر الغربيّ على حساب أوروبا، ستتعزّز فرص الصينيين للمبادرة على مستوى المحور الشرقيّ، والحرب الأوكرانيّة فاتحة عمليّات الحرب الباردة الثالثة الكبرى!! وبينما ظاهر الحرب الأوكرانيّة يشتعل على مدى الجيلين الثالث والرابع من الحروب، فصلب هذه الحرب يعتمد على الجيلين الخامس والسادس من الحروب، من حيث استعمال المعلوماتيّة والإنترنت والتكنولوجيا بشكلٍ فائض، وتفعيل الحرب الاستخباريّة الخفيّة والضارية!! ولكن، لا يُخشى فقدان السيطرة نحو مواجهة نوويّة، لأنّه في حقيقة الأمر، ثمّة هيئة عليا مُشتركة على هامش الصراع بين المعسكرين الغربيّ والشرقيّ، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية، لتنظيم مجالات الحروب الساخنة والباردة من قبل الكبار، لتفادي اندلاع الحرب العالمية الثالثة النوويّة حكماً... ولكن تبقى المخاطر حاضرة، كما في أحداث سابقة: حصار برلين (1948 – 1949)، أزمة جدار برلين سنة 1961، الثورة الأوكرانيّة ضد الاتحاد السوفياتي (1945 – 1960)، أزمة الصواريخ الكوبيّة الحادّة سنة 1962، اصطدام الغوّاصتين السوفياتيّة والأميركيّة في بحر بارنتس سنة 1969، الحرب الاستخباريّة المتقدّمة والمرادفة لحرب فيتنام خلال ستينات القرن العشرين، الصراع في الشرق الأوسط وخصوصاً بين حربي 1967 و1973، مناورات حلف شمال الأطلسي سنة 1983 والمعروفة باسم عمليّة أبل آرتشر 83... وفي معرض حديثه عن استعمال صواريخ توماهوك لاستهداف الأراضي الروسيّة نفسها، هل يستعيد الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين خطّة سرّيّة، تعود إلى زمن الحرب العالمية الثانية، جدّدها الجنرال راينهارد غيهلن، وأوصى بها الأميركيّين للتطبيق عند الضرورة؟ يُرجّح ذلك!!

خاتمة. أوروبا والعالم على ضوء الحرب الأوكرانيّة.

معلومة هامّة تفتح الطريق أمام معلومة نوعيّة أخرى، في بحر واسع وشاسع من المعلومات لا يجفّ ولا ينضب!! وسرّ يكشف سلسلة لا تنتهي من الأسرار الخطيرة!! ولغز تلو لغز، في خضمّ فضاء شامل من الألغاز المعقّدة!! هكذا هي حكاية الكرملين عبر التاريخ،

خصوصاً خلال التاريخ الحديث والمُعاصر، وصولاً إلى الحرب الأوكرانيّة الطويلة نسبيّاً...

بعدما تخلّت أنجيلا ميركل بملء إرادتها عن منصب المستشارة الألمانيّة يوم 8 كانون الأول 2021، قبل اندلاع الحرب الأوكرانيّة، وكأنّها استدركت الأعصار الآتي على أوروبا، أمكن إعادة انتخاب الرئيس الفرنسيّ الحاليّ إيمانويل ماكرون رئيساً لولاية ثانية، يوم 24 نيسان 2022، متقدّماً بنسبة 58,54 % من الأصوات، على مارين لوبان التي حازت على 41,46 %، عقب حملة انتخابية صعبة حضرت وأثّرت فيها الحرب الأوكرانيّة!! ولكن اضطرّ رئيس الوزراء البريطانيّ بوريس جونسون إلى الاستقالة من رئاسة حزب المحافظين الحاكم في بريطانيا، يوم 7 تمّوز 2022، كنتيجة لاستقالات حكومية ولضغوط متواصلة تعرّض لها أعضاء الحزب، واستمرّ مؤقّتاً في منصب رئاسة الحكومة!! ثمّ باتت ليز تراس رئيسة للحكومة البريطانيّة يوم 6 أيلول 2022، قبل أن يخلفها في المنصب ريشي سوناك يوم 25 تشرين الأول 2022... وفي خضمّ هذه الأحداث الدوليّة الخطيرة، توفيت ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية، التي دامت فترة حكمها طويلاً لسبعين عاماً و214 يوماً، وذلك يوم 8 أيلول 2022...

وفيما يعتبر من التداعيات المباشرة للحرب الأوكرانية، فتح محقّقون روس مختصّون تحقيقاً جنائياً شاملاً، في قضية مقتل داريا دوغين ابنة الفيلسوف وعالم الاجتماع الروسيّ الشهير ألكسندر دوغين المعروف بعقل الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين ومستشاره في المجالات الجيوستراتيجية، والتي قتلت السبت 20 آب 2022 بعد أن زُرعت عبوة ناسفة في السيّارة التي كانت تقودها، وذلك أثناء عودتها من مهرجان حسب ما أفادت وكالة الأنباء الروسية تاس. وفي توضيح لمسار الاغتيال، كشف عازف كمان روسيّ صديق للعائلة، يدعى بيوتر لوندسترم، أنه كان من المفترض أن يكون ألكسندر دوغين في السيارة مع ابنته، غير أنه استقل سيارة أخرى في اللحظات الأخيرة. وقد وجّه رئيس جمهورية دونيتسك الشعبية المدعومة من الكرملين، الاتّهام إلى النظام الأوكراني بالتورّط في الانفجار، قائلاً: كانوا يحاولون تصفية ألكسندر دوغين لكنهم فجّروا ابنته، التي

كانت صريحة بشـــكل مطلق، في دعمها للعملية الروســـية الواسعة في أوكرانيا، وهذا ما كلّفها العقوبات الحكومية الأميركية في آذار الماضي...

وخلال الحرب الأوكرانيّة، توفي ميخائيل غورباتشـــيف آخر رئيس للاتّحاد الســـوفياتي، عن عمر قارب 91 عاماً، يوم الثلاثاء 30 آب 2022، في المستشـــفى المركزيّ العياديّ التابع للرئاسة الروســـية. غورباتشـــيف المولود من عائلة ذات أصول روســـية وأوكرانية سنة 1931 في جنوب روســـيا، أصبح أميناً عاماً للجنة المركزية للحزب الشـــيوعيّ عام 1985. حاول جاهداً تنفيذ برنامج البيرسترويكا أكبر عمليّة إصلاح سياسيّة واقتصاديّة في تاريخ الاتحاد السوفياتي، لكنّه لم يستطع اســـتيعاب حجم التغييرات الاجتماعيّة، فكانت سلسلة من الأخطاء والخطايا. حصل على جائزة نوبل للســـلام عام 1990. اضطر غورباتشـــيف في النهاية إلى الاســـتقالة يوم 25 كانون الأوّل 1991، معلناً سقوط الاتّحاد السوفياتي. وقد أعرب الرئيس الـــروسيّ فلاديمير بوتين عـــن خالص التعازي لوفاة الزعيم الســـوفياتيّ الســـابق. أمّا الرئيس الأميركيّ جو بايدن فأبدى أســـفه لوفاة غورباتشيف، منوّهاً بـ قائد نادر ساهم في جعل العالم أكثر أماناً.

وفي مفاجأة مدروســـة وتحفيزيّة لمســـار الحرب الأوكرانيّة، لمّح حليف بوتين الدائم رئيس الشيشان رمضان قديروف مطلع أيلول 2022، إلى إمكانيّة استقالته من منصبه الذي يشغله منذ 15 عاماً، بينما جدّد رئيس روســـيا البيضاء ألكســـندر لوكاشينكو دعمه لبوتين. وبينما أعلنت الشركة الروسيّة العملاقة غازبروم توقّف العمل في خطّ ضخّ الغاز نورد ستريم 1 إلى أوروبا، إلى أجل غير مســـمّى، بسبب ضرورة إصلاح تسرّب نفطيّ حاصل في توربين حيويّ، تجاهل الكرملين بشـــكلٍ مثير للدهشة، مســـألة انضمام السويد وفنلندا إلى حلف شمال الأطلسي، وســـط مخاوف جدّيّة من دول البلطيق: إســـتونيا ولاتفيا وليتوانيا، التي تحاول عدم اســـتفزاز موســـكو، مع قدرة الرئيس الروسيّ على استيعاب الحراك السياسيّ التركـــيّ، والتدخّل لمنع حصول أيّ شـــكلٍ من المواجهة بين أرمينيـــا وأذربيجان في هذه الظروف الدقيقة!! وفي مفاجأة أخرى قد تريح موســـكو وتطوّق الجهود الغربيّة، طالبت

بولونيا رسـمياً، يوم الخميس 1 أيلـول 2022، ألمانيا الاتّحادية، بتعويضـات ماليّة جرّاء الأضرار التي لحقت بها خلال الحرب العالمية الثانية!!

وأعلن الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين، في خطاب متلفز ومسجّل، يوم الأربعاء 21 أيلول 2022، التعبئة الجزئيّة للمواطنين الروس في الاحتياط، والذين سـبق أن خدموا بلادهم، وهذه خطوة متقدّمة في الحرب الأوكرانيّة. وشـنّ الرئيس بوتين هجوماً شاملاً على النظام الأوكرانيّ، وداعميـه الغربيّين، متّهماً أيّاهم بإذكاء نيران الحـرب، ودعم اليمين المتطرّف المتحالف مع نظام كييف، وأكّد بوتين أن روسـيا ستدعم بشكل حاسم، قرارات شعوب مناطق دونباس وخيرسون وزاباروجيا الأوكرانيّة المشروعة، بما يمهّد رسميّاً لضم محتمل لمناطق تشـكّل بين 15 و20 بالمئة من الأراضي الأوكرانيّة!! وجدّد الرئيس بوتين تصميمه الكامـل بتحرير منطقة دونباس، ملمّحاً إلى قدرات روسـيا النوويّـة الفائقة، تلميح على شـكل تهديد... يدرك الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين مخاطر الحرب النوويّة الشاملة على العالم، ولكنّه يستخدم احتمالات الحرب النوويّة لتوثيق الحضور الروسيّ الفاعل في الحرب الأوكرانيّة، نجاحاً يمهّد لاتّفاقيّـة بين الطرفين الروسيّ و الأوكرانيّ، تكرّس انتصاراً ولو محدوداً ولكن محدّداً للكرملين...

وبعـد انهيار حكومة الوحـدة الوطنية الإيطاليّـة وتقديم رئيس الـوزراء ماريو دراغي استقالته، يوم 21 تموز 2022، إلى الرئيس سيرجيو ماتاريلا، الذي قبلها بطبيعة الحال مقرّراً حلّ البرلمان فـوراً، وتحديد انتخابات مبكرة يوم 25 أيلـول 2022... وفي خطوة انتخابيّة ملفتة أوروبيّاً، وبعد أسابيع معدودة من انتصار اليمين المتطرّف في الانتخابات السويديّة، فـاز حزب جورجيا ميلوني المعروف ب فراتيلي ديتاليا، أي إخوة إيطاليا، والذي له أصول وجذور فاشيّة جديدة، بنسبة عالية من الأصوات في الانتخابات الإيطاليّة، يوم الأحد 25 أيلول، وفق النتائج العامّة... ميلوني التي تقود ائتلافاً محكماً، يتوقع أن يفوز بغالبية مقاعد البرلمان، ويؤلـف حكومة هي الأكثر يمينيّة في إيطاليا منذ الحـرب العالمية الثانية!! وهذا التغيير هائل ومتقدّم في إيطاليا العضو المؤسّس في الاتحاد الأوروبيّ، وثالث أكبر اقتصاد في

منطقة اليورو!! أخيراً وليس آخراً، عبر اندلاع الحرب الأوكرانيّة، تلقّف الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين، بيديه الباردتين، كرة اليمين المتطـرّف في أوكرانيا، الملتهبة والمدعومة من الولايات المتّحـدة والغرب، ورماها باتّجـاه أوروبا، لإحداث التغيـير المنتظر في أوروبا الغربيّة خصوصاً...

وفي إطار اسـتراتيجيّ هو الأخطر منذ اندلاع الحـرب الأوكرانيّة، أعلن الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين، يوم الجمعة 30 أيلول 2022، أنّ مناطق لوغانسك ودونيتسك وزاباروجيا وخيرسـون الأوكرانية باتت روسـيّة!! وفي حفل اسـتضافة الكرملين لمراسـم الضمّ، ألقـى بوتين خطاباً مطولاً أكّـد فيه أنّ ضمّ المناطق الأربع الجديـدة للاتحاد الروسي يعبّر عن الإرادة الشـعبية للملايين حسب نتائج الاسـتفتاءات، وأنّ سكّان تلك المناطق باتوا مواطنين روسـيّين إلى الأبد!! بينما أبدى الرئيس الأوكرانيّ فلوديمير زيلينسكي اعتراضه الشديد على هذه الخطوة!! لقد ازدادت القضيّة التاريخيّة الأوكرانيّة تعقيداً وتأزّماً...

استناداً إلى خطوة اسـتراتيجية، خلال شـهر آذار 2022، بعد اندلاع الحرب الأوكرانيّة، أصدرت الدول ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن: الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والصين وروسـيا، بياناً صريحاً، تؤكّد وتتعهّد فيه العمل على منع انتشار الأسلحة النووية في العالم، بما في ذلك بطبيعة الحال الحيلولة دون احتمال اندلاع حرب نوويّة شـاملة، لأنّها مدمّرة بالكامل، ولا يمكن لأحد حسـمها وكسبها. وقد أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بشـكلٍ واضح، خلال شهر آب 2022، أنّ روسـيا، كدولة طرف في معاهدة عدم انتشار الأسـلحة النووية، ملتزمة بنصّ المعاهدة وروحها. وأنّ الروس أوفياء بالتزاماتهم كاملةً بموجب الاتفاقيات الثنائية مع الولايات المتحدة الأميركية، بشأن خفض الأسلحة النوويّة، وحتّى الحدّ منها. إلّا أنّ مخاطر نشـوء مواجهة نوويّة تبقى قائمة على ضوء الدعم المطلـق لأوكرانيا من قبل حلف شـمال الأطلـسي بزعامة الولايات المتّحـدة. وفي إطار تحذيرات مترابطة، صدرت عن الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين ومساعديه خلال الأسابيع الماضية، أصدر ديمـتري ميدفيديف نائب رئيس مجلس الأمن الروسيّ، والرئيس الروسيّ

السـابق، مؤخّراً تحذيراً نووياً جديداً وقاسـياً لأوكرانيا والمعسكر الغربيّ بقيادة الولايات المتّحدة الأميركيـة. وقد اختلف تحذير ميدفيديف عن التحذيرات السـابقة، في أنّه توقّع لأوّل مرّة، أنّ الولايات المتّحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي، لن يغامرا بحرب نوويّة شاملة. وعلى هامش المواجهات الكلاميّة، أكّد حلف شمال الأطلسي، أنّ استخدام روسيا الأسلحة النوويّة لن يكون مقبولاً، وعواقبه ستصبح وخيمة.

إلى ذلك بدت مسـاندة الصينيّين للمبادرة الروسـيّة خلال الحرب الباردة الثالثة واضحة وصريحة، ففي حين تسـعى إدارة الرئيـس الأميركيّ جو بايدن بكلّ قوّتهـا لنيل موافقة الكونغرس الأميركيّ على بيع أسلحة لتايوان بقيمة تفوق المليار دولار بقصد جعل تايوان كمحميّة أميركيّة قوّة ضاربة لا يُستهان بها، تكثّف الصين مناوراتها العسكرية المركّزة حول تايوان، على كافة المستويات، وثمّة هدفان لذلك: الأوّل تطويق خيارات تايوان العسكريّة المستقبليّة واستفزاز الولايات المتّحدة الأميركية نفسـها، وثانياً دعم الكرملين في مسيرته الأوكرانيّة!!

لن يكون تقـدّم الجمهوريّين في انتخابات الولايات المتّحدة النصفيّة على مسـتوى مجلس النوّاب (وشـبه التعادل بينهم وبين الديموقراطيّين على مسـتوى مجلس الشـيوخ) يوم 8 تشرين الثاني 2022، ولا دخول القوّات الأوكرانيّة إلى خيرسـون يوم 11 تشرين الثاني بعد انسحاب تكتيكيّ روسيّ مجهول الأبعاد، حاسمين في تعديل مسار الحرب الأوكرانيّة، على أبواب شتاء قارس...

على ضوء الأبعاد الاجتماعيّة والاقتصاديّة والجيوستراتيجيّة والتاريخيّة للحرب الأوكرانيّة، يتمّ تقييم محاولـة اغتيال المفكّر الروسيّ الأوراسيّ ألكسـندر دوغين – المقرّب والمؤثّر في محيط الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين – الراسـم مسـتقبل روسـيا المتألّقـة انطلاقاً من ماضيها العظيم وحاضرها الصامد، المؤيّد للمعسـكر الشرقيّ مبـادراً وجريئاً، والمُعادي بشـدّة للحراك اليمينيّ المتطرّف، سواء في مناطق الاتّحاد السـوفياتي السابق، وخصوصاً أوكرانيـا... محاولة الاغتيال التي انتهت بفقدان ابنتـه الطموحة أيضاً داريا دوغين... أمّا

الرئيس الروسيّ بوتين، فيستلهم من تجارب روسيا المُنتصرة والاتّحاد السوفياتي العنيد، خير أمثولة ليخوض غمار الحرب الأوكرنيّة في محاولة لطرح حلول حاسمة ونهائيّة، لتشكيل الدولة الأوكرانيّة والصراعات المحتملة بين الاتّحاد الروسيّ وأوكرانيا حاضراً ومستقبلاً، ومن أبحاث دوغين وأمثاله ما يهبه الحقّ التاريخيّ الشرعيّ، مستفيداً من تجربتي الزعيمين السوفياتيّين جوزف ستالين وليونيد بريجنيف بشكلٍ خاصّ، محمّلاً فلاديمير لينين وزر المعضلة التاريخيّة، واليمين العالميّ المتطرّف والنازيّة الجديدة والقوميّة الأوكرانيّة أسباب الحرب بامتياز... ليست الحرب الأوكرانيّة مجرّد مسرح واسع وشامل من العمليّات العسكريّة والأمنيّة والاستخباريّة: إنّها حرب فكر وفلسفة استراتيجيّة أيضاً... تسجّل الحرب الأوكرانيّة، مع تبدّد متواصل لزمن جائحة الكورونا كوفيد 19، حاجة الدول الكبرى والصغرى كما الغنيّة والفقيرة إلى مراجعة شاملة لأنظمتها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والصحيّة بسبب الكورونا فكان التوقيت المُناسب لحسم أزمة أوكرانيا إذا أمكن ذلك، مع ملاحظة تقدّم نسبيّ للمحور الصينيّ – الروسيّ اقتصاديّاً وسياسيّاً على حساب المحور الأميركيّ – الغربيّ بسبب المبادرة الروسيّة مرفقة بجرأة الصين الفائضة وقدرتها على احتواء الكورونا كما الاستفادة من الحرب الأوكرانيّة لتشديد حصارها على تايوان وتالياً تقوية نفوذها في منطقة الشرق الأقصى، ليكون الزمن الآتي زمن الغزو الصيني للأسواق الاقتصاديّة العالميّة مع دعم وافر للدول والشركات للخروج من الأزمات الماليّة والتعثر النقديّ إلّا أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة ستقاوم التقدّم الصينيّ الاقتصاديّ بشراسة بالغة وبارزة في حرب أوكرانيا كمثل صريح، وعلى ضوء ذلك مع تحقيق الروس أهدافهم الأساسيّة في الحرب الأوكرانيّة بضمّ القرم ومناطق لوغانسك ودونيتسك وزاباروجيا وخيرسون إلى روسيا ومع الصمود القويّ للدولة الأوكرانيّة والمبادرات الهجوميّة الدائمة للجيش الأوكرانيّ ستتسابق الولايات المتّحدة الأميركيّة والصين على تحقيق السلام بين روسيا وأوكرانيا!! وفي واقع الأمر، ستتعرض المنظومات السياسيّة الكبرى عبر العالم إلى خضّات بنيوية محتملة، مع ارتفاع منسوب الخيارات اليمينيّة المتطرفة خصوصاً في أوروبا الغربية بعد هدأة النازية الجديدة في أوكرانيا متى

تنتهي الحرب، والعين على ألمانيا... ولذلك يتّضح المجال بعد الحرب الأوكرانيّة عسكريّاً واستخباريّاً: دخل العالم الجديد مجال الجيلين الخامس والسادس من الحروب، حيث تنسحب براعة الجيوش البريّة والبحريّة والجويّة أمام الإمكانيات الاستخباريّة الجديدة والمتفوّقة والقرارات الجيوستراتيجيّة الخطيرة والمعقّدة... نعم، ستبصر الشعوب المعارك العسكريّة المحدّدة، والأحداث الاستخباريّة المفصليّة والمدوّية، لكنّها لن تستطيع استيعابها بسرعة!! ويبقى الرهان مستقبلاً، بعد الحرب الأوكرانيّة، على احتمال التعاون الاستخباريّ بين أجهزة الاستخبارات العالميّة، لإحلال سلام نسبيّ وتوازن شامل، على مستوى هذا العالم الجديد... بعض النجاح الأوكرانيّ – والأوكران يقاتلون بشراسة مشهود لها في المدى الأوكرانيّ – لا يكفي تماماً لتحديد مستقبل المعركة الكبرى ونتائجها وتداعياتها، وخصوصاً في ساحات المعركة حيث لا يزال يتبادل الفريقان الهجوم والدفاع... كما أنّ قدرات الرئيس فلوديمير زيلينسكي الخطابيّة الجيّاشة لن تجدي كثيراً، ومغامراته الدعائيّة الهادفة لن تنفع بشكل كامل، أمام إصرار الرئيس فلاديمير بوتين صاحب الباع السياسيّ والاستخباريّ الطويل والخبرة الاستراتيجيّة المتقدّمة، وأمام حضور الكرملين المتجذّر في التاريخ، وهو: حصن المفاجأت وقلعة الغموض ومركز المبادرات، بامتياز... وبالنسبة للروس، أوّلاً وأخيراً: لا شيء أعلى من موسكو إلّا الكرملين، ولا شيء أعلى من الكرملين إلّا السماء!!

الشعوبية صناعة عربية

د. هنادي أمين – الجامعة اللبنانية

عرف التاريخ الإسلامي في عصر «صدر الإسلام «دخول شعوب وقوميات وأعراق وأديان إلى داخل الحدود المتوسعة للإسلام، وهذه الشعوب تقبلت بعضها الإسلام كدين وكدولة، إلا أنها لم تعلن رفضها لواقعها الجديد لأسباب عديدة.

فهل هو الخوف من المسلمين ودولتهم القوية؟ وكيف استطاعت فئات متطرفة من هذه القوميات والشعوب من إعلان رفضها وحربها على العالم الإسلامي فيما بعد؟ ولماذا؟ ومن هذه ما عرف باسم «الشعوبية» التي خرجت وأطلت برأسها وبوضوح خلال العصر العباسي الأول، ولكنها لم تنجح في مهماتها، فلماذا؟

مع قيام الدولة الإسلامية واتساع حدودها، لتضم شعوباً مختلفة جعلت من هذه الدولة الفتية متألقة حضارياً وفكرياً بما دخل إليها من مختلف الثقافات والأديان والمذاهب.

وبعض هذه الشعوب لم تقبل بالهزيمة أما التوسع العربي الإسلامي، ومنهم الفرس أصحاب الحضارة العريقة تاريخياً، خصوصاً وأن هؤلاء اعتبروا أنفسهم أعلى شأناً من العرب، وأقاموا إحدى إمبراطوريتين حكمت وسادت قبل الإسلام، لذا سعى بعض مفكري الفرس وقادتهم وكبرائهم إلى مواجهة النفوذ العربي فكرياً وسياسياً، مع سقوط إمكانية المواجهة العسكرية، وهو ما أُطلق عليه لفظ» الشعوبية»[1].

وفي تعريف الشعوبية:

الزبيدي: قال ابن منظور: «وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل

(1) فيليب حتي، تاريخ العرب، بيروت: دار غندور، ط9،1994، ص 473 – 474.

لمحتقر أمر العرب لفظاً: شعوبي... وهم فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم...»[1].

وبالتالي فإن الشـــعوبية هي عبارة عن حركة فكرية هدفها سياسي، هدفه محاربة الدولة العربية وإعادة الحياة إلى الدولة الفارسية.

وقد أكد ذلك:

2 – الزمخشري في أســـاس البلاغة قائلاً: «وفلان شـــعوبي ومن الشـــعوبية وهم الذين يُصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم...»[2]

ونظراً لنشاط الشـــعوبية وأهدافها، أطلق العرب لفظ «شعوب» على الزنديق والملحد، على اعتبار أن الزندقة والإلحاد هي مظهر من مظاهر كره العرب.

3 – وفي البيان والتبيين ورد: «أما الشعوبية فتعني تعصب كل شعب لقوميته وحضارته، وبغض العرب، وقد اشتدت هذه الحركة في العصر العباسي ولا سيما الزمن الذي عاش فيه الجاحظ، ونجمـــت عن تعدد الشـــعوب التي ضمها المجتمـــع العباسي من فرس وزنـــج وروم وهنود إلى جانب العرب الذين يمثلون الأمة الحاكمة، فكانت محاولة هذه الشعوب إثبات وجودها والإدلال بمآثرها وحضارتها والبرهنة أن العرب ليسوا أفضل من سائر الأمم بل هم دونها شأناً»[3].

ومن الأمثلة على تهجم الشعوبية على العرب قولهم: «إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نســـاء بعض في غاراتهم بلا عقد نكاح ولا اســـتبراء من طمث، فكيف يدري

(1) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبد الســـتار أحمد فرج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1965، 3: 143 – 144.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باس، بيروت: المكتبة العلمية، ط1، ج1، ص 509.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423 هـ، ج1، ص 23.

أحدهم من أبوه»[1].

4 – الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، يورد في مقدمة الجزء الثاني: «أردنا – أبقاك الله – أن نبتدء صدر هذا الجزء الثاني من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب وملوكهم، إذ وصلوا إيمانهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسيّ والعصيّ وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقني...»[2].

الدور الأموي في آثارة الشعوبية:

اعتمد الأمويون – كما لاحظنا – الشدة في معاملة غير الموالين لهم فعملوا على تفتيت حركات المعارضة، وإحياء العصبية القبلية، التي حاربها الإسلام وحاصرها، مما ساهم في نمو الصراع بين القبائل وغلبة الشعر للفخر والهجاء على الفقه والعقل[3].

كما استخدم الأمويون الشدة في معاملة العامة من عرب وعجم وغيرهم بعيداً عن الاسلام وأحكامه:

- زياد بن أبيه يخطب في البصرة مهدداً بأنه سيأخذ الحاضر بالغائب والبريء بالمذنب.
- مسلم بن عقبة المري، يستبيح المدينة المنورة بعد موقعة الحرة ثلاثة أيام لجنوده، فيقبل 700 من وجوه المهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من غيرهم.
- الحجاج بن يوسف، يقوم في مسجد الكوفة يهدد بأنه يرى رؤوساً قد حان قطافها...[4].

(1) ابن عبد ربه الأندلس، العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404 هـ، ج3، ص 360.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، ج2، ص 5.

(3) أحمد فرج الله، الزندقة والشعوبية، موقع ضياء للدراسات المعاصرة، ص 79 – 8.

(4) المرجع نفسه، ص 79.

كـــما صرفت أموال المســـلمين في اللهو، وحلّت دمشـــق مكان مكـــة والمدينة والكوفة والبصرة، واســـندت ولاية العهـــد إلى أربعة متتابعين من الخلفاء، وعلى مدى تســـعين عاماً[1].

هذا الوضع كانت نتيجته إثارة الحقـــد والكراهية على النظام الحاكم، فقامت الثورات، منها ثورات للمطالبة بحقوق مسلوبة، ومنها للمطالبة بالحكم.

ومن هـــؤلاء الموالي وأبرزهم الفرس، الذين انضمـــوا إلى كل ثورة كانت تقوم في وجه الأمويين:

1 – انضموا إلى الخوارج ضد الأمويين.

2 – انضمـــوا إلى المختار الثقفي في ثورته للأخذ بثأر الإمام الحســـين من علي بن أبي طالب(ع).

3 – انضموا إلى ابن الأشعث في ثورته[2].

وبالتالي بدأت الحركة الشعوبية تأخذ شكلها من خلال الموقف المعادي للحكم الأموي العربي، وكان كل تحرك أو مشروع ثورة يعتمد على جانب العرب على الموالي من الفرس.

وقد أكد ذلك شـــوقي ضيف بقوله: «وقد مضى الأمويون ينحرفون عن جادة الدين في معاملـــة الموالي فهم يرهقونهم بكثرة الضرائب، وهم لا يســـوون بينهم وبين العرب في الحقوق، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز، ولكن فترة حكمه كانت قصيرة، فلم يؤت عمله في هذا الجانب أي ثمرة وكانت هذه المعاملة الســـيئة للموالي ســـبباً في إضطغانهم على العرب»[3].

(1) المرجع نفسه، ص 80.

(2) المرجع نفسه، ص 82.

(3) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، مصر: دار المعارف، ط1، ص 74.

وبالتالي فإن هذه النزعة المعادية للعرب قد ولدت من نتاج العلاقة السيئة التي كانت بين الأسرة الأموية والفرس، الذين سارعوا إلى دعم كل الثورات على الأمويين، وهو ما يظهر لنا دور الفرس في دعم الأسرة العباسية والمساهمة في القضاء عليها. «حيث التفّت منهم جماعات كثيرة حول أبي مسلم داعية العباسيين بخراسان، وما لبثوا أن زحفوا في جيش ضخم أدالو به للعباسيين من الأمويين، وللفرس من العرب، إدالة نفذوا في أثنائها إلى مناصب الدولة العباسية العليا بحيث كان منهم القادة وأكثر الولاة، وخاصة حين استولى على أزمة الحكم البرامكة في عهد الرشيد، وبنو سهل في عهد المأمون، وكان هذا التحول الخطير في مقاليد الحكم، وما أصبح للفرس من مكانة رفيعة في المجتمع العباسي الجديد سبباً في بروز نزعة الشعوبية»[1].

وقد لعبت عدة عوامل دورها في نشأة هذه النزعة، ومنها نزعة الفخر والمدح والهجاء التي كانت منتشرة منذ الجاهلية عند العرب، وقد زادت حدة هذه الظاهرة في العصر الأموي حدود الصراع بين قبيلتين، واتسعت لتشمل القبائل مجتمعة، حيث هجا الكميت قبائل اليمن كلها، ورد دعبل بهجاء نزار كلها بجميع قبائلها.

ومع الفتوح الإسلامية، ودخول الموالي في حضن الدولة العربية الإسلامية، تعلموا اللغة العربية واتقنوا نظم الشعر، وكان من بينهم من دخل في الإسلام خوفاً أو طمعاً، وقد عاملهم العرب في البداية معاملة جيدة، كإخوان لهم في الدين، لذلك لم نعثر على مظهر من مظاهر الشعوبية في العصر الإسلامي الأول زمن الخلفاء الراشدين[2].

مع أن بعض المؤرخين يعيدون أصل الشعوبية إلى بدايات الدولة الإسلامية العربية، وإلى عصر الخلفاء الراشدين أنفسهم حيث اعتبروا حادثة اغتيال الخليفة عمر بن

(1) المرجع نفسه، ص 75.

(2) أحمد فرج الله، المرجع السابق، ص 84.

الخطاب(رضي) من قبل أبي لؤلؤة الفارسي بداية الحركة الشعوبية[1].

إلا أن التاريخ يذهب عند معظم الباحثين للتأكيد على أن العصر الأموي هو بذرة الشعوبية حيث اختلفت سيرة الحكام وضعف الدين بشكل كبير.

وكان لافتخار العرب بأنفسهم، وحطهم من قيمة الموالي الذين أخذوا بحد السيف، وإزدرائهم بهم، التعالي عليهم، حتى انهم كانوا لا يمشون في صف معهم، ولا يكنونهم، وإن حضروا طعاماً قاموا على رؤوسهم، وأحياناً ساووا بينهم وبين الكلاب والحمير، حتى قيل: «لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى»[2].

ومع ازدياد قوة الموالي وظهور الأدباء والشعراء والمفكرين، بدأوا يطالبون بحقوقهم وبالمساواة مع العرب، متذكرين ماضيهم وما أصبحت عليها حالهم في العصر الأموي، تحت عناوين إسلامية:

- فلا فضل لأمة على أمة، ولا لقوم على قوم إلا بالإسلام الذي ساوى بينهم..

- إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[3].

ولا يعرف المرحلة الأبرز لهذا الانتقال من حال إلى حال عند الموالي، الذين أصبحوا أشد المناوئين للعرب فيما بعد وأكثرهم حقداً عليهم، إلا أن المرحلة الأبرز لهذه الحركة الشعوبية كانت مع العصر العباسي، حيث وبوضوح أخذ الموالي وأكثرهم من الفرس، يهاجمون العرب ويطعنون بهم، وهذا ما لم يكونوا يقومون به في الزمن الأموي[4].

وقد ساعدت عدة ظروف على تمكين الفرس داخل الدولة العباسية وأبرزها صراع

(1) محمد بن أحمد التميمي الأفريقي، المحن، تحقيق عمر العقيلي، الرياض: دار العلوم، ط1، 1984، ص 62.

(2) أحمد فرج الله، المرجع السابق، ص 85.

(3) المرجع نفسه، ص 85.

(4) المرجع نفسه، ص 86.

الأمين والمأمون على الخلافة، حيث عهد هارون الرشيد للأخوين بالخلافة على التوالي، إلا أن الأمين سعى إلى خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فدارت بين الأخوين الحرب، حيث انحاز الفرس إلى المأمون الذي كانت والدته فارسية، بينما انحاز العرب إلى الأمين وكانت والدته «زبيدة «عربية.

وكان على رأس جيش المأمون قائده الفارسي طاهر بن الحسين الذي طارد الأمين وقتله وحمل رأســه إلى المأمون، وكان ثمن هذا العمل نشوء أول إمارة فارسية بعد قيام الدولة العربية الإسلامية في خراسان، هذه الإمارات الفارسية التي غلبت عليها الثقافة واللغة والتقاليد الفارسية، ساهمت في انحلال وتفسخ الخلافة العباسية فيما بعد[1]

تلا الإمارة الطاهرية في خراسان الإمارة الصفارية التي عنيت بإحياء الآداب الفارسية، فظهر فيها أول شاعر نظم الشعر باللغة الفارسية بعد الإسلام، فكان يعقوب بن الليث الصفار أول من وضع الأساس للاستقلال السياسي والثقافي الفارسي[2].

تلا الإمــارة الصفارية، الإمارة الســامانية التــي اعتبرت المؤســس الحقيقي للحركة الاســتقلالية الفارسية، حيث ربطوا أنفســهم بالبطل الساســاني «بهرام»، وتوسعت دولتهم لتشمل خراسان وكرمان وبلاد ما وراء النهر[3].

وأفضل من يصور لنا أهداف هؤلاء وغاياتهم هو الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الذي وضعه كما يبدو للرد على الشعوبية، حيث يقول: «إن عامة من ارتاب في الإسلام كانت الشــعوبية أساس رتباطهم، فلا تزال الشــعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى ينسلخوا من الإسلام، لأنه نزل على نبي عربي...»[4].

(1) شوقي ضيف، المرجع نفسه.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين ن المصدر السابق، ج1، ص 1043.

وأمام حدة الخلاف الذي نشـأ بين الفرس والعرب، عمل هؤلاء الفرس على استخدام السلاح الأدبي في حربهم (من شعر ونثر):

فقد اعتمدت الشـعوبية على العنصر الثقافي العريق عندهـم تاريخياً، في محاربة العرب وثقافتهم، فكان الأدب من شعر وقصة وخطبة وحكاية وأمثال، أدوات في هذا الهجوم، وتحديداً كان الأدب الشـعبي هدفه زرع الشقاق وإثارة النعرات والكراهية بين العرب وغير العرب، وفي ذلك الزمان اعتبر الشـعر أهم أداة من أدوات هذه الحرب، حيث أن الشـعر كان أكثر الأنواع الأدبية انتشاراً وحفظاً، ووسيلة دعاية وإعلام مهمة، ويُتناقل بين الناس بسرعة، كما القصص والأساطير للحط من منزلة العرب وإثارة العداء بينهم وبـين الفرس، لذلك ظهرت أقلام عربية في هذه الحرب، ردّت على الشـعوبية وحملت لواء الدفاع عن العربية، في عصر أصبحت فيه اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، لغة الفقه والآداب، وعلوم الطب والصناعة، واعتمدت في التعليم في مدارس خراسان ونيسابور وبخارا وسـمرقند، كما ظهرت المؤلفات العربية في الفلسفة والطب والأدب للبيروني والفارابي والرازي. وانبرى عدد من الأدباء العرب لمواجهة الشـعوبية، أمثال الجاحـظ وأبو حيان التوحيدي وابـن قتيبة، حيث يورد ابن عبد ربـه في العقد الفريد تلخيصاً لردود ابن قتيبة بإسم رد ابن قتيبة الشعوبية في تفضيل العرب[1].

وأكثر ظاهرة كانـت منتشرة خلال هذا الصراع هو التعصب من قبل الموالي أو العرب، بعيداً عن الدين، مآثر عربية مقابل مآثر فارسـية، وكل طرف ينقض مآثر الآخر، ويحط من شأن الآخر، ويعمل على نشر وتعميم ما يحط من شأن الطرف الآخر[2].

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عند ابن قتيبة في العقد على لسان الفرس وهم يردون على العرب بتقدمه على غيرهم:

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبد الجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، 356 – 357.

(2) حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت: دار الحبيل، ص 158 – 161.

«... أخبرونـــا إن قالـــت لكم العجم هل تقـــدرون الفخر كله أن يكـــون ملكاً أو نبوة فإن زعمتم أنه ملـــك، قالت لكم وإنّ لنا ملوك الأرض كلها مـــن: الفراعنة والنمارذة والعمالقـــة والأكاسرة والقيـــاصرة... وإن زعمتم أنّ لا يكون الفخـــر إلا بنبوة فإنَّ منا الأنبياء والمرســـلين قاطبة من لدن آدم ما خلا أربعة: هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمد... ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شـــق من الأرض، لهـــا ملوك تجمعها، ومدائن تضمها، وأحكام تدين بها، وفلســـفة تنتجها، وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات، مثل صنعة الديباج ولعب الشطرنج... ومثل فلسفة الردم.. والإسطرلاب... ولم يكن للعرب ملك يجمع ســـوادها ويضم قواصيها ويقمع ظالمها وينهي سفيهها، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولأثر في فلســـفة إلا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيها العجم»، ويتطور التهجم على العرب ليصفهم: كـــ: الذئاب العادية، والوحوش الناخرة، يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض، فرجالها موثوقون في حلق الأسر ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الإبل...»[1].

وقد نســـبت الشعوبية إلى الزندقة وربط بينهما، إلا أن هذا الخلط بينهما مشكوك فيه، لأن لكل حركة منطلقات فكرية مختلفة عن الأخرى بل ومتباعدة أيضاً.

فالزندقة نزعة فكرية تنكر وجود الله تعالى أو تشـــك فيه أو تنكر نبوة محمد (ص) وباقي النبوات.

والزندقة هي فوق الشـــعوب والأجناس، واقدم من الشعوبية أيضاً بل والزندقة تسبق الإســـلام ولا ترتبط بزمن معين أو شعب معين، بينما الشعوبية هي حركة سياسية ثقافية وفـــوق ذلك قومية، ظهرت ضمـــن ظروف الصراع العربي والشـــعوب التي انضمت مكروهة إلى الدولة العربية، وبالأخص الفرس، وكان لبعض هذه الشعوب قوة ونفوذ فاق العرب، وهم الفرس.

(1) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار الساقي، ط4، 2001، ج1، ص 264.

إلا ان هاتين الحركتين تقتربان من بعضهما بفعل بعض العوامل:

1 – الشعوبية ظهرت كرد فعل حضاري وسط الفرس والموالي، طالبت بمساواة العرب بالشعوب الأخرى[1].

وهؤلاء الموالي خرج منهم العديد من رجال الفكر في مجالات الأدب والشـــعر والعلوم المختلفة، كما قاتل بعضهم مع المسلمين وإلى جانبهم، وتخلوا عن تاريخهم، ولعبوا دوراً كبيراً في الرد على الشعوبية وضحد أفكارها كالجاحظ مثلاً[2].

بينما نجد في الزندقة العديـــد من العرب، ومنهم الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك[3]. وآخر خلفاء بني أمية مروان وغيرهم[4].

ومن الشعوبية من انضم إلى الزندقة أو العكس، وكثر منهم من الشعراء.

إن فشل الشعوبية، رغم حراكها القوي، يعود إلى الأسباب التالية:

1 – عـــدم قدرتهم على مجاراة الأدب الجديد وطبقة المثقفـــين القوية التي تحولت إلى ادب الجاحـــظ وابن قتيبة والتوحيدي والثعالبي وأســـامة بن منقذ، والأصمعي والبلاذري وغيرهم.

2 – النظـــرة المرنة التي أنصفت بهـــا الكتاب العربية، مقابل النظـــرة العنصرية عند الشعوبية بالإضافة إلى ضيق الأفق عندهم[5].

هكذا استطاع الإسلام بما رسخ من مفاهيم وقيم وعقيدة قوية، جسدها القرآن الكريم

(1) المرجع نفسه، ص 97 – 98.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، ج3،ص 5 – 124.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج5، ص 371.

(4) فؤاد صالح السيد، معجم الألقاب والأسماء المستعارة، ص 73.

(5) فاروق عمر فوزي، قرارات ومراجعات في التاريخ الإسلامي، دار مجدلاوي، ص 98.

والحديث النبوي الشريف، وقوة رجال الأدب من الشعراء والمفكرين والفقهاء المسلمين الذين واجهوا هجوم الشـعوبية بخلفيته الفارسـية الحاقدة على الدولة الإسلامية التي فرضت نفوذها وسـلطتها وبعدها أزالت امبراطوريتهم الفارسـية الغارقة في تاريخها العريق.

وقد ساعد قيام إمارات فارسية في خراسان توسعت أحياناً نحو وسط آسيا، كما وصلت مـع البويهيين إلى بغداد عاصمة الخلافة لفترة من الزمن، أن تخفف من حدة الشـعوبية وتسـاهم في ركودها، إلا أن ذلك لا يعني أن الشـعوبية انتهت فهي لا تزال تعيش في النفوس وتوقظ برأسـها أحياناً حتى في عصرنا هذا، مما يظهر استمرارية الصراع العربي – الفارسي رغم مرور الزمن...

بعض الأمثلة حول الشعوبية داخل التاريخ الإسلامي:

من الجدير ذكره الى أن بعض الروايات التاريخية التي نقرأها ونظن بصحتها يعتقد بعض المؤرخين انها مدسوسة من قبل الموالي بهدف الحط من قدر العرب، وخصوصاً في العصر العباسي، ومن ذلك قصة العباسـة أخت الرشيد وعلاقتها مع جعفر البرمكي – الذي هو منهم – حيث ينقل: «**في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياريّ:**

«**قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان: سـألت مسرورا الكبير في أيام المتوكل وكان قد عمر إليها ومات فيها، عن سـبب قتل الرشيد لجعفر وإيقاعه بالبرامكة، فقال: كأنك تريد ما تقوله العامة فيما أدعوه من أمر المرأة وأمر المجامر التي اتخذها للبخور في الكعبة؟ فقلت: ما أردت غيره. فقال: لا والله ما لشيء من هذا أصل ولكنه ملل موالينا وحسدهم**».[1]

حيث ينقـل أن إحدى الجواري كانت تقـف خلف هذه التهمة أو الخيزران نفسـها، «**المعروف عنـد المؤرخين أن الخيزران أخبرت الرشـيد بذلك وحرضتـه على الإيقاع بالبرامكة، وقد روى الطبري غير ذلـك فقال: إن إحدى الجواري، لشر وقع بينها وبين**

(1) ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، القاهرة: دار الافاق، 2001، ص268.

عباسة أنهت أمرها للرشيد...»[1]

والغريب أن مثل هكذا تُهم صدقها كبـــار المؤرخين ووردت في كتبهم، حتى في العصر الحديث، مما يدل على مدى قوة الصراع بين العرب والموالي وامتداد هذا الصراع الى يومنا هذا، من خلال السياسة والتاريخ.

ومن أشكال الشـــعوبية أيضاً الصراع العربي – الفارسي حول التفاخر بالأنساب، حتى إننا أصبحنا نشـــكك بهذه الأنساب، فقد وجد العرب أنفســـهم أمام حضارات عريقة وواسعة الانتشار كالفارســـية والبيزنطية، حيث إن فكرة التنسيب عند العرب أخذت أبعاداً جديدة، لتأكيد وجودهم وتاريخهم وعظمة بلادهم، أمام شـــعوب خضعت لهم لها أصولها الحضارية العريقة: «**وهكذا تصبـــح الكتابات العربية التي ظهرت في العصر الإسلامي عن أنساب العرب وردها إلى سام بن نوح نتاجاً طبيعياً للظروف التي أحاطت بعرب شـــبه الجزيرة سواء في العصر الســـابق لظهور الإســـلام، أو بعد ظهور الدعوة الإسلامية وفترة الفتوحات العربية. وهي كتابات عكست تصور العرب آنذاك، ولكننا لا يمكن أن ننظر إليها الآن كحقائق علمية، وإن كانت من جهة أخرى لا تخلو من فائدة فيما تعكسه من اختلافات بين عرب الجنوب وعرب الشمال في شبه الجزيرة...**»[2]

حتى إن الشعر الجاهلي نفسه مشكوك به، فأمام قيام الشعوبية بنحل بعض الشعر الجاهلي لوصف العرب بالغلظة والبداوة والتخلف، قام العرب بنحل بعضاً من الشعر الجاهلي أيضاً يمجد العرب وصفاتهم، وبذلك يعتقد بأن الشـــعر الجاهلي وضع في القرنين الثاني والثالث الهجري، ولم يكن له وجود قبل ذلك[3].

وللأديـــب والمؤرخ المصري أحمد أمين موقف تجاه الـــصراع العربي – الفارسي الفكري

(1) المرجع نفسه.

(2) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص 87.

(3) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط. دار المعارف، القاهرة، ط4، ص 176 – 178.

التاريخـــي هذا، فهو يقول: «**لســـنا نعتقد تقديس العرب، ولا نعبـــأ بمثل هذا النوع من القول الذي يمجدهم ويصفهم بكل كمال، وينزههم عن كل نقص، لأن هذا النمط من القول ليس نمط البحث العلمي، إنما نعتقد أن العرب شـــعب ككل الشعوب، له ميزاته وفيه عيوبـــه، وهو خاضع لكل نقد علمي في عقليته ونفســـيته وآدابه وتأريخه ككل أمة أخرى، فالقول الذي يمثله الرأي الخاص لا يســـتحق مناقشة ولا جدلًا، كذلك يخطّئ الشعوبية أصحاب القول الأول الذين كانوا يتطلبون من العرب فلسفة كفلسفة اليونان، وقانونًا كقانون الرومان، أو أن يمهروا في الصناعات كصناعة الديباج، أو في المخترعات كالاصطـــرلاب، فإنه إن كان يقارن هذه الأمم بالعرب في جاهليتها كانت مقارنة خطأ، لأن المقارنـــة إنما تصح بـــين أمم في طور واحد من الحضارة، لا بـــين أمة متبدّية وأخرى متحضرة، ومثل هذه المقارنة كمقارنة بين عقل في طفولته وعقل في كهولته، وكل أمة من هذه الأمم كالفرس والروم مرت بدور بداوة لم يكن لها فيه فلســـفة ولا مخترعات. أما إن كان يقارن العرب بعد حضارتها، فقد كان لها قانون وكان لها علم وإن كان قليلًا..**»[1]

وقد انتقل تاثير الصراع بين العرب والموالي الى الأندلس حيث نلاحظ شـــعر العرب في الأندلس والتفاخر بالعرب وأصولهم، مقابل شعر المولدين الذين عادوا العرب ودعوا الى التخلص منهم، قال أحد الشعراء العرب في الأندلس:

منازلنا معمورة لا بلاقع... وقلعتنا حصن من الضيم مانع

ورد عليه الشاعر المدجني:

منازلهم منهم قفار بلاقع... تجاري السفى فيها الرياح الزعازع[2]

وبذلـــك امتد الصراع من الشرق نحو الأندلس، وهذا أمـــر طبيعي كون الأندلس هي

(1) أحمد أمين، فجر الاسلام، دار الكتب العلمية، 2004، ج1 ص 40.

(2) **د خليل إبراهيم السامرائي وغيره، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2000، ص326.**

صنيعة المشرق العربي، إلا أن طرفي الصراع لم يكن عربي – موالي، بل عربي – مولد، وهو إن دل فعلى كون أن هذا الخلاف الأدبي – الفكري، طبيعي ومحمود ويساهم في تقدم الحضارة من خلال الإبداع، كما يظهر أن العرب كانوا لا يزالون يحملون معهم نزعة التفاخر أينما حلوا، فهم حكموا العالم في تلك المرحلة من حدود الصين حتى بلاد الأندلس، وهو أمر لم يكن متوقعاً، لولا الإسلام، لذلك فإن نزعة التفاخر العربية هذه خرجت عن حدودها المعروفة وهو ما رد عليه الموالي، وتناسى هؤلاء وهؤلاء الآية الكريمة: «**{إِن أَكْرمكُم عِنْد الله أَتْقَاكُم}**[1].

بناء على ما ورد يكون كل من العرب الذين صنع دولتهم الإسلام، والموالي الذين دخلوا في الإسلام، قد عادوا الى ما قبل الإسلام، حيث الخلاف السياسي والصدام العسكري، لكن بأسلوب أكثر وعيّاً من خلال الأدب والفكر، والشعوبية بالتالي تظهر بأن الطرفين قد عادوا الى العصر الجاهلي مع ما يحمله من تفاخر في الأنساب والأصول، وحملوا معهم كل الفتوحات الإسلامية لتتحول الى غزوات فيما بعد، هدفها الكسب..

من يتحمل مسؤولية انتشار الشعوبية؟

يتهم العرب العجم بأنهم يقفون خلف حركة الشعوبية ولهدف وحيد هو تدمير الحضارة العربية وإظهار ضعفها أمام عظمة الحضارة الفارسية، في المقابل يعتبر من حمل راية الشعوبية بأن العرب تفاخروا عليهم كثيراً، واذا ما قارنا بين الحضارة العربية قبل الإسلام بباقي الحضارات لما كان لها قيمة... فأيهما على حق؟

يقول محمد كرد علي في شرحه للأخطاء التي وقعت بها الخلافة العباسية عند قيامها ودفعت ثمناً كرسي الخلافة الذي تراجع نفوذه وهيبته: «**وأهم الأغلاط التي ارتكبها المعتصم إدخال الأتراك في جنده، فكان الاعتماد عليهم في الجيش العباسي كالاعتماد على أهل خراسان الأعاجم لأول الفتح من أهم الدواعي في إغضاب العرب، فأدى هذا**

(1) الحجرات 517.

الإيثار إلى نزع الحكم من العباسيين، حتى دخل الوهن بدخول الأتراك على الدولة، فأضحت الخلافة العباسية بصنيعهم إسمية دينية فقط لا تتعدى قرى بغداد إلا قليلاً...» ثم يضيف مبرراً رأيه: «**وبعد أن كانت بغداد ترسل إلى الشام أولاد خلفائها وأعاظم قوادها من الأصول أصبحت ترسل إليها من الفروع أفريدون التركي وخاقان التركي ومحمد المولد من الموالي فظهر الفرق في صورة الحكم...**». وهذا التصرف كانت له تبعات: «**أفضى هذا التساهل مع الأعاجم والاعتماد عليهم، إلى جر البلاء على الخلفاء من بني العباس، وبعد أن كانت وصية إبراهيم الإمام الذي مات في سجن مروان الجعدي إلى أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة: انظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم، واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار واتهمته فاقتله أصبحت تفتح للأتراك أبواب دار الخلافة ولكل دخيل على العرب ولم يعد حكم لقيس ولا يمن بل للأعاجم من الفرس والترك والديلم..**» هذا العمل أعطى صلاحيات واسعة للعجم وللترك مما ساهم في تقوية العواطف الشعوبية: «**وفي أيام المأمون نشأت الدعوة الشعوبية أي الحط من قدر العرب وتفضيل العجم عليهم، فتبدلت روح الدولة، وأخذ العربي يبغض العجمي، والعجمي ينال من العربي، منذ كانت السلطة لأبناء خراسان...**»[1]

وكما قال ابن فضل الله العمري «**فلقد قوّت الشّعوبيّة، واحتمت لعصابتهم، حميّة العصبيّة، وأخذت قسراً شجر البيان، وحكمة ألسنة العرب وأدمغة اليونان، وكادت تبتزّ من دولة العرب مدينة السّلام، ولا تبقي لهم إلّا عائدة الملام...**»[2]

بذلك تكون الشعوبية وليدة العرب أنفسهم صنعوها بتصرفاتهم، وخلافاتهم الداخلية،

(1) محمد **كُرْد عَلي**، خطط الشام، دمشق: مكتبة النوري، ط3، 1983، ج1 ص169.

(2) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، أبوظبي، المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ، ج12 ص 125.

والفت والدسائس فيما بينهم، فاعتمدوا على العنصر غير العربي فأضحى قادة الجيش وأكثر المقربين من الأتراك والعجم، حتى وصلت الأمور أن ظهرت الدولة المملوكية التي خرجت من الجواري والغلمان، بل وأكثر من ذلك، لا نزال الى اليوم نسمع ونتناقش بقضية مهمة، أن أغلب العلماء المسلمين كانوا من بلاد فارس ووسط آسيا... وهي حقيقة توصلنا الى فضل تلك البلاد على حضارة العرب، ولكن الإسلام أتى ليجمع كل هذه الحضارات والشعوب ضمن بوتقة واحدة وهدف واحد، **ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**...

خاتمة واستنتاج

يعيد بعض المؤرخين والمفكرين الحركة الشعوبية الى تغلغل العنصر الأجنبي ولا سيما الفارسي في مفاصل الدولة، وتعلمهم اللغة العربية، وخوضهم في تعاليم الإسلام والقرآن، ومطالبتهم بالمساواة وفق القرآن والسنة، حيث لا فضل لعربي على أجنبي إلا بالتقوى. ويمكن تفصيل الأسباب التي أدت الى ظهور الشعوبية، وطغيانها وتحولها الى حركة سياسية هادفة، تمكنت من التأثير على مراكز القرار، بل وقادت حملة شرسة ضد الحكم والمجتمع، لا من أجل المطالبة بالمساواة بين العرب والعجم كما كان من المفترض، ولكن من أجل الحط من قدر الحكم العربي، والتقليل من قدره، ومعاداته الى حدّ الانتقاص والإلغاء.

ومن الأسباب الاجتماعية وراء هذه التحولات الشعوبية، تفضيل الفُرس أنفسهم على العرب، حيث كانوا يرَون أنفسهم أنّهم أرفع نسباً من العرب. ولعل هذه النزعة وجدت ما يغذيها عندما أتت الحضارة الإسلامية لتلغي معتقدات وعادات وتقاليد فارسية، مما أسس لحقد دفين، يستهجن إلغاء معالم حضارة من المفترض أنها الأرفع والأعرق.

ولكن من ناحية ثانية، يبدو أن الآداء السياسي بوجه الموالي، لاسيما في العهد الأموي، ترك آثاراً سلبية على تعزيز هذه النزعة وهذا الحقد، ودفع به الى التململ ناراً تحت

رماد. إذ عاش الموالي حالة من التناقض، حيث أسـند الخلفاء اليهم إدارة شؤون الحُكم كالإشراف على ديوان الخراج ووظائف الحراسـة؛ فيـما كان التعطي طبقي الى حد كبير مع الموالي، وأشـبه بالعنصرية التي عرفها العصر الحديث. فقد انتشرت في أذهان الموالي عقلية الرفض للاستغلال، والتحيّن من أجل استعادة القوة، والكرامة الحضارية. وكان لهم ما أرادوا كردة فعل على آداء غير مقارب لتعاليم الإسلام، فنمت في حلقاتهم الضيقة رغبة بالاستيلاء على الملك، على قاعدة المساواة وتحصيل الحقوق كما أقر القرآن والسنة. وبالفعل، بدأ الفرس يُعبّرون عن بواطنهم في عهد الدّولة العباسيّة لمّا تمكّنوا من البلاط وبعض المناصب الحسّاسـة؛ فجهروا بمُعاداتهم للعرب، ونسـبوا إليهـم الرذائل من الصفات، وكأن شعورهم القوميّ وجد الفرصة ليتنامى للحصول على مُلكهم الضائع.

ولعل الأسباب الاقتصادية وممارسة الحكم عززت من هذه البواطن، فجاء فرض الجزية على الموالي المسـلمين ليزيد من هذه النزعات. ومن أكثر الأخبار انتشارًا وذيوعاً في هذا الشأن ما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي لمّا ثار عليه الموالي وأهل الذمّة بالبصرة مع عبد الرحمن بن الأشعث، وحاول قمع ذلك الأمر فنقص عنه الخراج، فتمكّن منهم الحجاج ونقش على يدهم اسـم البلد الذي سيتوجّه إليها كلّ واحدٍ منهم، ولم يُسقط الجزية عن أيٍّ ممّن أسلم منهم. كما دُعي أهل الذمّة من سمرقند إلى الإسلام من قِبَل أشرس بن عبد الله السـلمي على أن تَسقط عنهم الجزية، فلمّا أسـلموا جميعًا امتنع عن إسقاطها عنهم، ونشبت الحرب بين الطرفين.

كان إرهـاق الموالي بالضرائب واصطدامهم مـع ولاة الأمويين أكثر من مرّة، ثم إظهار بواطنهـم في العصر العباسي، وتحول نزعتهم القوميـة الى دويلات اجتزأت من أرض الخلافة مسـاحة وقوة ومنعة، أسباباً تهدف الى التأكيد أن الشـعوبية، وإن كانت نزعة قومية، إلا أنها بشـكل أو بآخر صنيعة عربية، ارتكبها رجال الحكم بعقلية اسـتوردت من الجاهلية الممارسـة الطبقيـة، وبالغت في التمييز بين عرب وعجـم، على الرغم من اسـتعانة الحكم الإسـلامي بقوميات مختلفة لتثبيت حكمه وتنظيمه. ويمكن تلخيص

هذه الرؤية، باعتبار الشـــعوبية، نزعة ضربت جذورها في أروقة وبلاط الحكم بســـبب الحاجة الى الموالي، فدخلت من باب المســـاواة والعدالة الى عتبة الحكم، ليرفضها الحكام العرب بقسوة، مما دفعها الى حبك هذه الجذور وتفريع أغصانها كردة فعل، مندفعةً لخنق ولإقصاء العنصر العربي، وإضعاف ســـطوته، وبناء دويلات قومية، أو دول عميقة على حساب تفكيك خلافته.

المنية المكان المقصود

اللقاء بين سيدنا موسى عليه السلام، وسيدنا الخضر (عليه السلام)

الدكتور حسين حسن الدهيبي

المقدمة

اختلفت الآراء حول ما إذا كان «الخضر» هو نبي مرسل من الله، أم أنه ولي من أولياء الله الصالحين، ولكن استقرت الآراء في النهاية، إلى أنه نبي من عند الله؛ لأن الله علمه بعض الأمور عن طريق الوحي، ولا يعلمها كانت البداية، ذات يوم كان سيدنا موسى يخطب في بني إسرائيل، فسأله أحد من القوم: هل يوجد في الأرض من هو أعلم منك؟ فقال موسى: لا، فعاتبه الله على هذا القول؛ لأنه لم يفوض الأمر لله، فقال الله تعالى إلى موسى «يا موسى إن لي عبدًا هو على علمٍ، لا تعلمه أنت».

فأخذ موسى يسأل ربه من هذا العبد الذي يعلم ما لا يعلمه، وكيف يجده، فأخبره الله، أنه سيجده عند مجمع البحرين، أي عند منطقة يلتقي بها بحران، وعليه أن يسافر إلى البحر ليبحث عنه، وعلامة المكان الصحيح، هو أن تضيع منه سمكة يحملها معه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61)

فطلب موسى من فتاه، يوشع بن نون، أن يحمل كيسًا بداخله سمكة في حقيبته، ليبدأ رحلة البحث عن هذا العبد، حتى لو استغرق الأمر لسنوات، حتى وصلا إلى مجمع البحرين، فقرر موسى أن يستريح قليلًا عند صخرة، بينما ظل يوشع مستقيظًا، فوجد الكيس ينفتح، وتخرج منه السمكة، وتعوم في الماء، وعندما استيقظ موسى، نسي يوشع أن يخبره بأنهما قد فقدا السمكة، علامة المكان الصحيح.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَـفَرِنَا هُذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَـالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًـا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65).

فغادر موسـى وفتاه هذا المكان، وفي أثناء الطريق، شعر موسى بالجوع، وطلب من فتاه أن يعد له طعامًا، فتذكر الفتى ما حدث، فأخبر سيدنا موسى بفقد السمكة، ففرح وعادا معًا إلى نفس المكان الذي فقدا السمكة فيه.

وصل موسى ليجد رجلًا مستلقيًا على الأرض، مغطى بعباءة حتى وجهه، وقد اخضرت الأرض من حوله، ورُوي أنه كان عند جلوسه في أي مكان يخضر من حوله، وقد يكشف هذا سبب تسميته بـ«الخضر»، فألقى عليه السلام، فسأله الخضر: من أنت؟، فقال موسى، فقال الخضر: موسى بني إسرائيل؟، فقال: وما أدراك بي؟، قال: أدراني بك، من أدراك بي، الله عز وجل.

وبدأ الخضر يسـأله عن سبب مجيئه وماذا يريد منه، وأخبره موسى أنه يريد أن يتعلم منه ما لا يعلمه، فأعلمه الخضر أنه لن يسـتطيع تحمل هذه الرحلة، ولن يصبر؛ لأنه لن يعي ماذا يفعل، ولكن موسـى أكد له أنه سيكون صبورًا، فرجع يوشـع إلى قومه، وبدأت الرحلة الشـهيرة بين سيدنا موسـى والخضر في البحر، بعد ركبا سـفينة بصحبة بعض من أهل المنطقة، الذين يعرفون أن الخضر رجلًا صالحًا.

قَالَ لَهُ مُوسَـىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَـتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70).

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّـفِينَةِ خَرَقَهَا ۚ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْـتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي

مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (74). قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (76) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77)

وكان أول شيء فعله الخضر، أنه أمسك بفأس، وخلع لوحًا من السفينة، فأخذ موسى اللوح ليحاول سد الفجوة التي صنعها الخضر، وسأله: أخرقتها لتغرق أهلها؟ فهذا إفساد للسفينة، فقال له الخضر ألم أخبرك أنك لن تستطيع معي صبرا؟، فطلب منه موسى أن يسامحه، وأنه لن يسأل مرة أخرى.

ووصلا إلى قرية بها غلمان يلعبون، فأخذ يحدق في غلام بعينه، حتى استفرد به وقتله، فاستنكر موسى هذا الفعل، وقال للخضر أقتلت نفسًا ذكية بغير حق؟، فعاد الخضر حديثه، وقال ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرًا؟، فربط سيدنا موسى نفسه بكلمة، وهو أنه إذا سأله عن شيء بعدها، فيحق له أن يتركه.

ثم وجد موسى والخضر قرية معروف أهلها بالبخل، إذ رفضوا إمدادهم بالمياه والزاد، حتى بعد إخبارهم أنهما على سفر، فوجد الخضر جدارًا كان على وشك الإنهيار، فمسح عليها الخضر بيده ليقيمها، فقال له موسى إذا أردت فيمكنك أن تأخذ أجرًا مقابل هذا الفعل، وعندها قرر الخضر إنهاء الرحلة مع موسى وقال: هذا فراق بيني وبينك.

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (82)

ثم شرع الخضر في تفسير ما لم يستطع سيدنا موسى فهمه، فأما السفينة فكان ينتظرها ملك ظالم، يستولي على كل السفن غير المعيوبة، وأهل السفينة قومٌ مساكين، وإذا استولى الملك على السفينة سيهلك أهلها، فأراد أن يعيبها، حتى لا تؤخذ منهم، وهو على علمٍ بأنهم يستطيعون إصلاحها.

وعن قتل الغلام، فقال الخضر، أن الله أوحى له، أنه إذا كبر سيرهق أبوية كفرًا وطغيانًا، فإذا مات وهو صغير، لن يكتب عليه ذنب، فكان هذا رحمة للطفل ولوالديه، وأخبره الله أنه سيعوض والديه بولدٍ صالح.

وأما الجدار الذي أقامه دون مقابل، فهذه القرية بها غلامين يتيمين، جمع والدهما نقودًا، وأراد ألا يعرف عنها أحد شيئًا، فخبأها أسفل هذا الجدار، وإذا انهار الجدار لعرف أهل القرية وضاع حق الغلامين، ولكن الله أراد أن يكبرا ويحصلان على كنز والدهما.

اللقاء بين سيدنا موسى عليه السلام، وسيدنا الخضر عليه السلام في مكان يُسمى المنية:

لمحة عن اسم المنية وموقعها الجغرافي:

أ – اسمها: أما اسمها فقد اختلف حوله الباحثون: فقال بعضهم: المنية (MINY) جذر سامي مشترك ويفيد القسمة، ومنها حصة ونصيب، ومنه نفس الجذر مرتل(MUNYA)، وفي الآشورية (MANU) ويتم ترجمتها للعربية «منا «(MINA) وهي قطعة دراهم قديمة أو وزنة (أصلاً قسم)[1]. والحقيقة أن الاسم عربي خالص لأن أكثر من اثنا وخمسون موضع باسم المنية، حيث حل العرب من بلاد الشام حتى الأندلس.[2]

(1) فريحة (أنيس): 1972, معجم المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها بيروت مكتبة لبنان , ط2 , ص 177.

(2) الحموي (ياقوت): 1846 ,المشترك وضعا والمفترق صقعا ص 407 – 409, نقلا عن دكتور عمر تدمري «برحلة النابلسي ««مجلة تاريخ العرب والعالم «العدد 12 , ص14, – مرهج (عفيف): 1985, أعرف لبنان موسوعة المدن والقرى اللبنانية , بيروت , ط3 ,ج 9 , ص 431

ب – **موقــع المنية**: المنية جزء لايتجزأ من بلاد الشــام من لبنان الحبيب، إلا أنها تميزت بموقع خلاب فأبت إلا أن تكون مكللة بالبياض بأعلى قمم المشرق العربي ببياض ثلج جبل المكمل، وأبت إلا أن تكون قدميها على شــواطئ البحر الأبيض المتوســط فكان البياض على رأسها وقدميها.

تقع المنية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، شمال طرابلس وتبعد عنها مسافة عشرة كلم. وهي الآن مدينة كبيرة تنتشر عمارتها بين البســاتين في مساحة واسعة ويقطنها عدد كبير من السكان الذي هو مزيج سكان لبنان ككل، وقد ورد ذكرها في التاريخ اعتباراً من عهد المماليك حيث كانت معظمها بســاتين موقوفة للحرمين الشرفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة[1]. ويوجد فيها مقام ومزار نبي الله يوشــع عليه السلام حيث يرجع تاريخه الى عهود غابرة، وما هــذا إلا دليل على أن المنية مدينة عريقــة ومقصد منذ القدم، لذلك قمت بهذا البحث دليل على عراقة المنية عبر العصور.

يعرف مما ترويه القصص القديمة والقصص الحديثة منها والآيات القرآنية.[2]

أن معظم الأحداث التي حدثت مع سيدنا موســى عليه السلام كانت بمصر منذ ولادته حتى انتهى فرعــون وجنوده، عندها بأمر من الله جل وعلى فأمــره بالذهاب إلى الأرض المباركة، وهي بلاد الشــام كما عرفت لنا.[3] وحين وجه سؤال لسيدنا موسى عليه السلام

(1) هذا ما ورد في ســجلات المحكمة الشرعية في طرابلس: ولا يزال قســم منها حتى الآن موقوفاً لجهة الحرمين الشرفيين. حيث إن ســلطان دولة المماليك أشرف خليل (1476 – 1496م) يرجح وقف الوقف أثناء رحلته الى بلاد الشام 1477 م حيث دخل المنية وهو في طريقه الى بلاد الشام الشمالية.

(2) الدهيبي (حسين حسن): 2002، تاريخ المنية الحديث، دار الإيمان، طرابلس، ص 236.

(3) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم 60.

بالأرض المباركة هل يوجد من أعلم منك.[1] لم يكن لدى سيدنا موسى عليه السلام رداً،[2] فأوحى إليه الله سبحانه أن هناك رجل أعلم منك وأعطاه علامات ودلائل حين تجدها تلتقي به فسافر سيدنا موسى عليه السلام إلى المكان الذي أوحي إليه فإذا بهما يلتقيان عند ملتقى البحرين وعلى صخرة فإن هذا المكان بتلك العلامات موجودة قرب بعضهما البعض. وأن فتى سيدنا موسى عليه السلام.[3]

اسمه يوشع عليه السلام، وله مقام منذ القدم في منطقة المنية[4]، والصخرة ما زالت موجودة وملتقى البحرين موجودين[5] حتى الآن قرب بعضهما ومقام النبي يوشع[6] عليه السلام موجود أيضاً ومعروف لدى جميع أبناء المنطقة. ويوجد مقام لسيدنا الخضر لجهة الغرب من المنية تبعد (بمحلة كرنتينا) مسافة 80 كلم عنها.[7]

وإن سيدنا الخضر عليه السلام قال لسيدنا موسى هذا فراق بيني وبينك[8]. من هنا إذن يوجد أربعة دلائل محسوسة وملموسة[9]. وأي موضوع بحاجة إلى شاهدين[10]، أو دليلين وليس أربعة شهود[11]. لذلك فإن الأمر يدل على المكان بشكل مباشر ودون أي إبهامات آو

(1) شرح حديث قام موسى النبيُّ خطيباً بني إسرائيل، https://islamic-content.com.hadeeth.

(2) https://islamic-content.com›hadeeth.

(3) القرآن الكريم: سورة الكهف الآية 60 – 61.

(4) الدهيبي (حسين حسن): المرجع السابق، ص 259.

(5) ملتقى البحر الأبيض المتوسط مع نهر البارد.

(6) الدهيبي (د. حسين حسن): المرجع السابق، ص 228.

(7) مقام سيدنا الخضر في لبنان: منطقة الكرنتينا.

(8) القرآن الكريم سورة الكهف، الآية 78.

(9) الدهيبي (د. حسين حسن): المرجع السابق، ص 228 – 240.

(10) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 282.

(11) القرآن الكريم، سورة النور، الآية 6.

تفسيرات. فإذا كان ذلك اللقاء حدث في مصر كان بنو إسرائيل أقاموا له الهياكل منذ فجر التاريخ لذلك كان المكان في بلاد الشام.[1]

وتغدو منطقة المنية وخاصة منطقة النبي يوشع عليه السلام من المناطق الآمنة منذ القدم وحتى اليوم،[2] وهي بكل عصر من عصور الدولة الإسلامية كانت تنال قسط من التكريم.[3] وما تظهره سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس من وثائق تظهر أنها وقف السادة المصريين[4] (المماليك) بأن المنية وقف الحرمين الشريفين بمكة المشرفة حرسها الله والمدينة المنورة[5] حرسها الله تعالى. وفي عهد الدولة العثمانية كرمت السلطنة العثمانية المنية

(1) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 71.

(2) الدهيبي (د. حسين حسن): المرجع السابق، ص 232.

(3) – المحكمة الشرعية في طرابلس: سجل رقم 4، وثيقة صفحة 64 – 65 بتاريخ 1179هـ / 1837م.

(4) المحكمة الشرعية في طرابلس: المصدر السابق، ص 114 – 116، 1154 هـ / 1741م.

(5) وأول وقف تاريخياً، تاريخ الوقف في الإسلام هو مسجد قباء الذي أسسه رسول الله ﷺ حينما قدم مهاجراً إلى المدينة قبل أن يدخل تلى ذلك الوقف، وقف المسجد النبوي، حيث بناه الرسول ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، في مبرك ناقته لما قدم المدينة. ثم اختلفوا بعد ذلك ما هو الوقف الذي يليه، أول وقف خيري في الإسلام، فقيل: صدقة رسول الله ﷺ حين وقف الحوائط السبعة بالمدينة التي كانت لرجل يهودي اسمه: مخيريق، وكان محباً ودوداً للنبي ﷺ على يهوديته، وقاتل مع المسلمين يوم أحد، وهو على يهوديته، وأوصى إن أصبت أو قتلت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله تعالى، فقتل يوم أحد فعلاً، وقبض النبي ﷺ تلك الحوائط السبعة فتصدق بها، أي وقفها. قيل: إن أول صدقة في الإسلام هي صدقة عمر، سنة سبع من الهجرة حين رجع النبي ﷺ من خيبر، صدقة عمر مشهورة – كما تقدم – والوقف عموماً نوع من أنواع الصدقات التي رغب فيها الشارع، وندب إليها، قربة عظيمة قد يوقف من جهة عامة كالفقراء وطلبة العلم، أو يوقف على جهة خاصة كالذرية أو الأبناء مثلاً أو المردودة من بناته كما تقدم، إلا أن السلف يفضلون آخره للمساكين، يعني: لو واحد أوقف على أولاده يقول مثلاً: المحتاج من أولادي وأولادهم، فإن انقطعت الحاجة أو انقطعت ذريته قد لا يعيش له عقد، قد لا يتناسلون، فمرده إلى المساكين مثلاً، فيجعل آخره للمساكين، لو بدأ وقف ذري يستحب السلف أن يكون آخره للمساكين. وقد توالت أوقاف الصحابة الكرام يبتغون مرضاة الله، والتقرب إليه، وكثرت أوقاف المسلمين بعد ذلك في عصر بني أمية كثرةً عظيمة، في مصر والشام، وغيرهما من البلاد المفتوحة، بسبب ما أنعم الله به على المسلمين من الخيرات الوفيرة، والأموال الطائلة التي حدثت نتيجة للفتوحات، فأوقفوا المزارع ونحو ذلك من الأوقاف.
وكان في زمن هشام بن عبد الملك توفي 125 للهجرة، أن صار للأوقاف إدارة خاصة بمصر تشرف

عليهـــا وترعاها، وأول من فعل ذلك توبة بن نمر قاضي مـــصر، فكانت الأحباس في يد أهلها وفي أيدي الأوصياء، فلما تولى توبة قال: ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها من الضياع والتوارث؛ لأن الأقرباء إذا ما كانوا يخافون الله ســـجلوها بأسمائهم وملكوها وأخذوها وصارت تتوارث بدلاً من أن تستمر على الوقف.

ولم يمت توبة حتى صار للأوقاف ديوان مستقل عن بقية الدواوين يشرف عليه القاضي. وهذه الأوقاف في المســـلمين جيلاً بعد جيل، هذه الأوقاف ينبغـــي أن يكون لها جهة تشرف عليها حتى لا تذهب بمرور الحوادث المختلفة والزمن، وقد اتخذ بعض الولاة من هذا، ومن جواز اســـتبدال الوقف طريقاً للاستيلاء عليها باســـم الاستبدال، وعاونهم على ذلك بعض فسقة القضاة والشـــهود، وهذا حصل كثيراً في القرن الســـابع والثامن وما يليه، فصارت الأوقاف نهباً مقسماً. وكان لذلك أثر في كلام الفقهاء الذين عاصروا في تلك الفترة، فمنهم من شـــدد في فتاويه، في الاستبدال، وصعب طريقه. ومنهم من أكثر النكير على من فعل هذ وســـنأتي على شيء مما حصل من المؤامرات على أوقاف المسلمين، وكيف صار النهب، وصارت عرضة للضياع.

وعلى كل حال: فإن الأوقاف في العهد الأموي بداية صارت لها جهة تشرف عليها، والقضاة يعينون النظار القائمين على الأوقاف، ويحاســـبونهم، ويشرفون على أوجه صرف الريع، وفي عهد العباسيين كان لإدارة الوقف رئيس يســـمى: صدر الوقف، أنيط به الإشراف على إدارتها، وتعيين الأعوان لمساعدته على النظر عليها، ولما تولى العثمانيون مقاليد السلطة في معظم البلاد الإسلامية اتسع نطاق الوقف لإقبال السلاطين وولاة الأمور في الدولة العثمانية على الوقف، وصارت له تشـــكيلات إدارية، تعنى بالإشراف، وصدرت التعليمات المتعددة لتنظيم شـــؤونه، وبيان أنواعه وكيفية إدارتـــه، ولا زال كثير من الأنظمة الصادرة عن العثمانيين في الأوقاف معمولاً بها إلى يومنا هذا.

وقد اهتم العثمانيون بالأوقاف اهتماماً عظيماً، فتعددت في عصرهم أغراضه، وكثرت أهدافه، حتى شملت كثيراً من الأعمال الخيرية التي تعين على بنيـــان المجتمع وتكافل أفراده، فمن ذلك: الخدمات العامة، بناء الحصون، والقلاع، وتسليح الجيوش، ووقف الأربطة، وبناء البيوت لعابري السبيل، الإيقاف على طلبة العلم، تمكين المســـلمين من الاتصال ببعضهم، وكذلك تأثر بعض الكفار بهذا عندما وجدوا دعم أوقاف المســـلمين للحركة العلمية في المجتمع الإسلامي، فيقول الســـائح دورين عام 1654 في كتاب نشره: ولم تنحصر خيرات المسلمين في الأحياء فقط، بل امتدت إلى الأموات، وشجعت الدولة العثمانية إقامة بيوت الضيافة التي يســـتفيد منها كل إنسان مهما كان دينه، وتقدم فيها الخدمة لكل من يأتيها حسب حاجته لمدة ثلاثة أيام. وينشئ بعض الأتراك على جوانب الطرق العيون الجارية لسقاية المسافرين.

كان هناك قوانين وأنظمة خاصة بالوقف في الزمن العثماني، وتعرض الوقف لحملات وغارات، وكان من تلك الأشـــياء التي حصلت في القرن الثامن ما فكر به «برقوق أتابك» بإبطال الأوقاف الأهلية، وحاول أن يســـتفتي في الموضوع، ورأى بعضهم أن برقوق إنما كان يريد أن يقتـــصر الإبطال على أوقاف الأمراء السابقين.

وعلى آية حـــال: بغض النظر من الذي بدأ المؤامرة على الأوقاف، وكيـــف صار الأمر بعد ذلك، لكن في هذا الزمن كان من الغارات التي وجهـــت إلى الوقف: محاولة إبطاله أصلاً كنظام من قبل بعض الزنادقة

ببناء أول جامعة[1] على الســـاحل فتم تشييد مبنى عرف بالكلية الزراعية (جامعة) في المنية، وتلـــك الكلية قريبة جداً من مكان الحدث الذي هو موضوع البحث. وإن الكلية ما زالت قائمة حتى اليوم (لمزيد من المعلومات انظر تاريخ المنية الحديث).[2]

قصة سيدنا موسى مع الخضر[3]

والمنافقين الذين قالوا: إن الوقف يساعد على البطالة والتسكع، ألغوه واستريحوا منه. طيب – في مرضى في أموات يحتاجون إلى تجهيز وتكفين، ودفن، وشراء أرض قبر، في طلبة علم يحتاجون إلى تفرغ، هل تســـميه تفرغ طلبة العلم تســـكعاً؟، هناك أرامل، هناك أيتام، هناك أبناء ســـبيل، يسافرون ينقطعون في الطريق، هناك مســـاجد تحتاج إلى ترميم وصيانة، وأوقاف عليها لكـــي تخدم إذًا، بعض المنافقين من المتأثرين بفكر العلمنة حاول إلغاء الأوقاف بحجة أنها تزيد البطالة، وتعين على التســـكع. على أية حال: هذا أحد أوجه المؤامرة على الأوقاف الإسلامية.

(1) الدهيبي (د. حسين حسن): المرجع السابق، ص 236.

(2) الدهيبي (د. حسين حسن): المرجع السابق، ص 236 – 237.

(3) اختلفت الآراء حول ما إذا كان «الخضر» هو نبي مرســـل من الله، أم أنه ولي من أولياء الله الصالحين، ولكن اســـتقرت الآراء في النهاية، إلى أنه نبي من عند الله؛ لأن الله علمه بعض الأمور عن طريق الوحي، ولا يعلمها.

كانت البداية، ذات يوم كان ســـيدنا موســـى يخطب في بني إسرائيل، فسأله أحد من القوم: هل يوجد في الأرض من هو أعلم منك؟ فقال موسى: لا، فعاتبه الله على هذا القول؛ لأنه لم يفوض الأمر لله، فقال الله تعالى إلى موسى «يا موسى إن لي عبدًا هو على علم، لا تعلمه أنت».

فأخذ موســـى يســـأل ربه من هذا العبد الذي يعلّم ما لا يعلمه، وكيف يجده، فأخبره الله، أنه سيجده عند مجمـــع البحرين، أي عند منطقة يلتقي بها بحران، وعليه أن يســـافر إلى البحر ليبحث عنه، وعلامة المكان الصحيح، هو أن تضيع منه سمكة يحملها معه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَـــىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُـــغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِـــيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61)

فطلب موسى من فتاه، يوشـــع بن نون، أن يحمل كيسًا بداخله سمكة في حقيبته، ليبدأ رحلة البحث عن هذا العبد، حتى لو استغرق الأمر لسنوات، حتى وصلا إلى مجمع البحرين، فقرر موسى أن يستريح قليلًا عند صخرة، بينما ظل يوشـــع مستقيظًا، فوجد الكيس ينفتح، وتخرج منه الســـمكة، وتعوم في الماء، بينما عندما استيقظ موسى، نسي يوشع أن يخبره بأنها قد فقدا السمكة، علامة المكان الصحيح.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَـــفَرِنَا هُذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّـــيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65).

فغادر موســى وفتاه هذا المكان، وفي أثناء الطريق، شعر موسى بالجوع، وطلب من فتاه أن يعد له طعامًا، فتذكر الفتى ما حدث، فأخبر ســيدنا موسى بفقد الســمكة، ففرح وعادا معًا إلى نفس المكان الذي فقدا السمكة فيه.

وصل موســى ليجد رجلًا مســتلقيًا على الأرض، مغطى بعباءة حتى وجهه، وقد اخضرت الأرض من حوله، ورُوي أنه كان عند جلوسه في أي مكان يخضر من حوله، وقد يكشف هذا سبب تسميته بـ«الخضر»، فألقى عليه الســلام، فسأله الخضر من أنت؟، فقال موسى، فقال الخضر موسى بني إسرائيل؟، فقال وما أدراك بي؟، قال أدراني بك، من أدراك بي، الله عز وجل.

وبدأ الخضر يسأله عن سبب مجيئه ومذا يريد منه، وأخبره موسى أنه يريد أن يتعلم منه ملا يعلمه، فأعلمه الخضر أنه لن يســتطيع تحمل هذه الرحلة، ولن يصبر؛ لأنه لن يعي ماذا يفعل، ولكن موســى أكد له أنه سيكون صبورًا، فرجع يوشع إلى قومه، وبدأت الرحلة الشهيرة بين سيدنا موسى والخضر في البحر، بعد ركبا سفينة بصحبة بعض من أهل المنطقة، الذين يعرفون أن الخضر رجلًا صالحًا.

قَالَ لَهُ مُوسَــىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْــدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْــتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70).

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّــفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْــتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِــيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (74).

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (76) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا

فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77).

وكان أول شيء فعله الخضر، أنه أمسك بفأس، وخلع لوحًا من السفينة، فأخذ موسى اللوح ليحاول سد الفجوة التي صنعها الخضر، وسأله: أخرقتها لتغرق أهلها؟ فهذا إفساد للسفينة، فقال له الخضر ألم أخبرك أنك لن تستطيع معي صبرا؟، فطلب منه موسى أن يسامحه، وأنه لن يسأل مرة أخرى.

ووصلا إلى قرية بها غلمان يلعبون، فأخذ يحدق في غلام بعينه، حتى استفرد به وقتله، فاستنكر موسى هذا الفعل، وقال للخضر أقتلت نفسًا ذكية بغير حق؟، فعاد الخضر حديثه، وقال ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرًا؟، فربط سيدنا موسى نفسه بكلمة، وهو أنه إذا سأله عن شيء بعدها، فيحق له أن يتركه.

ثم وجد موسى والخضر قرية معروف أهلها بالبخل، إذ رفضوا إمدادهم بالمياه والزاد، حتى بعد إخبارهم أنهما على سفر، فوجد الخضر جدارًا كان على وشــك الإنهيار، فمسح عليها الخضر بيده ليقيمها، فقال له موســى إذا أردت فيمكنك أن تأخذ أجرًا مقابل هذا الفعل، وعندها قرر الخضر إنهاء الرحلة مع موسى وقال هذا فراق بيني وبينك.

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ســأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْــتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّــفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُــونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ ســفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِــينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُــمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا

خطب سيّدنا موسى عليه السلام يوماً في قومه بني إسرائيل يعظهم ويعلمهم دينهم[1]، وإذا برجل من قومه يسأله سؤالاً عن أعلم شخص يعيش على الأرض،[2] فنظر موسى عليه السلام إلى نفسه لأنّه نبي الله الذي فضله على العالمين باصطفائه لرسالته ونبوته وكلامه[3]، وقد ظنّ عليه السلام أن هذه المكانة وهذا القدر الذي أعطاه الله إياه يؤهله ليكون أعلم أهل الأرض.[4] بيّن الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام أنّ ثمة من هو أعلم منه، فجعل له موعداً حتى يلاقي هذا الرجل الذي علمه الله من لدنه علماً، حيث أمره الله سبحانه أن يحمل حوتاً وأن يجعله في مكان ما، فإذا خرج الحوت من نفس المكان فسيجد هذا الرجل، ولبى سيدنا موسى عليه السلام أمر الله وسار في رحلته للبحث عن الرجل العالم مصطحباً معه فتاه يوشع بن نون؛[5] حيث حملا معهما حوتهما، وفي أثناء رحلتهما

---

(81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (82)

ثم شرع الخضر في تفسير ما لم يستطع سيدنا موسى فهمه، فأما السفينة فكان ينتظرها ملك ظالم، يستولي على كل السفن غير المعيوبة، وأهل السفينة قومٌ مساكين، وإذا استولى الملك على السفينة سيهلك أهلها، فأراد أن يعيبها، حتى لا تؤخذ منهم، وهو على علم بأنهم يستطيعون إصلاحها.

وعن قتل الغلام، فقال الخضر، أن الله أوحى له، أنّه إذا كبر سيرهق أبوية كفرًا وطغيانًا، فإذا مات وهو صغير، لن يكتب عليه ذنب، فكان هذا رحمة للطفل ولوالديه، وأخبره الله أنه سيعوض والديه بولدٍ صالح.

وأما الجدار الذي أقامه دون مقابل، فهذه القرية بها غلامين يتيمين، جمع والدهما نقودًا، وأراد ألا يعرف عنها أحد شيئًا، فخبأها أسفل هذا الجدار، وإذا انهار الجدار لعرف أهل القرية وضاع حق الغلامين، ولكن الله أراد أن يكبرا ويحصلان على كنز والدهما.

(1) شرح حديث قام موسى النبيُّ خطيباً بني إسرائيل، https://islamic-content.com›hadeeth.

(2) شرح حديث قام موسى النبيُّ خطيباً بني إسرائيل،
https://islamic-content.com›hadeeth.

(3) القرآن الكريم: سورة النساء الآية رقم 164.

(4) القرآن الكريم: سورة يوسف الآية رقم 76.

(5) الدهيبي (د. حسين حسن): المرجع السابق، ص 228.

ومســـيرهما مرّا على صخرة فاستراحا عندها،[1] وعندما اســـتيقظا من نومهما شدا الرحال للاستمرار في رحلتهما، وفي أثناء ذلك أدركهما الجوع فتذكر فتى سيدنا موسى عليه السلام نســـيانهما للحوت عند الصخرة[2]، فعلم سيدنا موسى عليه السلام أن المكان الذي يبغونه هو الصخرة، فارتدا على آثارهما إلى الصخرة حيث يكون مجمع البحرين وهناك ســـيكون الرجل العالم الصالح. عندما التقى سيدنا موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام[3] – منذ أكثر من5200 ســـنة تقريباً[4] – وهو الرجل العالم طلب منه أن يعلمه مما علمه الله ســـبحانه وتعالى،[5] فوافق الخضر على ذلك شريطة أن لا يســـأله ســـيدنا موسى عليه السلام عن أي شيء في مسيرهما حتى يحدثه هو بذلك[6]، فحدثت ثلاثة أحداث تعجب سيدنا موسى عليه السلام من أمرها، فسأل عنها سيدنا الخضر عليه السلام مخالفاً اتفاقه معه، وهذه الأحداث هي خرق الســـفينة،[7] وقتل الغلام، وإقامة الجدار للقوم الذين لم يستضيفوا سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا الخضر عليه السلام.[8]

(1) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية رقم 62.

(2) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية رقم 64.

(3) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية رقم 65.

(4) دياب (حسين) التاريخ الواضح، سلسلة تعليمية، صف العاشر، مكتبة حبيب،2011، بيروت، ص 17.

(5) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية رقم 67.

(6) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية رقم 70.

(7) شرح حديث قام موسى النبيُّ خطيباً بني إسرائيل،
https://islamic-content.com›hadeeth.

(8) شرح حديث قام موسى النبيُّ خطيباً بني إسرائيل،
https://islamic-content.com›hadeeth.

بالصور.. هنا «مجمع البحرين» حيث التقى الخضر بالنبي موسى

الإثنين 6 ربيع الأول 1438هـ – 5 ديسمبر 2016م

رابط مختصر http://ara.tv/qpkk

كشف الدكتور عبدالرحيم ريحان، مدير عام البحوث والدراسات الأثرية والنشر العلمي بسـيناء ووجه بحري[1]، أن «مجمع البحرين» المذكور بسورة «الكهف» في القرآن الكريم يقـع بمنطقة رأس محمد بشرم الشـيخ عند نقطـة التقاء خليج العقبة وخليج السـويس بجنوب سيناء.[2]

وأضاف في حديث مع «العربية.نت» أنه اسـتناداً للدراسـة العلميـة التي قام بها الأثري عماد مهدي، عضو جمعية الأثريين المصريين والمسح التصويري الفضائي، باستخدام تقنية تصوير الأقمار الصناعية، فقد تم تحديد موقع لقاء نبي الله موسـى وسيدنا الخضر (عليهما السـلام) على أرض سيناء منذ حوالى 3200 سنة ق. م.[3]، مشيراً إلى أن التوصيف اللغوي لكلمـة «مجمع البحرين» لا ينطبق جغرافياً على أي مكان في العالم إلا في رأس محمد، وهي

(1) الدكتور عبد الرحيم ريحان مدير عام البحوث والدراسات الأثرية.

(2) الدكتور عبدالرحيم: المصدر السابق.

https://www.alarabiya.net›last-page›2016/12/05

https://www.alarabiya.net›last-page›2016/12/05

(3) الدكتور عبدالرحيم المصدر نفسه.

مجمع خليجي العقبة والســـويس في بحر واحد هو البحر الأحمر ولفظ «مجمع» يختلف عن لفظ التقاء. تعليقاً على ما أورد الدكتور عبدالرحيم ريحان، مدير عام البحوث والدراسات الأثرية والنشر العلمي بســـيناء ووجه بحري ليس صحيحاً لأن الله ســـبحانه بعد القضاء على طاغية فرعون ذلك الزمن، أمر الله ســـبحانه ســـيدنا موسى عليه السلام بالذهاب الى الأرض المباركـــة أي بتعبير أصح انتهت المهمة الموكلة إليه بمصر وبدأ بدعوة من جديد في بلاد الشام والله أعلم.

هذه الصورة تم تصويرها عبر كاميرة صديق[1]

ويقول الخبير الأثري إن الأقمار الصناعية كشـــفت عن موقع صخرة الحوت، نقطة اللقاء بين نبي الله موسى والرجل الصالح سيدنا الخضر،[2] وهي الصخرة الوحيدة التي تتوسط طريق الدخول لرأس محمد وتقع في خط مستقيم في طريق الوصول لآخر نقطة في اليابسة في موقع مجمع البحرين، ولذلك فإن المسافة المرجحة التي قطعها الحوت من الصخرة حتى المياه العميقة تبلغ حوالي 2 كيلومتر، والمسافة التي قطعها نبي الله موسى من نفس الصخرة حتى نقطة الارتداد واكتشاف فقدان الحوت توازي نفس المسافة 2 كيلومتر[3].

(1) تم تصويرها سنة 2011.

(2) منطقة عين البرج في المنية.

(3) بعد مصب نهر البارد في البحر الأبيض المتوسط والذي يبعد عن مكان الصخرة 2000 م.

تلك العلامات على شواطئ المنية[1]

ويشـــير الدكتور ريحان لكشـــف الممر المائي للحوت، حيث حدد القرآن الكريم الطريق والطريقة التـــي اتخذها الحوت مرتين، مرة في قولـــه تعالى (فَاتَّخَذَ سَـــبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبا) ومرة (وَاتَّخَذَ سَـــبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً)، وفي الآيتين جاء الذكـــر والتأكيد على اتخاذ الحوت سبيلاً للخروج من المياه الضحلة إلى المياه العميقة باتخاذ السبيل. وهنا يوجد تأكيد آخر إذ وجدت عين في منطقة المنية يوجد فيها أسماك تشبه تلك الأسماك[2]، والله أعلم.

وتعني الطريق، وقد وصف القرآن معجزة شـــق الطريق إلى البحر وعودة الحياة للحوت والمعـــروف بمنطقة الخليج الخفي بجنوب رأس محمد، وهذا يفسّر وجود مجرى مائي دائم في منطقة الخليج الخفي برأس محمد. وهنا اســـتخدم الدكتور ريحان عملية لا يوجد بديل ولكن الأكثر دقة في منطقة المنية على ساحل بلاد الشام أي في لبنان.[3]

ويضيف أن الأقمار الصناعية كشفت عن الرصيف البحري الذي رست عليه سفينة العبد الصالح الخضر، وهو الشاهد الأثري على تأكيد موقع «مجمع البحرين» برأس محمد، ومنه تم تحديد خط سير الســـفينة إلى رأس محمد وتحديد وجهتها، ويقع هذا الرصيف على بعد

(1) أنواع الصخور في تلك المنطقة صخرية كلســـية تعشـــعش فيها الفطريات. (انظر صخور لبنان صف السابع اساسي، السلسلة العلمية، مركز البحوث).

(2) عين الدهب في المنية وهي التي تقع في حي عين الدهب.

(3) https://www.alarabiya.net›last-page›2016/12/05

– الدكتور عبدالرحيم، المصدر السابق.

300 متر من صخرة اللقاء[1]، ويجتاز هذا الرصيف الجدار المرجاني على الشـــاطئ لمسافة 50 متراً حتـــى الغاطس وعرضه من 6 إلى 8 متر. ويتكون مـــن صخور غرانيت وحجر رملي منقول ويتوسط الرصيف البحري القديم شـــاطئ الميناء على الساحل الغربي لرأس محمد والمطل على خليج السويس على شكل نصف دائرة مساحتها حوالي كيلو متر واحد. وهذا استنتاج مخالف للواقع لأن سيدنا موسى أتى الى الأرض المباركة.[2]

وعن خط ســـير ســـفينة الخضر، يوضح الدكتور عبدالرحيم ريحـــان أن أحداث التاريخ تؤكد أن السفينة كانت قادمة من خليج السويس وفي طريقها لخليج العقبة، وذلك لوقوع خليج السويس تحت سيادة مصر القديمة[3]، الدولة ذات النفوذ الكبير بالمنطقة، والتاريخ المصري لم يســـجل أي أعمال قرصنة في البحار. بينما يختلف الوضع في خليج العقبة والبحر الأحمر، حيث كانت منطقة مهددة بأعمال القرصنة البحرية، وقد سجل التاريخ في غضون العام 1200قبل الميلاد حدوث إضرابات في منطقة الشرق الأدنى القديم بســـبب هجرات الشـــعوب الهندو – أوروبيـــة0. ومن هذا المنطلق نورد أن أماكن تصنيع الســـفن كان على

(1) هذه المنطقة كانت تعرف في المنية بميناء البصل.

(2) الدكتور عبدالرحيم، المصدر السابق.

(3) الدكتور عبدالرحيم المصدر السابق

شـــواطئ بلاد الشـــام[1]، بما يعرف بالكنعانيين أو الفينيقيين، حتى أواخر العصور الخلافة العباسية.

كما أن البحر الأحمر عرف منذ أقدم العصور كأحد طرق التجارة القديمة، وسجلت الآثار المصرية ســفناً لم تكن معروفة في وادي النيل، ووفدت إلى مصر شــعوب في هذه السفن، ووصلــوا من الجنوب ومن الشرق واتخذوا طريق القصير – قفط في رحلاتهم وســجلوا، رسوماً لســفنهم على صخور بعض دروب الصحراء الشرقية. ورداً على ذلك ليس المعيار هنــا تجارة وكيف يناقض دكتور ريحان نفســه إذا لا توجد عمليات قرصنة وأوردت الآية الكريمة «وكان وراءهم ملك يأخذ كل ســفينة غصــب». من هنا نأكد أن مكان اللقاء تم على شاطئ المنية الغالية على قلوبنا.

الخاتمة

في نهاية البحث أود أن أنوّه، حتى شــواطئنا لها ذكريات منســية، على كل من يقوم بقراءة هذا البحــث أنني راعيت من البداية أن يكون البحث مشــتملًا على كل الجوانب المهمة، بالإضافة إلى الدقة. ولكــي تصبح هذه المعلومات موثوقة، قمت باقتباســها وتلخيصها من مراجع مشــهورة معتمدة. وبهذا يكون البحث متكامــلًا صالحًا لأن يعرض عليكم، فيلجأ إليه كل الباحثين. في ختام البحــث الذي تناول تفاصيل كثيرة، وحلل مجموعة من العناصر المختصة بموضوع البحث. وعن طريق اللجوء إلى أهم المصادر وأوثقها. تمكنت من الوصول إلى بعض النتائج المهمة التي لم يتوصل لها من سبقني. تتضح أهمية هذه النتائج في أنها تفتح أبوابًا للبحث من جديد في الموضوع التاريخي.

(1) تدمري (دكتور عمر عبدالسلام): 1994 لبنان في العهد الأموي، طرابلس جروس، ص 93.

المصادر والمراجع

1 – القرآن الكريم.

2 – تدمري (دكتور عمر عبدالسلام): 1994 لبنان في العهد الأموي، طرابلس جروس.

3 – الحموي (ياقوت): 1846، المشترك وضعا والمفترق صقعا، بيروت، ط 2.

4 – مرهج (عفيف): 1985، أعرف لبنان موسوعة المدن والقرى اللبنانية، بيروت، ط3، ج 9.

5 – أنواع الصخور في تلك المنطقة صخرية كلسية تعشعش فيها الفطريات. (انظر صخور لبنان صف السابع أساسي، السلسلة العلمية، مركز البحوث).

6 – شرح حديث قام موسى النبيُّ خطيباً بني إسرائيل،

https://islamic-content.com›hadeeth.

7 – المحكمة الشرعية في طرابلس في عهد الدولة العثمانية سجل رقم 4 و 7.

8 – الدهيبي (حسين حسن): 2002، تاريخ المنية الحديث، دار الإيمان، طرابلس.

9 – فريحة (أنيس): 1972، معجم المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها بيروت مكتبة لبنان ط2، ص 177.

https://www.alarabiya.net›last-page›2016/12/05

https://www.alarabiya.net›last-page›2016/12/05

10 – بعد مصب نهر البارد في البحر الأبيض المتوسط والذي يبعد عن مكان الصخرة 2000 م.

11 – تدمري(د. عمر) «برحلة النابلسي»، «مجلة تاريخ العرب والعالم» العدد 12.

12 – عين الدهب في المنية وهي التي تقع في حي عين الدهب.

لنجرؤ على اختراع المستقبل

الأب الياس زحلاوي

السيدات والسادة،

أشكر لكم دعوتي للتحدث إليكم عن سورية، وطني.

نظراً لما بلغت الظروف الراهنة، في سـورية والعالم، من التعقيد المحيّر، ارتأيت أن أحاول الإجابة على سـؤال واحد فقط، يبدو لي أنه فَرض نفسـه عليكم جميعـاً، وعلى الكثيرين سواكم، منذ ما يقارب اثنتي عشرة سنة.

والسؤال هو:

كيف تسـنّى لبلد صغير مثل سورية، أن يظل واقفاً حتى هذا اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، من عـام 2022، في وجه تحالف عالمي، بزعامة الولايات المتحدة، يضمّ (140) دولة، ويدعمه مئات الألوف من الجهاديين الإسـلاميين المزعومين، الخالين من أي دين وأخلاق، يتدفّقون في موجات متتابعة، عبر جميع الحدود، منذ فترة لا بأس بها، سبقت الخامس عشر من شـهر آذار عام 2011، مع العلم أن عدد سكانه لا يتجاوز (24) مليون نسمة، جلّهم من المسلمين؟

وإمعاناً مني في الوضوح، سـأمتنع عـن أي نقاش أو تحليل آني أو حالي، يتعلق بالشـأن السياسي، والسوسيولوجي، والديني والاقتصادي.

بالمقابل، سأدعوكم للغوص في التاريخ الماضي، حيث حدثت اللقاءات الأولى بين الإسلام الفاتح، في بداياته، والمسيحية المشرقية.

ففي هذه الفسحة التاريخية، أجد الفرصة لنمعن التفكير، على نحو يمكّننا جميعاً، أيّاً كنّا، وأنّى كنّا، من اختراع أزمنة على جانب أوفر من الإنسانية، في ضوء ماضٍ قد يبدو لنا بعيداً جداً عنّا.

والحقّ يقال إن هذا الغوص في التاريخ السحيق، سيضعنا أمام حدث فريد حقاً، لم تعرف جميع المراجع التاريخية له مثيلاً. ولقد بلغ من التأثير الفعلي والدائم، ما جعله يخلق تجانساً نسبياً، ولكن حقيقياً، بين جماعات بشرية، بلغت من الاختلافات فيما بينها، بقدر ما كان قائماً حقاً بين جميع مسيحيي المشرق، وهؤلاء البدو الفاتحين، القادمين من شبه الجزيرة العربية.

ويطيب لي أن أذكر لكم أن هذا الحدث قد فجّر تداعيات تاريخية، جادة وحاسمة، انطوت على قدر عظيم من الحيوية، لا سيما على صعيد العلاقات بين المسيحيين والمسلمين واليهود، في مجمل العالم العربي الإسلامي، منذ ذلك الحين حتى معاهدات سايكس – بيكو!

هذا الحدث بعينه، هو الذي أريد التحدث معكم عنه الآن.

وسأختم حديثي هذا بإشارة سريعة إلى اثنتين من التداعيات الكثيرة التي أحدثها، وكلتاهما على قدر كبير من الاستثناء والراهنيّة، على الرغم من الكارثة الإنسانية التي حلّت بسورية وبالمنطقة العربية كلها.

ما هو إذن هذا الحدث؟

عام (635)، حاصرت الجيوش الإسلامية مدينة دمشق، مدة خمسة أشهر، جرت خلالها مفاوضات بين القادة المسلمين والوجهاء المسيحيين في دمشق، وانتهوا منها أخيراً إلى اتفاق.

فتحت دمشق أبوابها أمام القوات الإسلامية، بعد أن تعهّد قادتها باحترام كل إنسان وكل شيء فيها، بدءاً من كاتدرائيّتها الرائعة، المشيّدة باسم القديس يوحنا المعمدان، والتي كانت تقوم في قلب المدينة. وقد تحقّق كلّ ذلك، لقاء ضريبة اتضح أنها كانت دون الضريبة التي

كانت تُدفَع لحكّامها السابقين، مسيحيّي بيزنطة!

كما اتُّفق على أن المسيحيين، من مدنيين وعسكريين، الذين كانوا يريدون مغادرة البلد، مع القوات البيزنطية المنسحبة، يُمنحون جميع الضمانات الضرورية.

وأما الموظفون المسيحيون القائمون في دوائر الدولة، بدءاً من الوجهاء الذين قادوا المفاوضات مع العرب المسلمين، فقد طُلب إليهم بإلحاح أن يظلّوا في مراكزهم. وكان منهم جدّ ووالد من سيصبح بعد سنوات طويلة، القديس يوحنا الدمشقي، وهو الذي كان قد شغل مركزاً بالغ الأهمية، هو مركز وكيل المال في الخلافة الأموية، التي كانت آنذاك اتخذت من دمشق عاصمة لها.

فضلاً عن ذلك، فقد احتُفظ باللغة اليونانية، وبالأختام الرسمية المهورة برسوم الأباطرة البيزنطيين، لغةَ وأختامَ الإدارة الجديدة في الخلافة الأموية، حتى عام (685)، حيث قرّر الخليفة مروان بن عبد الملك، استخدام اللغة والأختام العربية، في دواوين الدولة كلها.

أخيراً، يستوقفني حدث، لم يحدث قط ما يشبهه في جميع حوليات تاريخ الديانات.

قديماً كان كل فاتح منتصر، يسارع إلى تدمير أماكن عبادة خصمه، واستبدالها بمعابد تشاد لآلهته الخاصة والمنتصرة. إلاّ أن المسلمين الفاتحين في دمشق، ومع أن السلطة قد باتت مطلقة في قبضتهم، فقد أبقوا على كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان!

ثم كان أن ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك. فلمّا لم يكن لهم مسجد، لا في دمشق، ولا في ضواحيها، اتّفقوا مع وجهاء المدينة والسلطات الدينية، على إقامة صلواتهم في الكاتدرائية عينها كل يوم جمعة، وفي أعيادهم المعروفة. وإنّ المؤرّخين ليجمعون على أن الأمور كانت كلّها تجري في الكاتدرائية على خير ما يرام!

ولا بد لي من التأكيد مرة أخرى أن هذا الحدث، لم يتكرّر ما يشبهه في تاريخ العلاقات المسيحية – الإسلامية. كما أنه ليس من الصعب تصوّر مدى ما كان لهذا التعايش

الروحاني، من تأثير عميق على صعيد تدعيم الروابط الروحية والإنسانية، التي كانت تنشأ وتترسّـــخ بمرور الزمن، على مستوى جميع هؤلاء الناس، وعلى الرغم ممّا كان يفرّق بينهم من معتقدات، وأصـــول، وعادات، وعقليات، ومســـؤوليات مختلفة، وكذلك أيضاً على صعيد مختلف العلاقات بينهم، شخصية كانت، أم عملية، أم عائلية.

وجـــاء يوم من عام (705)، قـــرر فيه الخليفة الجديد، وليد بن عبد الملك، الاســـتيلاء على الكاتدرائية المسيحية، إثر مفاوضات فاشلة مع الوجهاء، وشيّد مكانها ما هو اليوم مسجد بني أمية، وإنما بمســـاعدة بنّائين مسيحيّين من دمشـــق ومن بيزنطة. إلا أنه أمر بالاحتفاظ بضريح القديس يوحنا المعمدان، وبجرن المعمودية الكبير. وشَـــيّد للمســـيحيّين بالمقابل، أربع كنائس كبرى في دمشق، ومنها الكاتدرائية الخاصة بكنيسة الروم الأرثوذكس.

يرى بعـــض المؤرّخين أن هذه الســـنوات الســـبعين الأولى، التي عاشـــها وأبدعها معاً، المسيحيّون والمسلمون في دمشـــق آنذاك، شكّلت الأساس الحقيقي لهذا التعايش الإنساني أولاً، ومن ثم لاستمراره عبر القرون اللاحقة، بين المسيحيّين والمسلمين واليهود، في جميع البلدان الإسلامية في الشرق عامة، وعلى نحو خاص في سورية. ولقد تواصل عبر القرون، على الرغم من جميع الاضطرابات، الكبيرة أو الصغيرة، التي تخلّلت هذا التاريخ الطويل، والتي كان أخطرها دون شك، الحملات الأولى المسمّاة صليبية...

وأنا أرى، ولا أكفّ عن التصريح، كما فعلت في البرلمان الأوروبي في شهر ديسمبر من عام 2017، أنّ هذا التعايش الإنساني والاجتماعي الاستثنائي، الذي تواصل قروناً وقروناً، إنما هو وحده ما يفسّر المقاومة، التي واجهت بها ســـورية هـــذه الحرب المجنونة عليها، طوال ســـنوات وسنوات، والتي لم يكن أحد ليتوقّعها. وهي هي التي تجعلها حتى اليوم تقف في يقين الخلاص الآتي...

وأتصوّر بالبديهة أن التأمل في هذه الوقائع التاريخية، لا بدّ له من أن يقودنا إلى الاعتقاد بأن السلوك الذي انتهجه المسلمون الفاتحون، منذ اللحظة الأولى، مع سكان دمشق، وسورية

المسيحيّين، قد وجد تلقائياً اكتماله، ثم تثبيته، إبان دخول المسلمين إلى القدس عام (639)، ثــمّ إلى مصر عام (641). إلاّ أنه بلغ في الأندلس أوج اكتماله، خلال ما يقارب ثمانمائة عام، أي ما بين عام (718) وعام (1492)!

وهنا، اســمحوا لي على ســبيل المقارنة فقط، بتذكيركم بحدث مروّع، هو وكل ما ذكرت، على طرفَي نقيض: إنه اجتياح مدينة القســطنطينية عــام (1204)، من قبل جيوش الحملة الصليبية الرابعة القادمة من الغرب، المسمّى مسيحيّاً!

بالطبــع، قد يثير الكثــير ممّا ذكرت أمامكم، بعض الشــكوك، أو التســاؤلات، أو حتى الاعتراضات.

وفي مســعى مني للإجابة عــلى كل ذلك، أكتفــي بدعوة كل مثقف وباحــث، إلى قراءة المؤرّخين اليهود، بل الإسرائيليين فقط، إذ يفترض فيهم أن يكونوا منذ زمان بعيد، أشــدّ أعداء العرب عموماً، والسوريين خصوصاً.

وإني لأكتفي بالإشــارة إلى ثلاثة منهم فقط. أولهم «آبا إيبــان» الذي كان المندوب الدائم الأول لإسرائيــل، في هيئة الأمم المتحــدة، في كتابه بعنوان «شــعبي»، الصادر في باريس عام (1973)، في ترجمته الفرنســية عن دار نشر «بوشــيه – شــاتل». والثــاني هو الحاخام الفرنــسي، «جوزي إيزنبرغ»، في كتابه «تاريخ لليهــود»، صدر في باريس عام (1970)، في منشــورات «كتاب الجيب». والثالث هو «أبرام ليون ســاخار»، وهو يهودي أميركي، في كتابه الموسوعي، «تاريخ اليهود»، الصادر في ترجمته الفرنسية، عن دار نشر «فلاماريون»، عام (1973).

ومن منكم سيحمّل نفسه عناء تصفّح هذه الكتب، سيُفاجَأ بصحّة كل ما ذكرت.

آن لي أن أختم حديثي، بما ســمّيته التداعيات الاســتثنائية الناجمة عن هــذا اللقاء الأول والحاسم، بين المسلمين الفاتحين الأوائل، ومســيحيّي المشرق كله آنذاك، ولسوف أكتفي بذكر اثنتين منها فقط.

كانـــت الأولى إبداعاً آيديولوجيـــاً أُطلق عليه فيما بعد اســـم «العروبة». وقد حدث ذلك بفضل الكتابات الكثيرة والجريئة، التي دأب على إطلاقها في ســـورية ولبنان، خلال القرن التاسع عشر، عدد كبير من الكتاب المسيحيين. وهي أيديولوجيا تدعو إلى التمسك باللغة العربية الأمّ، بوصفها الرابطة الأساســـية، الموحِّدة بين جميع الناطقين بها. كما أنها تدعو إلى تجاوز جميع الحدود الجغرافية القائمة بين البلدان العربية، ومن ثم إلى تخطّي جميع الشـــؤون الخلافية، دينية كانت أم طائفية، أم اجتماعية أم عرقية... وتدعوا أخيراً إلى السعي من أجل خلق مجتمع متجانس، حرّ ومدني، في احترام تام للضمائر والمعتقدات.

وكانـــت الثانية، بمثابة ثمرة للأولى، إذ هي أفضت في القرن العشرين، إلى إنشـــاء أحزاب سياســـية، عديدة وقوية، كان لها شأن كبير في كل من لبنان وســـورية والأردن وفلسطين والعراق، وكان مؤسّسوها كلّهم مسيحيّين!

وفي إطار التداعية الثانية، اسمحوا لي بأن أرسم لكم في ملامحه الكبرى، وجهاً أكثر من مدهش، لزعيم مسيحي في سورية الحديثة هذه، التي يجدر بكم كثيراً أن تعرفوها وتعرّفوا الناس عليها.

إنه «فارس الخوري». وُلِد في جنوب لبنان عام 1877، وتوفّي في دمشق، عام 1962.

تخـــرّج في العلوم الرياضية من الجامعة الأميركية في بيروت، ثم من جامعة الســـوربون في باريس، وأصبح نائباً ممثّلاً لدمشق، عام 1908 في البرلمان العثماني، في إسطنبول.

وأصبح وزيراً للمال عام 1920، خلال تشكيل المملكة السورية، في فترتها الأكثر من سريعة، ومن ثم وزيراً للتعليم عام 1926.

وانتخب نائباً في المجلس التأسيسي السوري عام 1928، ثم في البرلمان السوري عام 1932، وأعيد انتخابه عام 1936، ثم أصبح رئيســـاً للبرلمان الســـوري عام 1939، وأعيد انتخابه رئيســـاً للبرلمان الســـوري من عام 1943 إلى عام 1944. وفي هذه الفترة شغل منصب وزير الأوقاف الإسلامية أيضاً.

وفي شهر تشرين الثاني من عام 1944، عيّن رئيساً لمجلس الوزراء حتى شهر أيلول من عام 1945، حيث عيّن رئيساً للبرلمان، ثم رئيساً للوفد السوري إلى الأمم المتحدة، وقد ساهم في تأسيسها، وكان أول مندوب دائم لسورية فيها.

وفي 25 تشرين الأول عام 1954، عيّن رئيساً للوزراء، إلاّ أن مسيرته السياسية توقفت بسبب رفضه الاتحاد مع مصر.

في سورية، يشكل فارس الخوري، على نحو دائم، قيمة رمزية.

سيداتي، سادتي،

أختم حديثي هذا برواية حادثة مثيرة، ولكن واقعية بالمطلق.

أنا مقيم في دمشق في كنيسة تُدعى كنيسة سيدة دمشق. وقد دُشّنت عام 1975.

هذه الكنيسة شُيّدت في موقع فيلا كبيرة، كان يملكها وجيه مسلم من دمشق، يُدعى أكرم ميداني. خلال المفاوضات التي جرت بينه وبين بعض وجهاء طائفتنا، والتي أفضت إلى شراء الفيلا منه، علم أنّ كنيسةً ستُشاد محلّ الفيلا، ففاجأ الوفد المفاوض بقوله:

«طالما أنكم تنوون بناء كنيسة، يسرني أن أخفّض ربع الثمن الذي طلبتُه، على أن يُصلّى فيها مستقبلاً، من أجلي ومن أجل أسرتي!»

وهكذا كان.

ويطيب لي، في ختام حديثي هذا. أن أخبركم أنّي أنا الكاهن العربي الكاثوليكي، ملتزم دائماً بهذا الطلب، وبهذه الصلاة!

وصدّقوني إن قلت لكم إنّ أكرم الميداني هذا، يمثّل حقّاً الإسلام في سورية.

شكراً!

دمشق في 15/ 11/ 2022

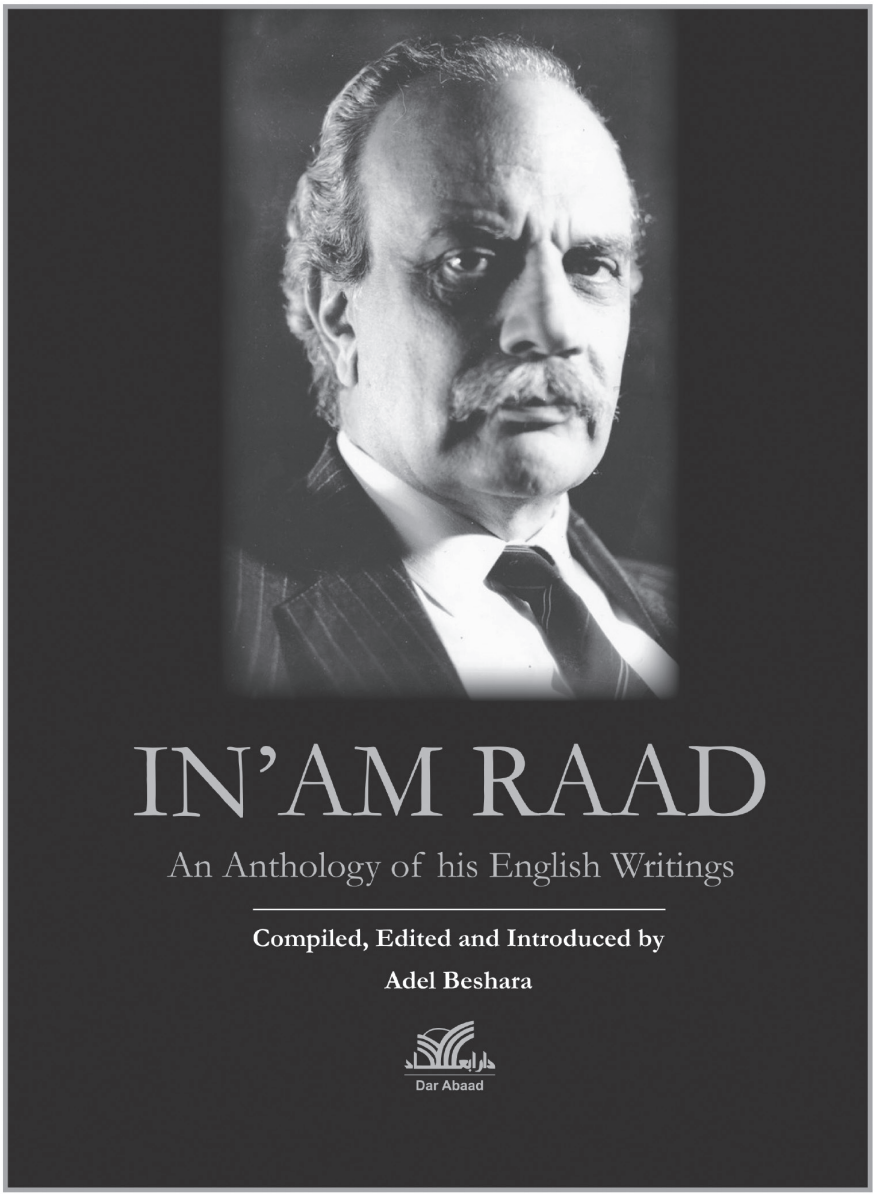

لطلب الكتاب، الاتصال:

دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - منطقة الحمرا

شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4

ص.ب، 7179 – 113 بيروت – لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

صراع الأسطولين العربي الإسلامي والبيزنطي على البحر المتوسط، والدهاء الحربي (معركة «ذات الصواري» أنموذجاً)

شيماء عليوي عبيد السعيدي(*)

شـــهد البحر الأبيض المتوســـط – كما البحار والمحيطات الأخرى – عبر تاريخه القديم والوســـيط والحديث، صراعاً مريراً بين أســـاطيل الدول والإمبراطوريات. كما شـــهد معارك بحرية دامية، اصطبغت فيها مياهه بـــدم المتقاتلين من أطراف الصراع، كما كان الحال في معركة «ذات الصواري» بين الأســـطول العربي الإسلامي والأسطول الرومي البيرنطى عام 34هـ/ 655م.

فماذا عن البحر الأبيض المتوسط؟ وما هي معركة «ذات الصواري» (المعروفة في المراجع الغربية باسم «معركة فونيكه» (Phoenws)؟ وماذا عن فنّ الدهاء الحربي فيها؟

في الحقيقـــة، يتمتع البحر الأبيض المتوســـط بميزات ذات طابع جيو – اســـتراتيجي، باعتباره يفصل بين قارات ثلاث: أوروبا وآســـيا وأفريقيا. وهو بدوره نقطة التقاء هذه القارات. ونتيجة لهذا الموقع الهام والاستراتيجي، فقد كان محور صراع طويل منذ أقدم العصور، وحتى أيامنا، وســـيبقى كذلك دائماً على الرغم من تطوّر وسائل المواصلات وتقدّمها. كما أن من يفرض سيطرته عليه يستطيع التحكّم بالقارات الثلاث: أوروبا – آسيا – أفريقيا.

ولقد كان لهذا البحر دور كبير في التطوّرات التاريخية والأحداث المصيرية منذ القديم. وكانت السيطرة عليه هدف كل دولة قامت على سواحله.

(*) طالبة عراقية تعمل على تحضير شـــهادة دكتوراه في التاريخ، في جامعة الجنان/ طرابلس، وهي نائب في البرلمان العراقي.

من هذا المنطلق، كتب الباحث الاستراتيجي في شؤون البحر وأساطيله، الدكتور إبراهيم أحمد العدوي قائلاً: «يتمتّع البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر بموقع جغرافي فريد، جعله مطمع كل قوة تبغي لنفسها الازدهار والسلطان. ولكن لم تستطع أيّة قوة أن تنال الخلود الذي فاز به العرب باستقرارهم على شواطىء هذا البحر. فبينما اندثرت حضارات وانهارت دعائم أمم ازدهرت على جوانب هذا البحر، ما زالت أقدام العرب راسخة إلى اليوم في رقعة شاسعة، تضم شواطى الشام ومصر وشمال إفريقيا، أي ما يقارب من نصف شواطىء البحر الأبيض المتوسط.

ويُعزى سرّ هذا الخلود إلى أن العرب اتخذوا أهبتهم لركوب البحر الأبيض المتوسط وفق خطوات منظمة ومدروسة، بعيدة عن الارتجال، وذلك منذ أطلّوا على مياهه في القرن السابع الميلادي حاملين راية الإسلام. لذلك قامت صفوة من قادتهم تدعو إلى بناء أسطول عربي في البحر الأبيض المتوسط»[1]. وأضاف العدوي يقول:

«ولم يلبث هذا الأسطول العربي الفتيّ أن هزم بحرية الروم وانتزع منها سيادة البحر الأبيض المتوسط، الذي زالت عنه صفة «بحر الروم» وصار بحيرة عربية. ولم تلبث الأساطيل العربية أن تعدّدت باهتمام العرب في شمال إفريقية (بلاد المغرب) والأندلس ببناء سفن حربية أسهمت في إعزاز مجد العرب في البحر الأبيض المتوسط.

وقد نالت الأساطيل العربية الفوز الباهر بفضل شبكة واسعة من القواعد البحرية ودور الصناعات، التي سهرت على خدمتها. وكذلك نتيجة إعداد طبقة ممتازة من الرجال البحريين الذين قادوا تلك الأساطيل في براعة ومهارة إلى النصر المبين[2].

والواقع، إن من يسيطر سيطرة تامة على البحر الأبيض المتوسط يستطيع فرض وجوده

(1) العدوي، ابراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة 1957، ص (المقدمة).

(2) العدوي، ابراهيم أحمد، المرجع السابق نفسه، والصفحة الثانية من المقدمة.

على المدن الواقعة على سواحل هذا البحر والانطلاق منها للسيطرة على مراكز الثقل في القارات الثلاث. وقد عرف هذا البحر صراع الأساطيل اليونانية والرومانية والفارسية والقرطاجية.... فوق مساحته المائية وعلى سطحه المائي، تمخض عنه انهيار امبراطوريات ودول وقوى عظمى، وقامت على أثره دول وامبراطوريات أخرى تنازعت ميدان النفوذ والسيطرة عليه والتحكّم بموقعه وجغرافيته، كمقدمة للتحكّم بتاريخه[1]. ولم يكن صراع الأسطولين العربي الإسلامي والرومي البيزنطي إلا من هذا القبيل.

ولقد أدرك الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان هذه الحقيقة، فركز جهده لبناء القوة البحرية. وعرف الأمويون بعد ذلك أهمية البحر فمنحوه الأفضلية الأولى في مخطّطات عملياتهم. وسارت عمليات تطوّر البحرية في خط موازٍ للعمليات البريّة. وأمكن بذلك بناء الدولة الأموية القوية[2].

كان الهدف الأول للأمويين تصفية الدولة البيزنطية. ورغم فشلهم في القضاء عليها على نحو يماثل قضاء العرب المسلمين على الدولة الفارسية، إلا أن بناء قوتهم البحرية ساعدهم على تقليص نفوذ دولة بيزنطة حتى اقتصرت في عهد معاوية وسليمان بن عبد الملك على مدينة القسطنطينية وحدها.

كما أن سيطرة الأمويين على البحر الأبيض المتوسط قد حطّمت معنوياً نفوذ بيزنطة، واستطاع الأسطول العربي الإسلامي تحقيق كثير من الأهداف منها:

1 – حماية السواحل وتحقيق الأمن المباشر للدولة العربية.

2 – نجح في بناء الدولة العربية الإسلامية، وتحطيم نفوذ بيزنطة بالدرجة الأولى،

(1) للتوسع في ذلك، راجع كتاب: العسلي، بسّام، المذاهب العسكرية في العالم، دار النفائس، بيروت، ط1، 1993، ص 245 – 259.

(2) العسلي، بسام، فنّ الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر، بيروت، ط1، 1974، ص 219 (ج1).

وأســـهم في عمليات فتوح الجزر، ضمن استراتيجية الســـيطرة عليها، كمقدمة لفتح إسبانيا.

3 – حقق في مجـــال فن الحرب والدهاء نجاحات رائعـــة كانت مصدراً من المصادر الهامة في تطوير الأساطيل البحرية عبر التاريخ[1].

هذا، وقبل أن نتطرّق إلى الحديث عـــن معركة «ذات الصواري»، والدهاء الحربي الذي عُرف فيها مـــن الفريقين المتحاربين، العرب المســـلمين والـــروم البيزنطيين، لا بدّ من الإشارة إلى موضوع «فن الدهاء الحربي» ومقوّماته ومشروعيّته في الحروب.

لذلك نستطيع القول أن:

الحرب والدهاء عاملان ملتحمان ببعضهما البعض التحاماً وثيقاً يصعب الفصل بينهما. وأيّة حرب لا دهاء فيها، ليســـت حرباً حقيقية، ولا يجـــب إصباغ الطابع الحربي عليها، لأنّها تفتقد إلى أبرز عناصرها المكوّنة للإنتصار...

ومن هذا المنطلق يتوضّح أن الدهاء (والحيلة) هو القاســـم المشترك بين حروب ما قبل الميلاد وما بعده حتى يومنا هذا... كما يبقى الإنســـان والعقل هما الأســـاس في الحرب والدهاء... فالعقل هو «الولاّعة الســـحرية» التي تقدح شرراً لاهباً عندما يمعن الفكر بالتأمـــل والتركيز الواعي بهـــدوء... والعقل هو قمّة قوّة العـــالم. والقوى العقلية هي المحرّك الفعلي لهذه القوة. والذكاء في رأس قائمة هذه القوى. إذ أن «هناك ثالوثاً يسيطر على ميدان القتال والمعركة أيضاً، وهذا لا يخفى على أحد وهو: الذكاء – والشـــجاعة – والسلاح»[2].

(1) العسلي، بسام، المرجع السابق، ج1، ص 220.

(2) الحميميدي، العميد الركن محمد بن علي، الحرب والذكاء والقيم الفكرية والمعنوية، (طباعة خاصة)، الريـــاض 2014، ص 3، كما يمكن مراجعة كتاب: فرونتينيوس، خدع حربية، ترجمة عبد الله فؤاد كحيل، دار الفارابي، بيروت،.1986

هذا، وتشـــمل الحروب غالباً الجزء الأكبر من الترتيبات والمناورات والحســـابات قبل العمل وأثناء العمل نفســـه. والحقيقة أنّنا لا نمجّد المنتصر لانتصاره وليس لشـــجاعته فحســـب، ولكنّنا نشـــيد بقدرته العالية على الحيل والذكاء الذي يتمتع بهما، وهذا طبعاً تمجيد لفنّه المزدوج في الكســـب والإقناع واجتياز المواقف المتقلّبة. ولا شـــك أن طريق القائد لتحقيق أهدافه وإنجاز مهمتـــه، لا بد له أن يتّصف بالقدرة على التأمّل والتفكير الســـليم والخيال الواســـع، بغضّ النظر أن ننظر إلى عمله بأنّه عمـــل غريزي. وأغلب صفات القادة العســـكريين خلال التاريخ العســـكري يتمثل في قدرتهم الأساسية على تكوين الفكرة لتوجيه عملهم[1].

والجدير بالذكر، أن الإنســـان هو مدبّر الحرب، وهـــو وقودها وأداتها الأولى، والحقيقة أن ما يتمتع به الإنســـان من القوى العقلية هي المحرك الفعلي (كما سبق وأشرنا)، فمن هذه القوى العقلية تنبثق الإدارة ووســـائل وطرق القتال وتنظيمه وشكله. وهذا ليس بغريب لأنّها قمة قوة العالم. فهذه القوى العقلية للإنسان هي التي بدّلت سطح الأرض وخلقت الحضارات وقوّضتها. ولقد تشـــكّلت النشاطات العقلية الواعية للإنسان من زمـــان مضى قبل وقت طويل أو بعيد بحيث تمثّلت على هيئة نشـــاطات فكرية ومعنوية وجمالية ودينية واجتماعيـــة. وطبيعي أن الذكاء كان حاضراً في كل ذلك. والذكاء يحتاج لنموّه وظهوره دائماً إلى التدريب المستمر والتمارين. كما أن التركيز ينمّي الذكاء والدهاء والتبعثـــر يؤذيه. لكن الذكاء بمفرده غير كافٍ للإنســـانية للتطـــوّر على طريق المعرفة، ولكن يحتاج ذلك إلى عمل العلماء المبدعـــين والقادة مع وجود قدرة غريبة، هي خليط من الإلهام والتخيّل الخلّاق والإيحاء، قادرة على ملاحظة العلاقات بين الظواهر المنعزلة والمتغـــيرة، وبالتالي تبيّن الحقيقة بدون الحاجة إلى التفكير، أو بتفكير سريع للملاحظات الآنية، ومن المحتمل أن يعتبر ذلك نوعاً من الإنسجام الوثيق مع الواقع[2].

(1) الحميدي، محمد بن علي، المرجع السابق نفسه، ص 4 – 5.

(2) المرجع السابق نفسه، ص9 – 10.

وبدوره يقول العماد حسن توركماني (أحد رؤساء أركان الجيش العربي السوري) في كتابه «الدهاء في الحرب» ما يلي:

«الدهاء صفة وسمة للعقل وقدراته غير المحدّدة. والدهاء ليس حكراً على الأعمال العسكرية بل إنه قد يكون ضرورياً في الكثير من ممارسات الإنسان ونشاطاته ذات الصلة بأعمال الفكر والبحث، وباعتبار الدهاء معنياً بالبحث في كافة جوانب المشكلة أو المعضلة (المعركة) التي تواجه الإنسان (القائد) وتقليب أوجه حلّها من خلال التحليل والتركيب ومحاكاة تصرّف الخصم وإنتاج أفضل حلّ من بين الحلول الممكنة والذي يؤدي إلى النجاح أو إلى تحقيق الهدف الذي نتوخّاه، وغنيّ عن البيان أن الدهاء هو نتيجة لنشاط عقلي لإنسان أو قائد يمتلك عقلاً راجحاً»[1]. ويضيف العماد توركماني قائلاً:

«وتبدو ممارسة الدهاء في العمل العسكري مشوبة بمظاهر الخداع والحيلة، مما يثير لدى بعض الناس فكرة تعارض هذه الممارسات مع الأخلاق. إلا أن البحث والتعمّق في تحليل مسألة الدهاء واستخدامها في الحرب يُظهر أن ذلك أمراً مشروعاً تماماً، ويستمد مشروعيّته من جهة، من مشروعيّة الحرب التي يخوضها القادة والقوات للدفاع عن الوطن وكرامته واستقلال البلاد والذود عن ترابها. كما أن الحرب صراع مصيري ولا بد فيها من بذل أقصى الجهد والبحث عن كل وسيلة ممكنة لدفع الأذى والمحافظة على البلاد في مواجهة عدو يستهدف القضاء على المدافعين واحتلال الأرض. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأديان كلّها أعطت حق الدفاع عن النفس مشروعيّته. وكما قال سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم إبّان غزوة الأحزاب «الحرب خدعة».[2] وبذلك يعطي النبي العربي المثل في ردّ الأذى والمحافظة على الرسالة من بطش قريش. وقد أدى الدهاء

(1) توركماني، العماد حسن، الدهاء في الحرب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص 7.

(2) جاء ذلك في كلمة رسول الله محمد (ص) لنعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب، (أو غزوة الخندق) قائلاً: «يا نعيم إنما أنت رجل واحد، فخذّل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة».

في تلك الغزوة إلى تفرّق الأحزاب وانتصار المسلمين. وبهذا نجد أن الدين لا يعتبر ممارسة الدهاء عملاً لا أخلاقياً بل مشروعاً. وكذلك الشرعية الدولية تؤكّد على حق الدفاع المشروع.

ويمكن القول أن ممارسة الدهاء ليس عملاً مشروعاً وأخلاقياً فحسب، بل إنه مطلوب ومستحسن في الممارسة العسكرية، ويصبّ في خانة النوعية في الممارسة العسكرية. فالدهاء هو قمّة التفكير والإبداع في العمل العسكري، وقد حقّق الدهاء عبر العصور نجاحاً وانتصاراً في المعارك والعمليات.

والحق أن الدهاء في الممارسة العسكرية يجب أن ينتج تدابير وإجراءات تؤدي إلى مفاجأة العدوّ وغالباً ما يؤدي تحقيق المفاجأة إلى النصر كما هو معروف لدى الجميع»[1].

هذا، وقد صدق المنظّر العسكري الكبير كلاوزفيتز عندما قال: «إن كل مفاجأة تتضمن درجة معينة من الحيلة (أو الدهاء)... ولا تتحقق المفاجأة بدون الدهاء، ولا يتحقق النّصر بدون المفاجأة».[2] ويبقى الإنسان الواعي والمفكر، والذي يتميز بذكاء ودهاء وذهن وقّاد يقدح الأفكار ويبدع الخطط، هو المحور في كل الحروب ومجرياتها. وعلى هذا الأساس، قال القائد الفرنسي الشهير نابوليون بونابرت: «يتوقف مصير المعركة على خطّة أو فكرة... وما إن تلمع الشرارة المعنوية حتى تنفّذ العمل أصغر قوة احتياطية»[3]. لذلك، كان الانتصار الباهر للأسطول العربي الإسلامي على الأسطول الرومي في معركة ذات الصواري، هو وليد «الفكرة» التي تفتّقت عن ذهن القائد عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأعوانه القادة بعد مشورتهم. فكيف كان ذلك؟

(1) توركماني، العماد حسن، المرجع السابق نفسه، ص 8 – 9.

(2) كلاوزفيتز، الجنرال كارل فون، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1997 ، ط ،1 وقد ذكرها العماد توركماني في كتابه السابق، ص 13 و16.

(3) الحميميدي، محمد علي، مرجع سابق، ص 11.

معركة «ذات الصواري» (34هـ/ 29 آب 655 م):

في الوقت الذي يعتبر فيه معاوية بن أبي سفيان مؤسّساً لأول بحرية عربية في التاريخ الإسلامي، والأسطول العربي الأوّل في ذلك الحين، وقد سطّر من خلاله انتصارات باهرة على الشواطئ في بلاد الشام وآسيا الصغرى حتى «رودس»، فأصاب الروم البيزنطيين بضربة حاسمة في أفريقيا وسواحلهم في المتوسط. عندها قرّر الامبراطور البيزنطي قسطنطين بن هرقل «المفاجأة» للعرب المسلمين. فكانت معركة «ذات الصواري» المعركة الفاصلة بين الأسطولين[1]. وقبل هذه الأثناء عينّ الخليفة عثمان بن عفان لإمارة البحر في مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح. وقد بذل عبد الله جهده لتنظيم القوة البحرية وتجهيزها. واشترك مع أسطول الشام في غزو قبرص.

وضع الروم مخطّطاً لتدمير الأسطول العربي الإسلامي، فاتصلوا بأنصارهم لتدمير الأسطول في ميناء طرابلس، وهو الأسطول الذي كان معاوية قد حشده لغزو القسطنطينية. وقام العملاء وأنصار الروم بإحراق الأسطول وهربوا إلى القسطنطينية. ثم تحرك قسطنطين بن هرقل على رأس أسطول ضخم يضم ألف قطعة بحرية لغزو الشواطىء العربية، وكان الروم قد بنوه من قبل في القسطنطينية، لضرب المسلمين ضربة يثأر با لخسارته الكارثية في البر.

هذا، وعندما كان القائد عبد الله بن سعد بن أبى سرح الساعد الأيمن لمعاوية في بناء الأسطول في مصر، وإرسال قطعه إلى الشام، فكان له الفضل الأكبر في قيادة معركة ذات الصواري إلى جانب مراكب الشام التي أرسلها معاوية بقيادة بُسْر بن أرطأة الفهري، واجتمع مع عبد الله بن سعد في مراكب مصر، وكانت كلّها تحت أمرته، ومجموعها مائتا

(1) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر1960 ، ج ،4ص288 . وأيضاً: ابن عبد الحكم القرشي، فتوح مصر والمغرب، مطابع لجنة البيان العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 255.

سفينة فقط[1].

ســـار هذا الركب، وفيه أشجع المجاهدين المســـلمين مما أبلوا في الحروب السابقة. لقد انتصر هؤلاء على الروم من قبل في معارك عديدة، فشـــوكة عدوّهم في أنفسهم محطّمة، لا يخشـــونه ولا يهابونه، على الرغم من قلّة عدد سفنهم إذا ما قيست بعدد سفن العدو. خرج المسلمون إلى البحر وفي أذهانهم: أننا سنجعل الروم اليوم يحسبون للقوة البحرية الإسلامية الفتية ألف حساب.[2]

ويمكننا أن نلخص أسباب اللقاء البحري بما يلي:

1 – الضربات القوية التي وجّهها المسلمون إلى الروم في أفريقية.

2 – أصيب الروم في سواحلهم الشرقية والجنوبية بعد أن سيطر المسلمون بأسطولهم عليها.

3 – خشية الروم من أن يقوى أسطول المسلمين فيفكروا في غزو القسطنطينية.

4 – أراد قســـطنطين بن هرقل اســـترداد هيبة ملكه بعد الخســـائر المتتالية براً وعلى شواطئه في بلاد الشام ومصر وساحل برقة.

5 – كما أراد الروم خوض معركة ظنوا أنها مضمونة النتائج، كي تبقى لهم السيطرة في المتوسط فيحافظوا على جزره، فينطلقوا منها للإغارة على شواطئ بلاد العرب.

6 – محاولة استرجاع الإسكندرية بسبب مكانتها عند الروم، وقد ثبت تاريخياً مكاتبة سكانها لقسطنطين بن هرقل ملك الروم.

(1) زهر الدين، صالح، موســـوعة معارك العرب، ج3 ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003 ، ص 66. (معركة ذات الصواري).

(2) الطبري، مصدر سابق، ج4 ، ص290 .

ما سبق كان سبب معركة «ذات الصواري»[1].

وهنا نصل إلى السؤال الجوهرى: كيف سارت أحداث هذه المعركة؟

قال مالك بن أوس بن الحدثان[2]: «كنت معهم – في ذات الصواري – فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط، وكانت الريح علينا – أي لصالح مراكب الروم – فأرسينا ساعة، وأرسوا قريباً منا. وسكنت الريح عنا قلنا – للروم – الأمن بيننا وبينكم – قالوا: ذلك لكم، ولنا منكم».

كما طلب المسلمون من الروم. إن أحببتم ننزل إلى الساحل فنقتتل، حتى يُكتب لأحدنا النصر، وإن شئتم فالبحر.

قال مالك بن أوس: فنخـــزوا نخزة واحدة، وقالوا: الماء... الماء... الماء. وهذا يظهر لنا ثقة الرّوم بخبرتهم البحرية، وأملهم بالنصر لممارســـتهم أحوالـــه وفنونه... مرنوا عليه فأحكموا الدراية بثقافته وأنوائه، فطمعـــوا بالنصر فيه،خصوصاً وأنهم يعلمون حداثة عهد المســـلمين به. بات الفريقان تلك الليلة في عرض البحر، وموقف المسلمين حرج، فقال القائد المسلم لصحبه: «أشيروا عليَّ»؟؟.

فقالوا: انتظر الليلة بنا، لنرتب أمرنا، ونختبر عدوّنا، فبات المسلمون يصلّون ويدعون الله عز وجل ويذكرونه، ويتهجّدون، فكان لهم دويّ كدوي النحل، على نغمات تلاطم الأمواج بالمراكب. أما الروم فباتوا يضربون النواقيس في سفنهم.

لقد بات كل منهما يهيّئ نفســـه روحياً، فجميع الشعوب قديماً وحديثاً تركز على الإعداد

(1) أبو خليل، شـــوقي، ذات الصواري بقيادة عبد الله بن ســـعد بن أبي سرح ،دار الفكر، دمشـــق، ط3، 1986، 60 – 61.

(2) مالك بن أوس بن الحدثان اليربوعي (أبو سعيد) هو تابعي من أهل المدينة، كان عريف قومه في زمن الخليفة عمر بن الخطـــاب. (راجع: الزركلي، خير الدين، معجم الأعـــلام، دار العلم للملايين، بيروت (د.ت)، ج6، ص 129.

الروحي قبل المعركة، وأفضلها أثراً في النفوس، سيكون لأصحابها النصر... [1]

أصبح القوم، وأراد قسطنطين أن يُسرع في القتال، ولكن عبد الله بن سعد، لما فرغ من صلاته إماماً بالمسلمين للصبح، استشار رجال الرأي والمشورة عنده، فاتفق معهم على خطّة رائعة:

يمكننا أن نجعل المعركة بريّة على الرغم من أنّنا في عرض البحر، فكيف تم للمسلمين ذلك؟ أمر عبد الله جنده أن يقتربوا من سفن أعدائهم فاقتربوا حتى لامست سفنهم سفن عدوهم، فنزل الفدائيون، أو «رجال الضفادع البشرية في عرفنا الحالي» إلى الماء، وربطوا السفن العربية بالسفن الرومية، ربطوها بحبال متينة، فصار 1200 سفينة في عرض البحر، كل عشرة أو عشرون منها متصلة مع بعضها، فكأنها قطعة أرض ستجري عليها المعركة.

وصفَّ عبد الله المسلمين على نواحي السفن يعظهم ويأمرهم بتلاوة القرآن الكريم، خصوصاً سورة الأنفال لما فيها من معاني الوحدة والثبات والصبر...

(وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين)[2]... إن معاني هذه السورة الكريمة لهي من المعاني المناسبة للموقف المناسب.

بدأ الروم القتال، فهم في رأيهم قد ضمنوا النصر عندما قالوا: بل الماء... الماء... الماء... وانقضّوا على سفن المسلمين بدافع الأمل بالنصر، مستهدفين ضربة أولى حاسمة يحطمون بها شوكة الأسطول الإسلامي. فنقض الروم صفوف المسلمين المحاذية لسفنهم، وصار القتال كيفما اتفق وكان قاسياً على الطرفين، وسالت الدماء غزيرة، فاصطبغت بها صفحة الماء. فصار أحمراً. وترامت الجثث في الماء وتساقطت فيه، وضربت الأمواج السفن حتى ألجأتها إلى الساحل، وقتل من المسلمين الكثير وقتل من الروم ما لا يحصى. حتى وصف

(1) الطبري، مصدر سابق، ج4، ص 290.

(2) سورة الأنفال، الآية 46.

المؤرخ البيزنطي «تيوفانس» هذه المعركة بأنها كانت «يرموكاً» ثانياً على الروم. ووصفها «الطبري «بقوله: إن الدم كان غالباً على الماء في هذه المعركة[1].

حاول الروم أن يغرقوا سفينة القائد المسلم عبد الله، كي يبقى جند العرب المسلمين دون قائد. فتقدّمت من سفينته سفينة رومية ألقت إلى سفينة عبد الله السلاسل لتسحبها، وتنفرد بها. ولكن علقمة بن يزيد الغطيفي أنقذ السفينة والقائد، بأن ألقى نفسه على السلاسل وقطعها بسيفه[2].

وصمد المسلمون رغم كل شيء، وصبروا كعادتهم في معاركهم، فكتب الله عز وجلّ لهم النصر بما صبروا، واندحر ما تبقى من الأسطول الرومي، وكاد الإمبراطور قسطنطين أن يقع أسيراً في يد المسلمين، كما ذكر ابن عبد الحكم، لكنه تمكّن من الفرار لما رأى قواه تنهار، وجثث جنده على سطح الماء تلقي بها الأمواج إلى الساحل[3].

لقد رأى أسطوله الذي تأمّل منه خيراً ونصراً وإعادة كرامة، يغرق قطعة بعد أخرى، ففرّ مدبراً والجراحات في جسمه، والحسرة تأكل فؤاده، يجرّ خيبة وفشلاً... فوصل جزيرة صقلية... ألقت به الريح هناك... فسأله أهلها عن أمره، فأخبرهم، فقالوا: «شمت النصرانية، وأفنيت رجالها، لو دخل العرب لم نجد من يردّهم» فقتلوه، وخلوا من كان معه في المركب...

نتائج معركة ذات الصواري:

1 – كانت ذات الصواري أول معركة حاسمة في البحر خاضها المسلمون، أظهر فيها الأسطول الفتيّ الصبر والإيمان، والجلد والفكر السليم، بما تفتّق عنه الذهن الإسلامي. خطّة جعلت المعركة صعبة على أعدائهم، فاستحال عليهم اختراق

(1) الطبري، مصدر سابق، ج4، ص 290 – 291.

(2) ابن عبد الحكم القرشي، فتوح مصر وأخبارها، مصدر سابق، ص 190.

(3) ابن عبد الحكم، المصدر السايق نفسه، ص190 – 191.

صفوف المسلمين بسهولة، كما استخدم المسلمون خطاطيف طويلة يجرون بها صواري وشرع سفن الأعداء، الأمر الذي انتهى بكارثة بالنسبة للروم[1].

2 – كانت ذات الصواري حداً فاصلاً في سياسة الروم إزاء العرب المسلمين، فأدركوا فشل خططهم فى استرداد هيبتهم، أو استرجاع مصر أو الشام، وانطلق المسلمون في عرض هذا البحر، الذي كان بحيرة رومية، وانتهى إسم «بحر الروم» إلى الأبد. واستطاع العرب المسلمون فتح قبرص وكريت وكورسيكا وسردينيا وصقلية وجزر الباليار، ووصلوا إلى جنوة ومرسيليا.

3 – انتهج عبد الله بن سعد بن أبي سرح سياسة النبيّ الكريم محمد (ص) في مبدأ «الشورى»، كما في حربه «الخدعة»، فكانت المعركة البحرية معركة «برية» بامتياز (ولو كانت فوق سطح الماء) مما أفقدت الروم البيزنطيين براعتهم وعبقريتهم البحرية.

4 – أفشلت خطّة عبد الله بن سعد«المفاجأة» التي خطط لها الامبراطور قسطنطين للقضاء على القوة البحرية الإسلامية الفتيّة، تماماً مثلما أفشل علقمة بن يزيد الغطيفي خطة قسطنطين أيضاً وفكرته الحربية في جرّ سفينة القائد عبد الله بن سعد وقتله... فحصد مجموعة «هزائم» مقابل مجموعة «انتصارات» عربيّة إسلامية.

5 – أثبتت معركة ذات الصواري أن القلّة لا يُعتدّ بها، وكثيراً ما تغلّبت القلة على الكثرة، ورجّحت الكفّة على الأعداء المتفوقين في موازين القوى عدّة وعدداً[2].

6 – أكدت هذه المعركة صحّة قرار الخليفة عثمان بن عفان في تولية عبدالله بن سعد

(1) أبو خليل، شوقي، ذات الصواري، مرجع سابق، ص68.

(2) راجع تفصيلياً في ذلك: المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2015 ،2 ، ص 632.

بن أبي سرح ولاية مصر وقيادة الأسطول العربي فيها، رغم كل الانتقادات التي وجّهت للخليفة بسبب هذا، بالإضافة إلى أنّه كان على ميمنة القائد عمرو بن العاص في فتح مصر وفي حروبه كلها، وهو لا يطمع بخلافة، ولا يرى لنفسه حقاً بها. وقد تحقّقت فراسة الخليفة عثمان به، وأحرز نصراً مهماً بعد أن قاد الجند بحكمة ودراية[1].

وهكذا في معركة ذات الصواري:

1 – بني الأسطول العربي بأيدٍ عربية وطنيةو إسلامية.

2 – لم يأذن عمر للمسلمين بالغزو بالبحر شفقة عليهم وخشية على أرواحهم قبل استكمال بناء الأسطول لضمان النصر في وقته المحتوم.

3 – سبب المعركة إنكسارات الروم المتتالية في البر، فأرادوا تحطيم الأسطول الإسلامي الفتيّ في مهده، بحراً، لكنّهم حصدوا فشلاً بالغاً[2].

4 – هرب قسطنطين من المعركة، تاركاً جنده للأقدار. هل هناك قائد عربي مسلم يترك جنده ليفرّ ناجياً بنفسه؟

أين موقف قسطنطين هذا من موقف الأمير الفارس النعمان بن مقرّن المزني؟ أما تمنّى أن يكون أول شهيد في المعركة؟

أين هذا الموقف من موقف خالد بن الوليد في اليرموك عندما كان يرى الموقف الحرج فيدفع نفسه إليه ليدرأ هذا الخطر عن جنده.

هذه الانهزامية التي أظهرها قسطنطين ما عرفها تاريخ الإسلام، وقد عرفها التاريخ الأوروبي الحديث عن نابليون عندما ترك جنده للطاعون، وللسفن الإنكليزية تلعب

(1) أبو خليل، شوقي، مرجع سابق، ص 69 – 70.

(2) محفوظ، جمال الدين، معركة ذات الصواري، دراسة منشورة في مجلة «الأمة»، العدد 71، سنة 1406 هـ.

بهم، وهرب إلى فرنسا بعد أن تحطّمت آماله على أسوار عكا. هذه النفسية ما عرفها قادة الإسلام في فتوحاتهم بفضل التربية النضالية التي ربّى عليها رسول الله (صلعم) صحبه.

5 – أصبح البحر المتوسط بحيرة عربية إسلامية، وصار الأسطول الإسلامي سيّد مياه البحر المتوسط، وهذه السطوة ليست للتسلّط والقرصنة بل للتحرير ليس غير. فأينما حلّوا حلّ العلم والخير والرفاهية والعدالة الإنسانية. وتشهد بذلك الأندلس وصقلية وجنوب فرنسا.

6 – عكف المسلمون على دراسة علوم البحرية، وصناعة السفن، وكيفية تسليحها وأسلوب القتال من فوقها، وعلوم الفلك المتصلة بتسييرها في البحار ومعرفة مواقعهم على المصوّرات البحرية المختلفة، فعرفوا الاصطرلاب «البوصلة الفلكية» وطوّروها إلى المدى الذي استفاد منه بعد ذلك البحارة الغربيون أمثال: كريستوفر كولومبس، وأمريكو فيسبوشي في اكتشافاتهم[1].

وهكذا، أنهت معركة «ذات الصواري» عصر السيادة البيزنطية في شرق البحر الأبيض المتوسط، فاطمأن المسلمون إلى أن هجمات البيزنطيين المفاجئة على شواطئهم أصبحت بعيدة الاحتمال، فتمتّعوا بالأمان والهدوء على طول الساحل الإسلامي، بعد أن أصبح الطريق نحو القسطنطينية ممهّداً أمام القوات الإسلامية لتواصل زحفها نحو عاصمة الدولة البيزنطية. كما كانت هذه المعركة، من جهة أخرى، فاتحة الحروب البحرية العربية التي حوّلت البحر الأبيض المتوسط إلى «بحر شامي» و«بحر عربي إسلامي»، بعد أن عُرف مدة طويلة من الزمن بـ «البحر الرومي» أو «بحر الروم»..... وقد دخلت هذه المعركة، التاريخ البحري من أوسع أبوابه، وبنصر استرا تيجي كبير، مسجّلاً انتهاء عصر سيادي (رومي – بيزنطي) وبداية عصر سيادي (عربي إسلامي) في عالم البحار

(1) أبو خليل، شوقي، ذات الصواري، مرجع سابق، ص 75 – 76.

والمحيطات، وبروز المسلمين قوة مؤثّرة يحسب حسابها في عالم البحر، كما في عالم البر من قبل، ومن بعد.[1] وأحرز الدهاء العربي نصراً باهراً على الدهاء الرومي.

ونظراً للمكانة التي تبوّأها الأسطول العربي الإسلامي، لاسيما بعد معركة «ذات الصواري» وأصبح من أبرز أساطيل العصور الوسطى، فقد دفع الكثيرين من شعراء العرب أن يشيدوا بهذا الأسطول وانتصاراته المميّزة، حيث كان من بينهم أمير الشعراء أحمد شوقي، قائلاً:

يا معشر الإسلام في أسطولِكمْ ... عِزٌّ لكم ووقايةٌ وسلامُ

جُودُوا عَلَيْهِ بِمَالِكُمْ وَاقْضُوا لَهُ ... ما توجِبُ الْأَعْلَاقُ والأَرْحَامُ

لَوْ تُقْرِئُونَ صغَارَكُمْ تاريخَهُ ... عَرَفَ الْبَنُونَ المَجدَ كَيْفَ يُرَامُ[2].

(1) زهر الدين، صالح، موسوعة معارك العرب، مرجع سابق، ص 75 – 76.

(2) أنظر: إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1957، ص ج (بعد المقدمة).

تاريخ رهن الأسهم عبر العصور

إعداد وتأليف: **الدكتور حسين حسن الدهيبي - الدكتور مصطفى عثمان الأيوبي - الأستاذة غالية فوزي علم الدين - الأستاذة آلاء خليل الشيخة.**

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، أما بعد: فلقد من الله على الإنسانية بشريعة إسلامية سمحة تحمل في طياتها من التشريع ما يكفل للفرد سعادته، ويحقق للمجتمع رفاهيته، وتمتاز بشـــمولها وكمالهـــا فتتضمن معالجة كافة الأمور وتتـــلاءم مع كل بيئة وعصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئنَاهُـــمْ بكتاب فصَّلْنَاهُ عَلى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَـــوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]. فبينت بالتفصيـــل أحكام الوقائع التي كانت في عصر نـــزول الوحي، وأنت بنصوص عامة على هيئة قواعد يُمكن تطبيقها على ما يجد من الحوادث لذلك شرع الله – سبحانه وتعالى – الرهن وثيقة من أهم الوثائق في حق الدائن المرتهن؛ لأنه يجعله مطمئناً على ماله كأنه في حيازته فلا يخشـــى الإنكار، أو الضياع كما أنه يحث المدين على الوفاء بالدين الذي عليه حتى يتمكن من اســـترداد المـــال المرهون والانتفاع بـــه وإذا كان الرهن فيه مصلحة للمرتهن فهو في الوقت نفســـه يحقق مصلحة للراهـــن؛ لأن الراهن حين يقدم ماله للمرتهن فإنه يحفظه من البيع بأبخس الأثمان إذ قد يلجأ الراهن إلى بيع ماله بثمن بخس لقضاء حاجته العاجلة إذا لم يجد من يقرضه.

تعريف الرهن في اللغة:

قال ابن منظور: الرهن معروف قال ابن سيده الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منـــه. يقال: رهنت فلاناً دارا رهناً وارتهنه إذا أخـــذه رهناً، والجمع رهون ورهان

(1) القرآن الكريم، **سورة الأعراف**، الاية: 52.

ورهـــن بضم الهاء: قال: وليس رهن جمع رهان لأن رهانا جمع، وليس كل جمع يجمع إلا أن ينص عليه بعد ألا يحتمل غير ذلك كأكلب وأكالب وأيد وأياد وأسقية وأساق، وحكى في جمعه رهين كعبد وعبيد[1].

تعريف الرهن في الاصطلاح:

اختلفت عبارات الفقهـــاء في تعريف الرهن إما لاختلافهم في حكم الرهن وموجبه وإما لزيادة بعض الشروط عن بعضهم، وإهمال من بعضهم الآخر، إما لعدم اعتبارها أو اكتفاء بذكرها مع الشروط، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: تعريف الرهن عند الحنفية: عرف فقهاء الحنفية الرهن بتعريفات كثيرة منها ما عرفه به الإمام ابن عابدين (حبس شيء مالي بحق يمكن استيفاؤه منه كالدين حقيقة أو حكماً)[2]، وعرفه الإمام ابن نجيم بقوله: (هو عبارة عن الحيس بأي شيء كان[3])

ثانياً: تعريف الرهـــن عند المالكية: عرف فقهاء المالكية الرهـــن بتعريفات كثيرة منها: ما عرفه به الإمام الخرشي عرفه بالمعنى الاســـمي بأنه: (مـــال قبض توثقاً به في دين)، وعرفه بالمعنـــى المصدري فقال: بذل أو إعطاء من له البيع ما يباع أو غرراً ولو اشـــترط في العقد وثيقة بحق)[4].

وعرفـــه الإمام ابن عبد البر بقوله: (الرهن أن يكـــون الشيء وثيقة من دين صاحب الدين يعود بدينه فيه إن لم يكن الراهن يفديه)[5].

---

(1) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لســـان العرب**، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج13، ص188.

(2) ينظر: رد المحتار على الدر المختار: للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين جـ10 ص68 طبعة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض – تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض.

(3) للإمام ابن نجيم، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ص263.

(4) شرح الخرشي على مختصر خليل: جـ5 ص ص236.

(5) الكافي في فقه أهل المدينة: للإمام أبو عمر يوســـف بن عبد الله بـــن عبد البر القرطبي جـ2 ص 812

ثالثاً: تعريف الرهن عند الشـــافعية: عرف فقهاء الشافعية الرهن بتعريفات كثيرة منها ما عرفه به الإمام الخطيب الشربيني بقوله: (هو جعل عين مالية وثيقة بدين يســتوفى منه عند تعذر وفائه)[1].

التعريف الراجح:

بعد ذكر تعريفــات الفقهاء للرهن نرى أن التعريف الذى تميــل إليه النفس هو ما ذهب المالكية بقولهم:

(بذل أو إعطاء من له البيع ما يباع أو غرراً ولو اشترط في العقد وثيقة بحق)، وذلك لعمومه فيــما يرهن، وفى هذا العموم احتياط لحفظ مال المرتهــن، فضلاً عما يفيده من جواز الرهن بالأعيان المضمونة، ســواء كانت مضمونة بنفســها أو بغيرها، وهذا بخلاف التعريفات الأخرى، فإنها تخصص المرهون بالعين، ولا تتناول رهن ما فيه غرر، كما أنها تخص المرهون به بالدين فتعريف المالكية يفيد التيســير على الراهــن برهن الدين وما فيه،غرر، كما أن فيه صيانة لمال المرتهن، بتوثيقه بأي شيء ولو كان ديناً أو مشــتملاً على غرر، وفيه كذلك جواز الرهن بالأعيان المضمونة إذا كانت غائبة، وفي ذلك احتياط لحفظ المال[2].

تاريخ ظهور الأسهم

السهم بمعناه الاصطلاحي هو: نصيب في شيء أو في شركة، وهو قديم جداً، فما زال الناس يكون بينهم شركة في عمل أو في متاع معين، فيكون لكل واحد سهم في هذه الشركة.

لم أجــد فيما بين يدي من المراجع ما يحدد تماماً تاريخ ظهورها، إلا أني وجدت ما يدل على قدمها، بالطبع موجودة قبل وجود أســواق المال، والتسلسل التاريخي يدل على أن بورصة

طبعة: مكتبة الرياض الحديثة بالرياض الطبعة الثانية سنة1400هـ – 1980م.

(1) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: جـ2 ص 297 طبعة دار الفكر – بيروت سنة 1415هـ – تحقيق مركز البحوث والدراسات بدار الفكر، ومغنى المحتاج شرح المنهاج: ج 2 ص 121 طبعة دار الفكر بيروت.

(2) عقد الرهن دراسة مقارنة: د / عبد الفتاح إدريس ص 8.

البضائع كانت قبل بورصة الأوراق الماليــة والتجارية، وكانت بورصة الأوراق التجارية ســابقة على المالية، فأول ما عرف تــداول الأوراق التجارية الكبيالات والســحوبات – الإذنية كان في القرن الثالث عشر في فرنســا، ومن أجل تنظيم هــذه العملية أوجد ملك فرنسا (فيليب الأشقر) مهنة سماسرة الصرف[1].

ثم في عام 1599م تأسســت شركة الهند الشرقية وطرحت أســهمها للتــداول. وفي عام 1688م بدأ التعامل في سندات الائتمان التي تمول التبادل التجاري ثم بدأت مرحلة جديدة لــلأوراق المالية في القرن الســادس عشر حين أخذت الحكومــات تقترض من الجماهير، ولجأت الشركات إلى الاقتراض عن طريق إصدار السندات.

واســتمر التداخل في التعامل بين الأوراق المالية والتجارية حتى بعد قيام أسواق الأوراق المالية، ثم بعد ذلك أصبحت للأوراق المالية أسواق خاصة بها.

ومــن خلال هذا التدرج التاريخي يمكن أن يتضح لنا أن الأســهم بمعناها الاصطلاحي المعاصر كان ظهورها الظهــور الحقيقي عندما ظهرت شركات المســاهمة العامة وعندما أخذت الحكومة تقترض من الجماهير في القرن السادس عشر[2].

حكمة مشروعية الرهن

من قواعد شريعة الإســلام اليسر والسهولة ورفع المشــقة ودفعها، وهذا باب واسع في الشريعة الإســلامية، فإن من تدبرها بتوسع ودقة وانصاف يجد ذلك واضحاً في العبادات والمعاملات.

وبيانه فيما نحن فيه:

أن الشــخص تختلف أحواله غنى وفقراً والمال حبيب إلى النفوس، فقد يأتي على الإنســان

(1) **الاستثمار بالأسهم والسندات**، محمد صالح جابر، 66 ط دار الرشيد للنشر 1982م.

(2) الأســواق والبورصات مقبل جميعي / 119، دار الكتب، **وأسواق الأوراق المالية**، د. محي الدين / 9، ط دله البركة.

وقت يكـــون في أمس الحاجة إلى النقود ليقضى بها حوائجه الضرورية ولا يجد من يتصدق عليه ولا من يقرضه ولا يجد ضميناً ولا كفيلاً، فيأتي إلى شـــخص يطلب منه مالاً بثمن في الذمـــة يتفقان عليه، أو يطلب منه قرضاً على أن يجعـــل عنده مقابل ذلك رهناً يحفظه عنده حتى يرد عليه حقه فشرع الله عز وجل الرهن المصالح الراهن والمرتين والمجتمع.

وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: المصالح التي تكون في جانب الراهن: إن الرهن ييسر للراهن سبيل الحصول على ما يحتاج إليه من القروض والشراء ديناً إلى أجل، فليس كل إنسان يجد من المال ما يحقق به ما يحتـــاج إليه في الوقت الذي يحتاج إليه، فقـــد يضطر إلى بيع ما هو عليه غال أو ثمين، وهذا التصرف قد لا يكون في صالحه، لأنه بيع المحتاج، وقد تكون ســـلعته مما لا يرغب فيها في ذلـــك الوقت، فيبيعها بثمن بخس، ففي مثل هذا الظرف يترجح عنده أن الاســـتدانة هي أحسن له، ولكن قد لا يجد من يدفع له ماله ديناً إلا إذا قدم رهنا، وفى ذلك مصلحة ظاهرة للراهن.

كما أن المدين إذا كان لديه، رهن، فإنه يحفظ ماء وجهه، ويمكنه أن يستدين ممن شاء، فيقول له: أعطني المال وهذا رهن يمكن أن تستوفى منه مالك إذا لم أرده إليك، وحينئذ يتمكن من الوصول إلى بغيته وحاجته بالدين بعز وكرامة.

ثانيـــاً: مصالح الرهن التي تكون في جانب المرتهن أما مصالح الرهن التي تكون في جانب المرتهن فذلك واضح وظاهر في حفظ حقه وماله من الضياع إذا عجز عن ســـداد دينه، أو حاول جحوده أو ماطل في سداده، مما يجعل القادرين غير خائفين من الإقراض وغيره بل يقبلون عليه طلباً للثواب، كما أنه يجعل للمرتهن حق التقدم والأولية قبل غيره من الدائنين فيما تحت يده من الرهن في حالة تزاحم الغرماء على المدين فيما له من مال لفلسه، أو إعساره أو وفاته.

يسعى الكثير من الناس في عصرنا الحالي على زيادة دخلهم من خلال اللجوء الى الاستثمار

أما في مجال العقــارات او الأوراق المالية، ولكن مع التطــور التكنولوجي وإمكانية إدارة عملية الاستثمار من المنزل او من أي مكان، من خلال الاتصال بالأنترنت فأصبح كثير من الناس يلجأ إلى هذه الطريقة وخاصة الاستثمار في الأسهم، وبمجرد امتلاكه لهذه الأسهم فهو بذلك أصبح مالكاً لقيمة محددة بالشركة المســاهمة، ولكــن احياناً قد يتعرض مالك الســهم إلى عثرات مالية، يضطر معها إلى رهن أسمه من خلال عقد رهن محدد للحصول على مبلغ مالي، وهذا الرهن لا يتم بطريقة عشوائية بل له شروط وأركان وكذلك إجراءات محددة يتم من خلالها.

تعتبر الأســهم أحد أنواع الأوراق المالية والتي انتشرت بشــكل كبير جداً، في المعاملات الماليــة، وفي ضوء حاجة العمليــة التجارية لعقود التوثيقات، تبرز أهمية رهن الأســهم، وخاصة أسهم الشركات المساهمة، غير المدرجة في السوق المالية.

ومما لا شــك فيه أن رهن الأســهم ليس من التصرفات النادرة، إذ كثيراً ما تكون الأسهم بمثابــة الضمان للدائن، المرتهن، لاســتيفاء قيمة دينه الذي له في ذمة المســاهم الراهن أو الكفيــل العيني، فيصبح للدائــن المرتهن حق امتياز على ثمن الســهم المرهون بيعاً جبراً، ورهن الأسهم شأنه شأن التصرفات الواردة على ملكية الأسهم.[1]

فقد جاء الإسلام شاملاً ومنظماً لجميع شؤون الحياة ومناحيها فمــا مــن جانــب إلا وللــدين فيــه توجيهــات وحــدود ومعــالم وتعليمــات ومــن هــذه الجوانــب التــي جــاءت، الشريعة بتنظيمها ما يتعلق بجانب الأموال وتنميتها واستثمارها ويكثر في هــذه الأيــام. السؤال عن الأسهم وأحكامها، فلقد دخلت حمى المضاربة فاجتاحــت المجتمــع، حتــى صــارت حــديث البيــوت والرجــال والنــساء وطبقــات المجتمــع مــن الأغنيــاء ومتوســطي الدخل وحتى الفقراء، ويشهد المجتمع ظــاهرة التعلــق المحمــوم بهــذه

(1) مخلوف مخلوف، **أثر رهن أسهم شركة المســاهمة على حقوق مالكيها**: مجلة صوت القانون، ص26 – 27.

الأسـهم والاهتمـام بها، حتى طغت على أداء الحقوق. [1]

وفي ضوء هذا الانتشار الواسع للاستثمار في الأسهم وتداولها كان لا بد من توفر حماية مالية، وقانونية، للمســاهم ؛ فالحقوق المالية تتمثل في حقه في الحصول على الأرباح، حيث يعتبر هذا الحق هدف كل مساهم في شركة المساهمة، والحق في تداول أسهمه، حيث يعتبر تداول الأسهم من أهم ميزات شركة المساهمة، من خلال تكريس مبدأ حرية تداول الأسهم، حيث يعتبر هذا الأخير أيضاً من العمليات المدرة للأرباح، وكذلك نجد الحماية الغير مالية؛ ومن خلالها يساهم المساهم في إدارة الشركة والمشاركة في اجتماعاتها واجتماعات الجمعية العامة لها، وتقرير سياســتها، وفذ ضوء هذا الاهتمام و الانتشار للتداول بالأسهم كان لا بد من توضيح مصطلح مهم جداً هو رهن الأسهم فكان لا بد من التعرف على مدلوله واجراءاته والجوانب القانونية والفقهية المترتبة عليه و أثره على حق التملك وانتقال الملكية.

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لرهن الأسهم.

أولاً: التعريف اللغوي

هناك العديد من التعريفات اللغوية لكلمة الرهن نورد منها:

ما جاء في لسان العرب ما نصه: (الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه. يقال: رهنت فلاناً داراً رهناً وارتهنه إذا أخذه رهناً، والجمع رهون، ورهان، ورهن، بضم الهاء..)[2].

والرهن لغة: من رهن الشيء رهوناً أي: ثبت ودام نقول: رهنته المتاع بالدين حبسته، فهو مرهون، فهو بمعنى: الدوام والاستمرار والاحتباس، ويجمع على: (رهن) و (رهان).[3]

(1) نادية أبو العزم، **أنواع الأسهم واحكامها الشرعية**: مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، ص227.

(2) محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر)، ج3، ص188.

(3) محمــد صالح بــن ألفا عمر جالو، **الأســهم وأحكامها في الفقه الإســلامي**، (بــيروت، دار الكتب العلمية،2015)، ص269.

وقال الراغب: الرهن ما يوضع وثيقة للدين، والرهان يختص بما يوضع في الخطار وأصلهما مصدر، يقال رهنت الرهن وراهنته رهاناً فهو رهين ومرهون ويقال: في جمع الرهن رهان، ورهون، فيقرأ قوله تعالى: ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾[1] فرهان، وأيضا قيل في قوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2]، أنه بمعنى فاعل أي ثابته مقيمة وقيل: بمعنى مفعول أي كل نفس مقامة في جزاء ما قدم من عمله، ولما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك لحبس أي شيء كان قال:﴿بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ورهنت فلاناً، ورهنت عنده، وارتهنت أخذت الرهن، وأرهنت في السلعة قيل غاليت بها، وحقيقة ذلك أن يدفع سلعة تقدمة في ثمنه فتجعلها رهينة لإتمام ثمنها.[3]

ويقال رهن الشيء رهناً: أي دام وثبت، وراهنة دائمة ثابتة، وقيل الرهن الحبس، والحاصل أن الرهن في اللغة يأتي بمعنى الثبات والدوام، ويأتي بمعنى الحبس، والمعنى الأخير لازم للمعنى الأول؛ لأن الحبس يستلزم الثبوت في المكان وعدم مفارقته.[4]

اما الأسهم فتعرف لغة على أنها:

الأسهم جمع سهم، وهو يطلق في اللغة على المعاني التالية:

في اللغة: هي جمع لسهم، وهو: النصيب المحكم، والسهم: الخط، والجمع سهمان وسهمة، والسهم في الأصل واحد، والسهام هي التي يضرب بها في الميسر، وهي القداح.... ثم كثر حتى سمي كلُّ نصيب سهمًا.[5]

النصيب: فيقال أسهم له: أي أعطاه نصيباً، وأسهمت له: أي أعطيته سهماً او نصيباً وأخذ

(1) سورة البقرة، الآية رقم:283.

(2) سورة المدثر، الآية رقم:83.

(3) أحمد عرفة أحمد يوسف، **الأحكام الفقهية المتعلقة بالرهون المستجدة**، (الإسكندرية، دار التعليم الجامعي،2020)، ص17.

(4) خالد بن زيد الوذيناني، **رهن الأسهم واحكامه في الفقه الإسلامي**، مجلة العدل، ص89.

(5) صالح السلطان، **الأسهم حكمها – وآثارها**، (السعودية، دار ابن الجوزي،2006)، ص44.

سهماً: نصيباً، وساهمه إذا اخذ سهماً، أي نصيباً معه.[1]

ونستنتج مما سبق أن المعاني اللغوية للسهم تدور على معنى الحصة والنصيب المشاع، ويقال ساهمه: أي قاسمه: ويقال أخذ سهماً أي نصيباً، ومنه ظهر مفهوم الشركة المساهمة.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي

الرهن: «حبس مال متقدم بحق يمكن أخذه منه كالدين».[2]

وأيضاً يعرف الرهن اصطلاحاً بأنه: «توثقه دين بعين يمكن استيفاؤه من ثمنها ويقال هذا راهن لك أي دائم محبوس عليك».[3]

أما مصطلح الأسهم فظهر في الشركات الحديثة المساهمة؛ ولذلك فهو مصطلح قانوني واقتصادي، لذا فتعريفه لدى أصحاب هذين التخصصين مشهور، وقد شاع هذا الاصطلاح حتى عند الفقهاء، ويعرف السهم اصطلاحاً بأنه: الجزء الذي ينقسم على قيمة مجموع رأس مال الشركة المثبت في صك له قيمة اسمية، وتمثل الأسهم في مجموعها رأس مال الشركة وتكون متساوية القيمة.[4] وكذلك يعرف بانه: «ما يمثل الحصص التي يقدمها الشركاء عند المساهمة في مشروع الشركة، سواء أكانت حصصاً نقدية أم عينية، ويتكون رأس المال من هذه الأسهم».[5]

---

(1) عبد الله بن سليمان الجريش، **كتاب الأسهم حكمها وآثارها**، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد،2018)، ص10.

(2) زين العابدين إبراهيم ابن نجيم المصري، **رسائل ابن نجيم**، (بيروت، دار الكتب العلمية،1999)، ص324.

(3) نزار كرمي، **الانقضاء الأصلي لرهن منقول**، (تونس، مجمع الأطرش للكتاب المختص،2015)، ص16.

(4) صالح بن زابن المرزوقي البقمي، **شركة المساهمة في النظام السعودي**، (مكة، مطابع الصفا،1406)، ص10.

(5) خالد بن زيد الوذيناني، مرجع سابق، ص91.

ومن التعريفات الاصطلاحية للأسهم أيضاً: «هي حصة أو نصيب المساهم في شركة من شركات الأموال، أو الجزء الذي ينقسم على قيمته مجموع رأس مال الشركة المثبت في صك له قيمة اسمية، حيث تمثل الأسهم في مجموعها رأس مال الشركة، وتكون متساوية القيمة».[1]

ومما سبق يتضح اشتراك المعنى اللغوي والاصطلاحي في معنى النصيب والحصة والحظ، ولكن الأسهم المعاصرة قد أخذت بعض السمات والخصائص الغير موجودة في الاصطلاح القديم، للأسهم حيث خصت هذه الأسهم بخصائص وسمات اصطلاحية معاصرة تختلف عن الأسهم بالمعنى القديم، أي قد يتفق مصطلح الأسهم بمعناه اللغوي قديما ويحافظ عليه، لكن بمعناه الاصطلاحي فهناك اختلاف.

وبعد استعراض التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من «الرهن» و«الأسهم» فما هو التعريف الاصطلاحي لرهن الأسهم؟

ومما سبق يعرف الباحث رهن الأسهم إجرائياً: بأنه هو تعهد من قبل المدين بتسليم الدائن شيئاً يقوم بحبسه لحين وفاء الدائن بدينه.

وفي ضوء هذه التعريفات الاصطلاحية للأسهم هناك مجموعة من الخصائص المميزة للأسهم هي:

1. أنها قابلة للتداول والتصرف فيها إما بالبيع والشراء، بل والرهن وغيرها من أنواع التصرف.
2. تقييد تداول الأسهم وفق أنظمة خاصة وأوقات محددة للبيع والشراء من خلال البورصة ونظامها.

(1) عبد الله بن سليمان الجريش، **تداول الأسهم في السوق المالية**، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد،2018)، ص45.

3. أنها متساوية القيمة الإسمية؛ فلا توجد لبعض الأسهم قيمة أعلى من قيمة الأسهم الأخرى، ويترتب على هذا أن كل سهم يتساوى مع الآخر في الحقوق والالتزامات، وبعض القوانين حددت حداً اعلى وأقل لقيمة السهم، وذلك بهدف تسهيل عملية التداول وتوزيع الأرباح، وبعض الأنظمة لا تحدد قيمة السهم حال الإصدار كالنظام الأمريكي والكندي والبلجيكي.[1]

4. أنها غير قابلة للتجزئة: ويجوز أن يشترك في السهم أو الأسهم أكثر من واحد في حال الإرث أو الهبة أو الوصية، لكن لابد أن يمثلهم أمام الشركة شخص واحد، ويشتركون في الغنم والغرم والحقوق والمسئوليات والالتزامات.

5. أن الأسهم لها قيمة إسمية محددة عند الإصدار، ولا يصدر السهم إلا بهذا السعر، ثم إذا طرح للتداول خضع لسعر السوق وطلب المشترين.

6. أن مسئولية المساهم محددة بقيمة أسهمه فقط، ولا يطالب بأكثر من مسؤولية قيمة أسهمه مهما بلغت ديون الشركة هذا في الشركة ذات المسؤولية المحدودة بشروطها.[2]

المطلب الثاني: أنواع الأسهم

هناك العديد من أنواع الأسهم، ونوع الأسهم مرتبط بالنظرة المترتبة على طبيعة التصرف به، وطريقة اكتتابه وهناك أربعة أنواع للأسهم هي: [3]

- أنواع الأسهم حسب الحصة التي يدفعها الشريك.

(1) أحمد بن محمد الخليل، **الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي**، (السعودية، دار ابن الجوزي،1424هـ)، ط1، ص61.

(2) أحمد بن محمد الخليل، **الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي**، (السعودية، دار ابن الجوزي،1424هـ)، ط1، ص47.

(3) خالد بغدادي، **تداول الأسهم والقيود الواردة عليها**، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد،2012)، ط1، ص42.

- أنواع الأسهم حسب الشكل.

- أنواع الأسهم حسب حقوق أصحاب الأسهم.

- أنواع الأسهم حسب الاستهلاك وعدمه.

أولاً: من حيث الشكل الذي تظهر به:[1]

1 - **السهم الإسمي**: وهو السهم الذي كتب باسم صاحبه، وتم قيده في سجلات الشركة ونقلت ملكيته عن طريق القيد في سجل المساهمين في الشركة.

2 - **السهم لحامله**: لا يكتب على اسم صاحبه، وملكيته تكون بحيازته.

3 - **السهم الإذني أو للأمر**: تنقل ملكيته بتظهيره، ويسبق اسم صاحبه عبارة لأمر، أو لإذن، وفي هذا النوع من الأسهم لا يوجد داعي للرجوع على سجلات الشركة، لأنه يسجل بكتابة اسم مالكه الجديد، وتوقيع مالكه السابق.

ثانياً: أنواع الأسهم حسب الحصة التي يدفعها الشريك وتنقسم إلى:[2]

1 - **الأسهم النقدية**: وهذا النوع من الأسهم عبارة عن حصة نقدية من رأس مال الشركة، أو هي التي يتم الوفاء بقيمتها الإسمية نقداً أو بطريق المقاصة، أو التي يتم إصدارها نتيجة دمج الاحتياطي في رأس مال الشركة.

2 - **الأسهم العينية**: وهي عبارة عن الأسهم التي تمثل حصة عينية يلتزم بتقديمها الشريك للشركة، وقد تكون الحصة عقاراً او منقولاً، مادياً أو معنوياً. وهذا النوع من الأسهم يجب الوفاء بكامل قيمتها عند الاكتتاب.

---

(1) صالح بن زابن المرزوقي البقمي، **شركة المساهمة في النظام السعودي**، (مكة، مطابع الصفا،1406)، ص13 - 14.

(2) خالد عبد العزيز بغدادي، مرجع سابق، ص43 - 45.

ثالثاً: من حيث الحقوق التي تعطيها لصاحبها:[1]

الأســـهم العادية: وهي نوع من الأسهم تعطى لجميع المســـاهمين ما يميزها هو أن أرباحها توزع عليهم، بعد تسديد التزامات المؤسسة، وتعطي لأصحابها حقوق متساوية.

الأســـهم الممتازة: هي أسهم تتميز بأن توزيع الأرباح على حملة الأسهم العادية يتم بعد أن تقوم المنشأة بدفع التزاماتها تجاه حملة السندات والدائنين وحملة الأسهم الممتازة.

رابعاً: من حيث إرجاعها لأصحابها.

أســـهم راس المال: وهي أســـهم تبقى محتفظة بقيمتها بمعنى أنـــه لا تعود لصاحبا إلا في حالة واحدة وهي فســـخ الشركة أو تصفيتها لأي ســـبب من الأسباب أو فسخ الشركة.[2]

أســـهم تمتع:[3] وهي الأسهم التي تعطى للشريك عوضاً عن أســـهمه التي ردت إليه قيمتها، أثناء قيام الشركة، حيث تدعو بعض الحالات إلى ذلك، فمثلاً لو كان لدى الشركة امتياز من الســـلطات الحاكمة باستغلال أحد المرافق في الدولة لفترة زمنية محددة، هنا بعد انقضـــاء المدة المحددة تصبح الشركة ملـــكاً للدولة، وترد الشركة للمســـاهم قيمة أســـهمه، وتمنحه سهم تمتع، يستفاد منها بأســـهم رأس المال، ولا يقتسم موجودات الشركة وأرباحها.

ويتضح من هنا تعدد أنواع الأســـهم، كما أن كل ســـهم يختلف عن الآخر بعدة خصائص

(1) صالح بن محمد السلطان، **الأسهم حكمها وآثارها**، (السعودية، دار ابن الجوزي،2006)، ص14.

(2) صالح بن محمد السلطان، **الأسهم حكمها وآثارها**، (السعودية، دار ابن الجوزي،2006)، ص15.

(3) مبـــارك بن ســـليمان بن محمد، **أحـــكام التعامل في الأســـواق الماليـــة المعاصرة**، (الســـعودية، كنوز اشبيليا،2005)، ص57.

من حيث توزيع الأرباح وقيمتها؛ وهذا الأمر متعلق بالأسهم العادية والأسهم الممتازة.

كذلك من حيث قيمة السهم كما هو حادث بأسهم رأس المال، وأسهم التمتع.

وأيضا طريــق الدفع مقابل امتلاك هذه الأســهم وهذا من خصائص الأســهم النقدية والعينية، كما أن أنواع بعض هذه الأســهم من ناحية شرعيــة بعضها يحرم لمنافته للقواعد الشرعية الخاصة بفقه المعاملات، كما هو في الأســهم الممتازة وسيتم إيراد الحكم الشرعي لذلك عند الحديث عن الحكم الشرعي للتعامل مع الأسهم.

المطلب الثالث: إجراءات رهن الأسهم.

3 – 1 – إنشاء عقد رهن أسهم شركة المساهمة

هنــاك العديد من التعريفات الخاصة برهن الأوراق المالية، وغيرها من الصكوك التجارية وينص التعريف على أنها: «عقــد يجعل الراهن» المعتمد له» أوراقاً مالية أو صكوكاً تجارية محبوسة في يد المرتهن (المصرف – فاتح الاعتماد)، أو في يد عدل ضمان الدين يمكن للمرتهن اســتيفاءه من قيمة هذه الأوراق المرهونة من تخلف الراهن (المعتمد له) من تســديد دينه الموثق بالرهن، ويكون للمرتهن (المصرف فاتح الاعتماد) حق التقدم على الدائنين العاديين والدائنين التاليين له في المرتبة من اقتضاء حقه من ثمن هذه الأوراق».[1]

وعليــه فغن عقد الرهن هو بمثابة توثيق الدين بشــكل رســمي لحفظ الحقــوق المالية، وصيانتها، لحين تحصيلها من الدائن.

ومن الســابق فإن تعريف عقد رهن الأســهم يعرف بأنه: (عقد مــن عقود التراضي بين الراهن» المديــن» والمرتهن» الدائن» يتحدد وجوده بذكر البيانــات الإلزامية والاختيارية التي يشترطها القانون في الورقة المالية، مع تحديد قابلية السهم للحوالة والحجز).[2]

(1) علاء الدين زكي البكري، **الرهونات المصرفية ومخاطر الائتمان في فلسطين**: رسالة ماجستير، ص56.

(2) مرجع سابق، ص56.

بينما يعرف الباحث عقد رهن الأسهم إجرائياً بأنه: اتفاق بين الراهن (المدين) والمرتهن(الدائن)، حيث يرهن الدائن مجموعة من الأسهم، كأصل مقابل المال الذي استلمه من المُرتهن مع وعده بإرجاع المبلغ في فترة زمنية محددة.

وبالتالي فإن رهن الأسهم هو بمثابة معاملة مالية، لا بد من وجود عقد ملزم لهذه العملية بما يضمن الحقوق المالية لكل من الراهن والمرتهن على حد سواء من النسيان أو الضياع.

3 – 1 – 1 – الأركان الموضوعية لعقد رهن الأسهم

إن الرهن بمثابة عقداً يوجب إنشائه توفر مجموعة من الأركان الموضوعية العامة والتي تشترط في إنشاء العقود لإنشاء باقي العقود. ولكن لو تحدثنا بشكل عام فإن عقد الرهن لأي شيء يوجب الأركان التالية لصحة عقد الرهن وهي: الراهن – المرتهن – المرهون – المرهون به – الصيغة وهي الإيجاب والقبول.[1]

وفيما يلي توضيح لهذه الأركان:

- **العاقد**: وهو الراهن أو المدين وهو معطي المرهون
- **المعقود عليه**: وهو الشيء المرهون ويشمل الشيء ذو القيم المالية المحددة ويؤخذ وثيقة بالحق.
- **المرهون به**: وهو الدين (الحق)، الذي يؤخذ المرهون كتوثيق له.
- **الصيغة**: وهو بمثابة الإيجاب والقبول، الإيجاب من الراهن، والقبول من المرتهن.

وهذه الأركان هي أركان عامة لجميع أنواع الرهن بما فيها عقد رهن الأسهم بشكل عام ولكن هناك مجموعة من الأركان الموضوعية لعقد رهن الأسهم تتمثل في:

أولاً: تطبيق القواعد العامة: وهذه القواعد تشمل التراضي، والمحل، والسبب.

(1) هيزع ناصر البركاتي، **القضاء في العقود المالية طبقاً للتشريع الإسلامي**، (بريطانيا، Kutub Ltd،2022)، ص159.

1 – الــتراضي: أي وجــود تماثل وتطابق في إرادة كل من المدين (الراهن) وهو المســاهم، والدائــن (المرتهن) عند عقد الرهن. وقد يدخل أحيانــاً في التراضي لحدوثه رضا الشركة المساهمة، عن عقد الرهن، والموفقة كشرط يخضع تداول الأسهم لموافقة الشركة قد تمكينها من ممارســة الرقابة على الأشخاص اللذين يودون الانضمام غليها، فمثلاً بعض الشركات تضع شرطاً بعدم التنازل عن السهم لفئة الأجانب وذلك رغبة منها في الحفاظ على الطابع الوطني لها.[1]

2 – المحلية والسببية في عقد رهن الأسهم

إن الأســهم محل عقد الرهن، يشــترط وجودها فعلاً؛ فلا يتم التعامل بالوعود بالأسهم، وكذلك هذه الأســهم قابل للتصرف فيها، كذلك عدم جواز رهن الأسهم إلا من تاريخ قيد الشركة في السجل التجاري. أما السبب فيتمثل في ضمان دين سابق يحمل المساهم على إقامة رهن على أســهمه. وبالتالي فإن الدين المضمون قد نشأ صحيحاً ومشروعاً، إذ يعتبر عقد الرهن من عقود التبعية التي تصح بصحة الدين وتبطل ببطلانه.[2]

وبالتــالي فإن المحلية تتعلق بوجود الأســهم فعلاً، أي هي محل عقد الرهن، أما الســببية فتتمثل في ضمان في ضمان الدين.

3 – أهلية المساهم وضرورة ملكيته للسهم:

إن الرهن من الأعمال التي يترتب عليها النفع والضرر، فالهدف من عملية الرهن الحصول على قرض مــالي أو مد أجل، لذلك يجب أن تتوفر مجموعة من الشروط في المســاهم منها بلوغه ســن الرشد، والأهلية العقلية، وملكيته للشــهم ملكية تامة بحيث لا تكون ملكية السهم مقسمة إلى حق انتفاع وحق رقبة.[3]

(1) نادية حميدة **رهن أسهم شركة المساهمة**، مجلة القانون العقاري، ص70 – 71..

(2) أسماء بن ويراد، **حماية المساهم في شركة مساهمة**، أطروحة دكتوراة، ص97 – 100.

(3) نادية حميدة مرجع سابق، ص 72 – 73.

ثانياً: الجزاء المترتب في حالة مخالفة الأحكام العامة:

إن مخالفة الأحكام القانونية لعقد الرهن يترتب عليه إما بطلان المطلق أو القابلية للإبطال.

1 – البطلان المطلق: أي بطل عقد الرهن بطلاناً مطلقاً، إذا تم الاخلال بشرط من شروطه كان يكون المساهم غير مالك للسهم، او عدم الوجود الفعلي للأسهم المراد رهنها، وبالتالي يترتب البطلان قيام المساهم بترتيب الرهن على أسـهمه، وهذه تعتبر غير قابلة للتصرف فيهـا بقوة القانون، لذلك فإن كل عمل يرد على هـذا المنوال باطلاً بطلان مطلق، ويجعل العقد في حكم المعدوم ولا يترتب عليه أي أثر قانوني، وبعد الرهن بطلان نسـبي إذا كان الرهن يوجد به عيب مـن عيوب الرضا، بمعنى إن العقد يوجد بـه نوعاً من الإكراه، و التدليس، أو الاستغلال، ويكون العقد في هذه الحالة قائم قبل الحكم بإبطاله، ومتى قضي الحكم بإبطال العقد فهو يعتبر بطلان مطلق.[1]

3 – 2 – 1 – إجراءات رهن الأسهم

تختلف إجراءات رهن الأسهم من جهة ومنظمة إلى أخرى إلا أن هناك بعض الإجراءات العامة المحددة، والمشتركة بيبين الجميع ومن هذه الإجراءات:

– تعبئة الملحق الخاص بالرهن والذي يشتمل على مجموعة من البيانات وهي:

اسم المستثمر – رقم المستثمر – اسم السهم – تاريخ بدء الرهن – مدة الرهن – وجهة استحقاق الأرباح – تفاصيل الاتصال بالعضو المرتهن.

– دفع رسـوم الرهن لقطاع التقاص والتسوية قبل إجراء الرهن وتشمل رسوم رهن الأسهم.

وبشكل عام وحسـب قوانين السوق المالية لكل من سـوق دبي المالية، وسوق السعودية للأوراق المالية، فإن إجراءات رهن السهم يتلخص أبرزها:

(1) نادية حميدة مرجع سابق، ص 73 – 74.

- معلومات عن الراهن والمرتهن.

- تعبئة نموذج سند الرهن مع التوقيع عليه.

- فحص مذكرة الإيداع والتحويل لصحة المعلومات الواردة في النموذج تنفيذ عملية الرهن على الشاشة.

- المصادقة على عملية الرهن.

ويضيف الباحث إلى الإجراءات السابقة ضرورة فتح حافظة خاصة بالاستثمار في مجال الأسهم، حيث يحفظ فيها المال بطريقة حديثة فهي شبيهة بالحساب الجاري، ولها خاصية سرعة التسييل في الحساب الجاري، ولذا فهي تحفظ المال من هذا الجانب، كما أنها مكان لحفظ الأسهم ولمدد متطاولة من غير خوف من ضياع وثائق تملك الأسهم.[1]

ولفتح الحافظة الخاصة بالاستثمار هناك مجموعة من الخطوات كالتالي:[2]

1. يقوم المستثمر بفتح حساب جاري في أحد البنوك إن لم يكن له حساب.
2. يتقدم للبنك بطلب فتح حساب محفظة أسهم، ويرفع الطلب لمؤسسة النقد.
3. يربط حساب المحفظة آلياً بالحساب الجاري ليتم تبادل المبالغ عن طريقه في حال كان له أكثر من حساب لدى البنك.
4. ينقل المبلغ المحدد للاستثمار في الأسهم إلى محفظة الأسهم من الحساب الجاري.
5. يتم إبلاغ المنفذ (شركة تداول) بالرغبة في شراء أسهم محددة من خلال إعطاء أمر شراء بسعر محدد.
6. يتم شراء الأسهم المحددة إذا وصلت للسعر المحدد آلياً في أقرب وقت يصل إليه السعر.

(1) عبد الله بن مبارك آل سلمان، مرجع سابق، ص13.

(2) عبد الله بن مبارك آل سلمان، مرجع سابق، ص14.

7. تقيم محفظة الأسهم بعد شراء الأسهم بسعر الأسهم في السوق ذلك اليوم، ويصدر كشف حساب بالرصيد حسب سعر السهم في تلك اللحظة.

8. إذا رغب في البيع يصدر أمر بيع بسعر محدد لمدة محددة، فإذا وصل سعر السوق للسعر المحدد في المدة المحددة فإنه يباع آلياً ويتم إيداع المبلغ النقدي في المحفظة ويشار في كشف الحساب إلى الرصيد نقداً، وليس أسهماً.

9. إذا رغب في سحب النقد فلابد أن ينقله من المحفظة إلى الحساب الجاري بأمر تحويل، وبدون ذلك لا يستطيع سحبه من الرصيد.

10. إذا رغب في إغلاق المحفظة فعليه إشعار البنك بذلك ليتم إغلاقها من مؤسسة النقد لمنع التلاعب بها.

4 – حقوق الدائن في عقد رهن الأسهم

2 – إن رهن الأسهم يعتبر رهناً حيازياً، يتم بتسليم المال للمرهون للدائن المرتهن، وبمثابة هذا العقد تتوفر مجموعة من الحقوق التي ينظمها القانون التجاري، ماعدا حق التنفيذ فهو حق عام يمنح لكل دائن لإجبار المدين على تنفيذ التزاماته، وحيث أن رهن الأسهم ينشئ حقاً عينياً للدائن المرتهن فغن ذلك يخوله حبس الأسهم لحين استيفاء الدين وحق التقدم على الدائنين العاديين والدائنين التاليين له في المرتبة في أن يتقاضى قيمة الدين بالأولوية. [1]

4 – 1 – حق حبس الأسهم

إن حق الحبس يمنح للمرتهن حماية خاصة، فبه يستطيع ممارسته ضد الدائنين الآخرين المساهمين ولو كان لهم امتياز عام على أمواله.

كما أن الحق العيني الناشئ عن الأسهم يعطي للدائن المرتهن الحق في حبس الأسهم، والامتناع بموجب ذلك عن ردها طالما لم يستوفِ حقه الكامل، فكل جزء من المال المرهون

(1) نادية حميدة مرجع سابق، ص78.

يبقى مقابل الوفاء بكل الدين.

ويـــمارس حق الحبس من قبل الدائن المرتهن وثبت له من تاريخ انتقال الحيازة التي تحققت بإبرام العقد الرســـمي بالنسبة للأسهم الاسمية وبالتســـليم بالنسبة للأسهم للحامل، إلى حين استيفاء كامل الدين.[1]

رهن الأسهم وتأثيره على الملكية

أحياناً قد تنقضي المـــدة الزمنية دون إيفاء الراهن بمقتضيات عقد الرهن، وســـداد كامل القيمة المالية للمرتهن فهل يجوز في هذه الحالة نقل ملكية الأسهم قيد الرهن إلى المرتهن؟

إن تحديد ماهية الاتفاق على تملك المرتهـــن للمرهون عند عدم الوفاء به، تقتضي التعريف بهذا الاتفاق، وقد عرف الفقه هذا الاتفاق بأنه «كل اتفاق يقضي بتملك المرتهن للمرهـون فـي مقابل دينه عند حلول أجل الدين وامتناع المدين عن الوفاء به».[2]

فالتشريعـــات، اعتـــبرت اتفاق الدائن المرتهن مـــع الراهن على تملك المال المرهون عنـــد عـدم الوفـــاء بالدين المضمون بالرهن، بمثابة اتفاق معدل للإجراءات المحددة بالقانون للتنفيذ على المال المرهـون، فقد يتفق الدائن المرتهن مع الراهن على أن يصبح المال المرهون ملكا للمرتهن عند عدم تمكن المـــدين، الوفاء بالدين عند حلول أجله بدلاً من بيعه وفقاً للإجراءات المقررة، فيقبل الراهن ذلك نتيجة لاعتقـــاده احتـــمال تيسر حاله وتمكنه من الوفاء بالدين المضمون، ولكن نتيجة لظروف لم تكن بحـــسبان المـــدين، تجبره على عدم الوفاء بالدين عند حلول الأجل، عندها يتم تنفيذ الاتفاق إذ يـــؤدي الـــى تملـك المـال المرهون بثمن قد يكون أقل أو أكثر من الدين عند حلول الأجل، فيخيب ظنه فيقع ضـحية لاتفـــاق غيـــر متوقع وخارج عن ما هو مقرر بالقانون ومن أجل توفير الحماية اللازمة

(1) نادية حميدة مرجع سابق، ص78 – 79.

(2) دون اســـم، **النظام القانوني للاتفاق على تملك المرتهن المرهون عند عدم الوفاء – دراســـة مقارنة، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية**،2017 ص105.

لمصالح كل من الدائن[1] المرتهن والراهن، أُعتبر الاتفاق على تملك المرتهن للمرهون اتفاق معدل للإجراءات المحددة بالقانون والتي لا يمكن مخالفتها، كونها تضمن حقوق كل من طرفي عقد الرهن، ومن ثم قضت أغلب التشريعات ببطلانه بصورة مطلقة، بينما أجازته تشريعات أخرى عند توافر ضمانات تحقق مصالح طرفي عقد[2] الرهن وخاصة عدم استغلال الراهن.

وهناك عدة صور للاتفاق على تملك المرتهن للمرهون من حيث وقت إبرامه وهي:[3]

الصورة الأولى: أن يكون إبرام الاتفاق بين الدائن المرتهن والراهن متزامناً مع إنشاء عقد الرهن وهذا ما جاءت به التشريعات ومن ثم يكون أحد بنود هذا العقد عند إنشاءه بين الدائن المرتهن والراهن، سواء أكان رهناً تأمينياً ام حيازياً. وفي هذه الصورة لا بد من توفر ثلاثة أركان هي: الرضا والمحل والسبب وهي نفس الأركان الخاصة بعقد رهن الأسهم.

الصورة الثانية: أن يبرم الاتفاق على تملك المرتهن المرهون، بين كل من الدائن المرتهن والراهن، بعد إنشاء عقد الرهن وقبل حلول أجل الدين، وهذا يعني أن الاتفاق على تملك المرتهن للمرهون لا يكون بالضرورة عند إنشاء عقد الرهن أو قبل حلول أجل الدين، فيمكن أن يتفق المرتهن مع الراهن على أن يتملك المرهون بعد حلول أجل الدين.[4]

الصورة الثالثة: قد لا يبرم الاتفاق عند إنشاء عقد الرهن ولا في وقت لاحق عليه وإنما

(1) بيان يوسف رجب، **دور الحيازة في الرهن الحيازي**، (السعودية، دار ابن الجوزي،2006)، ص14.

(2) جاك ميتر، وآخرون، **المطول في القانون المدني، قانون التأمينات العينية**، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر،2006)، ص14.

(3) دون اسم، **النظام القانوني للاتفاق على تملك المرتهن المرهون عند عدم الوفاء – دراسة مقارنة، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية**،2017 ص108 – 113.

(4) دون اسم، **النظام القانوني للاتفاق على تملك المرتهن المرهون عند عدم الوفاء – دراسة مقارنة، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية**،2017 ص108 – 110.

بعد حلـــول أجـــل الدين وهذه الصورة وإن لم تذكر صراحة إلا في نص المادة 1052/ 2 من القانون المدني المصري التـــي نصت على أنه «ولكن يجوز بعد حلول الدين أو قسط منه الاتفاق على أن ينزل المدين لدائنه عن العقـار المرهون وفاء لدين «إلا أنه يمكن أن نستنتج بتحقق الصورة الثالثة للاتفاق على تملك المرتهن المرهون، بعد إبرام عقد الـرهن».

إن الاتفاق بين المتعاقدين في عقد الرهن على تملك المرتهن المرهون عند عدم الوفاء، بجعل العقـــد مقترناً بهذا الاتفاق، أي يكون عقد الرهن مقترناً بشرط تقييدي هو تملك المرتهن المرهون عنـــد عـــدم الوفاء وأصبح هذا الشرط وهو الاتفاق جزءاً من العقد وبنداً من بنوده، فالشروط المقترنة بالعقـد هـي التي يتفق عليها المتعاقدان لتحديد العلاقة التعاقدية بينهما من حقوق والتزامات، فهذا الاتفـــاق علـى التملك يتقيد به أثر العقد إذ لا يتحقق بيـــع المرهون في المزاد العلني وإنما يتملك المرتهن المرهـــون بمقابل الدين المضمون. وهذا الاتفاق على التملـــك يعتمد على إرادة المرتهن أو الراهن، لذلك هو شرط يقيد بـــه عقد الرهن، وعليه، فإن مضمـــون الاتفاق، يكون التزام بأمر ممكن، وهذا الالتزام هو نقـــل الملكيـة الى المرتهن، إذ يكون بمثابة بيع المرهون بمقابل الدين المضمون.[1]

وعند التعامل مع الأسهم المعروضة للرهن يجب مراعاة الأمور التالية للتقليل من مخاطرها وهي:[2]

- وجوب التأكد بأن السهم قابل للتداول.
- التأكد من أن النظام الداخلي للشركة، يجيز رهن الأسهم التي تملكها في شركة أخرى لقاء تسهيلات ائتمانية ممنوحة للغير.
- وجـــوب التأكد أن النظـــام الداخلي للشركة يجيز لها رهن أســـهمها لدى الشركات

(1) دون اســـم، **النظام القانوني للاتفاق على تملك المرتهن المرهون عند عدم الوفاء – دراســـة مقارنة، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية**،2017 ص111 – 113.

(2) علاء الدين زكي البكري، **الرهونات المصرفية ومخاطر الائتمان في فلسطين**: رسالة ماجستير، ص57.

الأخرى لقاء تسهيلات ائتمانية ممنوحة لها.

- إغفال المصرف مصير أرباح الأسهم طيلة فترة الرهن وقبل استحقاق الدين يعرض المصرف لإضعاف في ائتمانه.

المطلب الرابع: الحكم الشرعي لرهن الأسهم.

أولا: مشروعية الرهن.

لمعرفة الحكم الشرعي في «الرهن» نورد من الكتاب والسنة النبوية، ما ذكر فيه الرهن

قال تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ**﴾[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الرَّهْنُ يُرْكَبُ بنَفَقَتِهِ، إذَا كانَ مَرْهُونًا، ولَبَنُ الدَّرِّ يُشْرَبُ بنَفَقَتِهِ، إذَا كانَ مَرْهُونًا، وعلَى الذي يَرْكَبُ ويَشْرَبُ النَّفَقَةُ.**»[2]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اشْتَرَى طَعَامًا مِن يَهُودِيٍّ إلى أجَلٍ، ورَهَنَهُ دِرْعًا مِن حَدِيدٍ**».[3]

نلاحظ من الأدلة النقلية الثلاث السابقة أن الرهن ورد بها، كنوع من المعاملات المالية التي لجأ إليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك الحث على التعامل بها كما ورد في الآية رقم 283 من سورة البقرة، ومن هذا نستنتج أن هذه الأدلة تدلل على مشروعية الرهن إن استوفى الشروط الشرعية.

إذن فالرهن شرعاً محلل؛ ولكن ماذا عن الحكم الشرعي لرهن الأسهم؟ لكي نعرف هذا الحكم فلنتعرف أولاً على بعض الإشكالات المتعلقة بالحكم الشرعي لرهن الأسهم هناك

(1) سورة البقرة، الآية رقم:283.

(2) صحيح البخاري، **كتاب الرهن**، باب الرهن مركوب ومحلوب، ص 756.

(3) صحيح البخاري، **كتاب البيوع**، باب: شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة، ص616.

ثلاثة إشـــكالات متعلقة بتداول الأســـهم لا بد من التعرف عليها لما لها من علاقة في بناء الحكم الشرعي لعملية الرهن وهذه الإشكالات تتمثل في التالي:

1 – هـــذه الأموال غير معلومة للمتعاقدين على جهة التفصيل، وهنا يحدث خلل بأحد شروط البيع، وهو أن يكون المبيع معلومة صفته، أو يمكن رؤيته؛ وهذا مالا يتحقق في بيع الأسهم غالباً.

2 – هذه الأســـهم قد يكون بعضهـــا نقود، وبالتالي فإن بيعها يكـــون بيع نقود بنقود، وبالتالي يتوجب على ذلك تطبيق قواعد الصرف وهي: اشـــتراط التماثل والتقابض عند اتحاد الجنس، واشتراط التقابض فقط عند اختلافه، وهو لا يتحقق غالباً في بيع الأسهم.

3 – بعـــض أموال الشركة قد تكون ديون على الغير، ولا يجوز بيع الدين إلا في أحوال، وشروطها قد لا تتحقق في بيع الأسهم.

وبعد التعرف على هذه الإشكالات والمتعلقة بتبيان بعض القواعد الشرعية المتعلقة بالحكم الشرعي لرهن الأسهم.

هنـــاك قاعدة شرعية مفادها كل ما يجوز بيعه يجوز رهنه، وبالتالي هناك أنواع من الأســـهم لا يجـــوز بيعه، وبالتالي لا يجوز رهنها كبعض أنواع الأســـهم الممتازة أو الأســـهم الخاصة بالـــشركات التي تمارس أنشـــطة محرمة مثل شركات بيع الخمـــور، أو البنوك التي تتعامل بالربا، وبالتالي فإن أسهم هذه الشركات لا يجوز رهنها.

وتتحقق حكمة الرهن من رهن الأســـهم إذا يقصد منه: «مقصد الرهن الاستيثاق بالدين للتوصل إلى استيفائه من ثمن الرهن إن تعذر استيفاؤه من ذمة الرهن».[1]

(1) أحمد بن محمد الخليل، **الأســـهم والســـندات وأحكامها في الفقه الإســـلامي**، (الســـعودية، دار ابن الجوزي،1424هـ)، ط1، ص232.

فالأسهم عبارة عن حصة الشريك في رأس مال شركة، وتبدأ العلاقة في الشركة من خلال طرحهـا للاكتتاب، والاكتتاب هو: «عمل إداري يتم بمقتضاه انضمام المكتتب إلى الشركة تحت التأسـيس، مقابل الإسـهام في رأس مال الشركة بعدد معين من الأسهم المطروحة، وهو دعوة توجه إلى أشخاص غير محددين سلفاً للإسهام في رأس المال».[1]

الأصل في الاكتتاب في الشركات الجواز، وقد أجمع العلماء قديماً على مشروعية عقد الشركة في الجملـة وإن اختلفوا في بعض التفاصيل، وقد حكى ابـن حزم الإجماع بالجملة، وقال ابن قدامة رحمه الله: «وأجمع المسـلمون على جواز الشركة في الجملة وإنما اختلفوا في أنواع منها» وقال ابن السـبكي في تكملة المجموع: «وأما الإجماع فإن أحداً من العلماء لم يخالف في جوازها».[2]

وقـال ابن حجر: قال ابن بطال: أجمعوا على أن الشركة الصحيحة أن يخرج كل واحد مثل ما أخرج صاحبه ثم يخلطا ذلك حتى لا يتميز ثم يتصرفا جميعاً، إلا أن يقيم كل واحد منهما الآخر مقام نفسه. وأجمعوا على أن الشركة بالدراهم والدنانير جائزة».[3]

وقد أجاز عدداً من علماء المسـلمين الاكتتاب في الشركات المسـاهمة، ومنهم الشيخ محمد بـن إبراهيم وابن باز وعبد الرزاق عفيفي وابن عثيمين وغيرهم، ومن خالف في ذلك من الباحثين المعاصرين – أي منع الشركات المسـاهمة – محجوج بالإجماع وهو قول مهجور لم يعـد أحد يقول به، ومخالف لقاعدة أن الأصـل في المعاملات الإباحة ومخالف للنصوص الشرعية الكثيرة الدالة على أصل الإباحة في الشركات.[4]

(1) أحمد بن محمد الخليل، مرجع سابق، ص110.

(2) أحمد بن محمد الخليل، مرجع سابق، ص110.

(3) أحمد بن محمد الخليل، مرجع سابق، ص110.

(4) عبد الله بالطيار، البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد،2018)، ص158.

هناك ضوابط عامة تراعى في تداول الأسهم والتعامل بها من بيع، وقرض، ورهن وهذه الضوابط كالتالي:[1]

1. أن يكون نشاط الشركة في مباح فلا تجوز المساهمة في شركات ذات نشاط محرم بالإجماع مثل الشركات المتخصصة في بيع الخمور أو الدخان أو القمار أو الربا لقوله تعالى: «**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**».[2]

2. أن يكون رأس مال الشركة من المال الحلال، وهذا معلوم من الشريعة وأدلتها وقواعدها كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم**».[3]

3. أن يحسن المرء نيته في تحقيق الربح الحلال من غير الإضرار المتعمد بمسلم **لقوله** صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه، وهذه قاعدة متفق عليها بين الفقهاء، وهي أن الأعمال بالنية.

4. الحذر من الوقوع في محرم أثناء التعامل كالكذب أو التغرير أو التدليس أو الخيانة أو ترويج الإشاعات الكاذبة التي يعلم كذبها أو ممارسة الاحتكار أو المقامرة بالأسهم.

5. الحذر من الوقوع في الشبهات؛ لأن كثرة الوقوع فيها يؤدي إلى الوقوع في الحرام لماورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الحلال بين، والحرام بين وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير

(1) عبد الله بن مبارك آل سليمان، التوصيف الفقهي للعلاقة بين الأطراف في محافظ الأسهم، سلسلة محاضرات، 1432ه، ص11 – 12.

(2) سورة المائدة، الآية رقم:2

(3) سورة المؤمنون الآية رقم:53.

من الناس، فمن اتقى الشبهات: استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب».[1] متفق عليه.

ويخلص الباحث إلى النتيجة التالية إن مشروعية الأسهم مترتبة على مشروعية الشركة المساهمة التي يشترى منها الأسهم، وهذا مترتب على طبيعة النشاط الذي تزاوله الشركة من كونه حلالاً أم حراماً، وأيضاً يترتب الحكم الشرعي كذلك على نوع الأسهم فهناك من الأسهم ما تم تحريمه مثل الأسهم الممتازة.

وفي ضوء ذلك نخلص إلى أن جواز رهن الأسهم ولكن ليس على الإطلاق ولكن لا بد من تحقق شرطين قبل إتمام عقد الرهن هما:

الأول: صلاحية الأسهم، أي أن الأسهم صالحة وقابلة للتداول شرعاً من حيث البيع والشراء على نحو ما تقدم بيانه.

الثاني: إباحة عمل الشركة أو الجهة المصدرة للأسهم، والتي تمارس انشطتها بطريقة شرعية مباحة، ولا تبيع أو تشتري المحرمات، ولا تتعامل بالربا لا قرضاً ولا إقراضاً. وإذا توفر الشرطان في الأسهم صح رهنه على مذهب الجمهور القائلين بجواز رهن المشاع، لإمكانية استيفاء الدين من المرهون عند تعذر الاستيفاء. أن الأصل في شركة المساهمة الإباحة في الجملة، وبناء عليه نقول: الأصل في تداول الأسهم الإباحة في الجملة بشرط الالتزام بالضوابط الشرعية؛ لأن الأصل في المعاملات الإباحة ما لم يرد دليل على التحريم.[2]

(1) صحيح البخاري، **كتاب الايمان**، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: 52

(2) أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي، (السعودية، دار ابن الجوزي،1424هـ)، ط1، ص121.

الخاتمة

عرف الرهن لغــة بالعديد من التعريفات ولكــن جميعها اتفقت على أنــه يتعلق بالدوام والاســتمرار، والاحتباس أما بالنســبة للتعريف الإجرائي الذي تبناه الباحث والمتعلق برهن الأســهم فتمثل في التعريف التالي: بأنه هو تعهد من قبل المدين بتسليم الدائن شيئاً يقوم بحبسه لحين وفاء الدائن بدينه، وهناك مجموعة من الخصائص المحددة للأسهم منها قابلية التداول وتقييد تداول الأســهم حســب شروط خاصة، وكذلك المساواة في القيمة الإســمية للسهم، وعدم قابليتها للتجزئة، وكذلك الأســهم لها العديد من الأنواع والتي ترتبط بطبيعتها وخصائصها فهي قد تكون أســهم عينية أو نقدية وهذا يترتب على طريقة الدفع الخاصة بها، وكذلك أسهم إسمية، والسهم لحامله، والسهم للأمر وهذا يترتب على الشكل الظهر الذي تظهر به.

وهناك الأسهم العادية والممتازة وهذا حسب الحق المترتب عليها لصاحبها، وكذلك أسهم رأس المال وأسهم التمتع من حيث طبيعة إرجاعها لصاحبها.

وفي ضوء هذه الخصائص المميزة لكل نوع من أنواع الأســهم يترتب عقد رهن خاص بها ولكن أي عقد خاص برهن الأسهم لا بد وأن تتوفر فيه شروط أو أركان العقد والمتمثلة في وجود الرهن، والمرتهن، والصيغة، والمرهون. وأن يتم عقد الرهن وفق ضوابط ومحددات في ضوئها يتم الحكم على شرعيتها الإســلامية، وأي عقد رهن لأي نوع من الأسهم ليس مطلقاً وهو متوقف على شرطين أساسيين هما طبيعة النشاط الذي تمارسه المؤسسة والذي يجب أن يكون عملاً حلالاً، وصلاحية السهم وقابليته للتداول.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي، (السعودية، دار ابن الجوزي، 1424هـ)، ط1.
2. أحمد عرفة أحمد يوسف، الأحكام الفقهية المتعلقة بالرهون المستجدة، (الإسكندرية، دار التعليم الجامعي، 2020).
3. أسماء بن ويراد، حماية المساهم في شركة مساهمة، أطروحة دكتوراه.
4. بيان يوسف رجب، دور الحيازة في الرهن الحيازي، (السعودية، دار ابن الجوزي، 2006).
5. جاك ميتر، وآخرون، المطول في القانون المدني، قانون التأمينات العينية، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، 2006).
6. خالد بغدادي، تداول الأسهم والقيود الواردة عليها، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد، 2012)، ط1.
7. خالد بن زيد الوذيناني، رهن الأسهم وأحكامه في الفقه الإسلامي، مجلة العدل.
8. دون اسم، النظام القانوني للاتفاق على تملك المرتهن المرهون عند عدم الوفاء – دراسة مقارنة، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية.
9. زين العابدين إبراهيم ابن نجيم المصري، رسائل ابن نجيم، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1999).
10. صالح السلطان، الأسهم حكمها – وآثارها، (السعودية، دار ابن الجوزي، 2006).
11. صالح بن زابن المرزوقي البقمي، شركة المساهمة في النظام السعودي، (مكة، مطابع الصفا، 1406).
12. صالح بن زابن المرزوقي البقمي، شركة المساهمة في النظام السعودي، (مكة، مطابع الصفا، 1406).
13. صالح بن محمد السلطان، الأسهم حكمها وآثارها، (السعودية، دار ابن الجوزي، 2006).
14. صالح بن محمد السلطان، الأسهم حكمها وآثارها، (السعودية، دار ابن الجوزي، 2006).
15. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة.
16. صحيح البخاري، كتاب الرهن، باب الرهن مركوب ومحلوب.
17. عبد الله بالطيار، البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد، 2018).
18. عبد الله بن سليمان الجريش، تداول الأسهم في السوق المالية، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد، 2018).

19. عبد الله بن سليمان الجريش، كتاب الأسهم حكمها وآثارها، (الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد، 2018).

20. عبد الله بن مبارك آل سلمان، التوصيف الفقهي للعلاقة بين الأطراف في محافظ الأسهم، سلسلة محاضرات، 1432هـ.

21. علاء الدين زكي البكري، الرهونات المصرفية ومخاطر الائتمان في فلسطين: رسالة ماجستير.

22. علاء الدين زكي البكري، الرهونات المصرفية ومخاطر الائتمان في فلسطين: رسالة ماجستير.

23. مبارك بن سليمان بن محمد، أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة، (السعودية، كنوز اشبيليا، 2005).

24. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر)، ج3.

25. محمد صالح بن ألفا عمر جالو، الأسهم واحكامها في الفقه الإسلامي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2015).

26. مخلوف مخلوف، أثر رهن أسهم شركة المساهمة على حقوق مالكيها: مجلة صوت القانون.

27. نادية حميدة رهن أسهم شركة المساهمة، مجلة القانون العقاري.

28. نزار كرمي، الانقضاء الأصلي لرهن منقول، (تونس، مجمع الأطرش للكتاب المختص، 2015).

29. هيزع ناصر البركاتي، القضاء في العقود المالية طبقاً للتشريع الإسلامي، (بريطانيا)، Kutub Ltd، 2022.

وسائل التربية الإيمانية لدى الأطفال والدعوة إلى توحيد الله تعالى

إعداد: علي حميد عايد – طالب دكتوراه في جامعة الجنان
عيد عماش طلك – طالب دكتوراه في جامعة الجنان

مقدمة: وسائل التربية الإيمانية.

من وسائل التربية اتباع منهج القرآن الكريم والثقة بالله والصبر في السير على المنهاج السالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم التحوُّل من مجتمع الكراهية والتفكك والغثائية إلى مجتمع الوَلاية والمحبة والتوادِّ والإخاء لا سبيل إليه إن لم تتماثَل وسائل التربية وأهداف التربية، ولا سبيلَ إن لَمْ يكن القرآن، وحب الله، والثقة بالله، هي السِّلكُ الناظم، والصبر الدائم، والمنهاج اللازم، والقرآن، والحب، وطلب ما عند الله، لا العنف، والزجر، والقسوة مكشرةً أنْيابَ الإفزاع والإرهاب، مطلبنا إنشاء تربية يحدوها إلى تلبية نداءِ الطمع فيما عند الله، والطمع في القرب من الله، ولا ينال خيرَ الآخرة وقربَ المولى إلا الرحَماءُ بينهم، الأشداءُ على من حادّ الله ورسوله.

وهناك خصال في الأسس التربوية أهمها:

أولا: الصحبة في الله والمحبة في الله والتآخٍ والتراحم يرتفع بها الوافد علينا في درجات حب الله وحب رسول الله.

ثانيًا: الذكر وهو توحيد المعبود، وإفراده بالعبادة، والمواظبة على العبادة، والخشوع في العبادة، كل حركات المؤمنين والمؤمنات عبادة تقرب إلى الله إن كان لها الصدق حادياً، والصواب ضامناً، والتقوى شافعاً، إنما يتقبل الله من المتقين، فمن زعم أنه ينال من الله رضى وقبولاً بالتجمعات والمجادلات في ساحة العرض، والعبادة متروكة، والذكر نغماتٌ تردد الشعارات الإسلامية في زعمها، فإنما هو بلاءٌ وخُسران.

ثالثًا: الصـــدق: يتميز المومن والمؤمنة عن المنافق والمنافقـــة بأخلاق أربعة تميزًا لا تخطئه حواس الملاحظ، وحدس المراقب، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا – أَوْ كَانَتْ فِيـــهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ – حَتَّـــى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَـــفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1]

هكذا هو في توصيف النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.

رابعًا: العلم ما يقربنا إلى الله، وما يبصرنا بمصيرنا إلى الله، وما يدلَّنا على واجباتنا من قِبَل الله، وما رسَّخ خطانا اتباعا واحتراما لسنة رسول الله.

خامسًا: العمل: الإيمان تصديق بالجنان، وشهادة باللسان، وعمل بالأركان. الذين آمنوا إنما يعرفون بالعمل الصالـــح، قال الله تعالى:» الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْـــنُ مَآبٍ» [2]، عاملون للدنيا هم من العاملة الناصبة التي تصلى ناراً حامية. أولئك المنافقون المراؤون، وســـاعون للآخرة سعيها وهم مؤمنون، أولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حســـاب، وســـاعون لنيل رضى الله والفوز بالقرب من الله، والنظر إلى وجه الله، أولئك هم المحسنون، والله يحب المحسنين[3].

المبحث الأول: الدعوة إلى التوحيد والتربية الإيمانية وتعليمها للأطفال

غرس العقيدة لدى الأطفال ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى:

إن تأســـيس العقيدة الســـليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية، وأمر بالغ السهولة كذلك إذا ما وعى الوالدان واجباتهما في أداء هذه المهمة التي أوكلها

(1) **صحيح البخاري**: ج3، ص: 131، برقم (2459).

(2) **الرعد**: الآية: 29.

(3) **مركزية القرآن الكريم في التربية الروحية**، عبد السلام ياسين، مقال، استانبول 17– 18 محرم 1434هـ/ 1– 2–2012م.

الله عز وجل لهما[1].

كـــما قال الإمام الغزالي: (واعلـــم أن الطريق في رياضة الصبيان مـــن أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خاليه عن كل نقش وصوره. وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوِّد الخير وعلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكلُّ معلِّم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له) [2].

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَـــكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَـــارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»[3].

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُـــلِهِ، اعْمَلُـــوا بِطَاعَةِ الله تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصَيَتَهُ، وأمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذّكْرِ والتَّقْـــوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيهِمْ، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَمُرُوهُمْ بِطَاعَـــةِ الله لِتُنقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَـــكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّـــمَ، التِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّـــاسُ مِنَ الكَفَرَةِ، وَالحِجَارَةُ، وَتَقُومُ عَلَيهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشِدَّاءُ عَلَيهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ.[4]

وهذه المرحلة هي أهم مرحلة بل أخطرها في مجال تربية الأبناء، فهي مرحلة تأسيس العادات الحسنة وتكوينها وترسيخ العقيدة الســـليمة في أعماق الفكر والقلب، وتثبيتها والتوجيه الى الأخلاق الفاضلة وتثبيتها في جميع تصرفاتهم[5].

(1) **منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ**، محمد خير، فاطمة، (معاصر)، بيروت: دار الخير، ص200.

(2) **إحياء علوم الدين**، الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، (ت505هـ)، بيروت دار الفكر، جـ 3/ 99.

(3) **التحريم** الآية: 6.

(4) **أيسر التفاسير**، أسعد محمود حومد، (ت1432هـ)،دمشق، 1/ 5113.

(5) **منهج الإســـلام في تربية عقيدة الناشـــئ**، محمد خـــير، فاطمه،(معاصر)، بـــيروت، دار الخير 1998، ص201.

وهي كما قال الشاعر[1]:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عـــوَّده أبوه

ومـــــا دان الفتــى بحجى ولكن يعلِّمه التدين أقربوه

وقال بعضهم[2]:

إنَّ الْغُصُونَ إذَا قَوَّمْتَــهَا اعْتَدَلَـتْ وَلَا يَلِينُ إذَا قَوَّمْتَهُ الْخَشَـــبُ

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي صِغَرٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

ولــذا فإن هذه المرحلة هي أهــم مرحلة وأخطرها، وإنما هي المرحلة الأساســية في التلقين والتوجيه والتأسيس لهذه العقيدة الســليمة، التي يجب أن يقوم بها الوالدان بشكل أساسي، بالاســتعانة بالمربين إن أمكن ذلك، وضمن المنهج الإســلامي الصحيح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع الاستفادة من تربية السلف وحسن تطبيقهم لهذا المنهج[3].

إن غرس العقيــدة في النفوس هي أمثل الطرق ليجاد أفراد صالحين يســتطيعوا أن يقوموا بدورهم كاملاً في الحياة.

غرس أركان الإيمان في الأطفال:

يتضح لنا كيفية غرس أركان الإيمان في الأطفال من خلال سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنهجــه التربوي في تعليم أطفاله وأطفال الصحابة حب الله ورســوله وتعليمهم الأركان الإيمانية وهذه الأركان هي:

(1) **ديوان لزوم مــا لا يلزم**، المعري، أبي العلاء، حرره وشرح تعابــيره وأغراضه، كمال الأزجي، المجلد الثاني/ 496، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـ - 1992 م.

(2) **أدب الدنيــا والديــن**، الماوردي، علي بن محمــد بن حبيب البصري، تحقيق طه عبد الرؤوف ســعد، ص239، (أدب النفس)، المنصورة، مكتبة الإيمان.

(3) **منهج الإســلام في تربية عقيدة الناشــئ**، محمد خــير، فاطمه، (معاصر) بــيروت، دار الخير 1998، ص201-201.

أولا: الإيمان بالله تعالى:

تلقين الطفل كلمة توحيد الله تعالى وهي «أشـــهد أن لا إله إلا الله وأشـــهد أن محمدًا رسول الله»، وفي ذلك يقول العلامة الإمام ابن القيم: (فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: لا إله إلا الله، محمد رســـول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشـــه ينظر إليهم ويســـمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا) [4]، وينبغي لولي الصغيرة والصغير أن يبـــدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر، وذلك ليتوجهـــا إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى، وتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم ومداركهم، وحواســـهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشآ ويشبا على محبة القرآن والتعلق به والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه». ولهذا يقول ابن خلدون: (تعليم الوِلدان للقرآن شـــعار الدين، أخذ به أهل الملّة، ودرجوا عليه في جميع أبصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أهل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات) [5]، وكذلك غـــرس روح مراقبة الله في السر والعلن في نفوس الأطفال: مراقبة الله عز وجل هي من أهم المعالم الإيمانية التي يستقيم بها قلب الطفل ومن ثم جميع جوارحه، وهي الأساس الذي يبعد الطفل عـــن كل المعاصي والمخالفات، وهي أيضًا المدخل الصحيح لتعميق روح الإخلاص في نفسية الطفل ولذا فالله تعالى يقول: «إِنَّ اللهَّ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»[6] ومـــن ثم يجب على الوالدين تعويد الأطفال مراقبة الله وهـــم يعملون، وهم يفكرون، وهم يضمرون أمرًا ما وإلى هذا المعلم المهم أشار المربي الأول عليه الصلاة والسلام حين سئل عن الإحســـان فأجاب: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » [7]، وكذلك غرس

(4) **تحفة المودود بأحكام المولود**، ابن القيم الجوزية،(ت751هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 127.

(5) **تاريخ ابن خلدون**، عبالرحمن بن محمد، (ت808هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص461.

(6) **آل عمران**: الآية5.

(7) **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب تعليم جبريل عليه الســـلام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الإحسان، ج1، ص19، برقم (50).

روح الخشـــوع والعبودية لله من خلال معرفة أمرين، الأمر الأول معرفة مقام الله عز وجل وأنه الرب الجليل الأكبر، ومعرفة مقام الإنســـان وعجزه وإشفاقه وتقصيره، والأمر الثاني: أن الإنسان لا يستفز ولا تهدأ نفسه إلا بتمام الحب والذل لله عز وجل.

ثانيًا: الإيمان بالملائكة:

يجب عـــلى المربين التدرج في غرس العقيـــدة للطفل، ابتداء بغرس حب الله ورســـوله وآله وصحبه، ثم ملائكته، وعند التدرج يراعى الاستعداد العقلي لقبول ما يقال له

ويبدأ بتوضيح:

أ) من هم الملائكة.

ب) وما هي صفاتهم.

ت) وما يفعلون وكم عددهم.

الملائكة هم: «من العالم غير المنظور، عالم الغيب أو عالم ما وراء الطبيعة، ولا يَعلم حقيقتهم إلا الله ســـبحانه، وهم من عباد الله المســـخرين لطاعته والمجنّدين لتنفيذ أوامره، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»[1] وإنهم لا يتوالدون ولا يوصفون بذكر ولا بأنوثه، وإنما هي أجســـام نورانية ترانا ولا نراها، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال تعالى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُـــبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)».[2]

ومن أعمال الملائكة ووظائفهم:

1) الوحِي: وهذه الوظيفة خاصة بجبريل – عليه الســـلام– فهو الذي ينزل على الأنبياء والرسل بالوَحِي.

(1) **سورة التحريم**: الآية: 6.

(2) **سورة الأنبياء**: الآية 26_27.

2) تسجيل أعمال الناس.

3) الاستغفار للمؤمنين وطلب الرحمة لهم.

4) رعايــة الجنة وأهلها» قال تعالى:» وَسِــيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّــةِ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ»[1]، والقيام بشؤون النار وأهلها، قال تعالى: «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ»[2]

أعداد الملائكة:

الملائكة لا يحصون عدداً في علم المخلوقات، لكثرتهم الكاثرة ولأنهم من جنود الرحمن، قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِيــنَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَــابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ» [3]

الثمار التي يجنيها الأطفال من إيمانهم بالملائكة:

1) الإيمان بالملائكة يدل على صدق الإيمان، لأن الملائكة ليســوا من عالم الشهادة بل هم من عالم الغيب، وقد أوجب الله الإيمان بهم، وقد جعل الله –سبحانه وتعالى– الإيمان بالغيب من أبرز صفات المؤمنين قال تعالى: «الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» [4]

(1) **سورة الزمر**: الآية: 73.

(2) **سورة الزمر**: الآية: 71.

(3) **سورة المدثر**: الآية: 31.

(4) **سورة البقرة**: الآية: 1_2.

2) تنمية الشـــعور بالمسؤولية ودوام المراقبة لله سبحانه، لأن الله -عز وجل -قد وكل بنا الملائكة يحصون علينا أعمالنا صغيرها وكبيرها، وهم معنا يطلعون علينا ويســـجلون ذلك في سجلات ســـوف تعرض علينا يوم القيامة ونحاســـب عليها فيدفعنا ذلك لمحاسبة أنفسنا على أعمالنا والازدياد من أعمال الطاعة والخير والبعد عن المعاصي.

ثالثًا: الإيمان بالكتب السماوية:

من أركان العقيدة الإســـلامية الإيمان بجميع الكتب السماوية قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـــولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» (1)

فهـــو بيان لعناصر الإيـــمان التي يجب أن يؤمن بهـــا الذين آمنوا، بيان للتصور الإســـلامي الاعتقادي، فهو إيمان باللهّ ورسوله، يصل قلوب المؤمنين بربهم الذي خلقهم، وأرسل إليهم من يهديهم إليه، وهو الرســـول – صلى الله عليه وسلم– وإيمان برسالة الرسول وتصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهم الذي أرســـله، وهو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله، يربطهم بالمنهج الذي اختاره اللهّ لحياتهم وبينه لهم في هذا الكتاب والأخذ بكل ما فيه، بما أن مصدره واحد، وطريقه واحد وليس بعضه بأحق من بعضه بالتلقي والقبول والطاعة والتنفيذ، وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل، بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو اللهّ وأساســـها كذلك واحد هو إسلام الوجه للهّ وإفراد اللهّ ســـبحانه بالألوهية – بكل خصائصها – والإقرار بأن منهج اللهّ وحده هو الذي تجب طاعته وتنفيذه في الحياة، وهذه الوحدة هي المقتضى الطبيعي البديهي لكون هذه الكتب – قبل تحريفها – صادرة كلها عن اللهّ، ومنهج اللهّ واحد، وإرادته بالبشر واحدة، وســـبيله واحد، تتفرق السبل من حولها وهي مستقيمة إليه واصلة، والإيمان بالكتـــاب كله – بوصف أن الكتـــب كلها كتاب واحد في الحقيقة – هو الســـمة التي تنفرد بها هذه الأمة المســـلمة، لأن تصورها لربها الواحـــد، ومنهجه الواحد، وطريقه الواحد، هو التصور الذي يســـتقيم مع حقيقة الألوهية، ويستقيم مع وحدة البشرية، ويستقيم مع وحدة

(1) **سورة النساء**: االآية 136.

الحق الذي لا يتعدد، والذي ليس وراءه إلّا الضلال فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ، وبعد الأمر بالإيمان، يجيء التهديد على الكفر بعناصر الإيمان، مع التفصيل فيها في موضع البيان قبل العقاب، قال تعالى: «وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» [1].

ثمار الإيمان بالكتب السماوية:

(1) يزيد من معرفة المؤمن بكتب الله التي أنزلها على عباده وما كان فيها من عقائد وشرائع، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة في ذلك.

(2) أنه يبين للمؤمن أن جميع العقائد التي دعت إليها هذه الكتب واحدة ولكن الشرائع مختلفة بحسب الزمان والمكان.

(3) الاستهداء بما جاء في القرآن الكريم الخاتم للكتب السماوية، والناسخ لشرائعها وأحكامها والمهيمن عليها، والذي لم يفرط الله تعالى فيه من شيء.

رابعًا: الإيمان بالرسل عليهم السلام:

على المربين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم التصديق الجازم بأن الله أرسل الرسل مبشرين بالجنة لمن يطيع أوامر الله، ومنذرين بالنار لمن يعصي الله، قال تعالى: «رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا»[2]

ولا يكمل إيمان المسلم ولا يصح إلا بإيمانه بالأنبياء والرسل جميعاً من أولهم آدم -عليه السلام -إلى خاتمهم سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وقد اصطفى الله -عز وجل -من خلقه من البشر رسلاً أطهاراً ليبلغوا عنه دينه وشرعه، ويهدوا عباده إلى الصراط المستقيم ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، وأيدهم الله بالبيّنات والمعجزات كبرهان على صدقهم، وإقناع الناس برسالاتهم.

(1) **سورة النساء**، الآية:136.

(2) **سورة النساء**، الآية: 165.

ثمار الإيمان بالرسل عليهم السلام: إن فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة النبوية المطهرة، توجه العملية التربوية ببرامجها ومناهجها ووسائلها التعليمية والتربوية في مختلف مراحل تعليم وتربية الناشئين إلى ترسيخ الإيمان بالرسل الأخيار عامة، وبخاتمهم سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – خاصة والذي أرسلهم الله تعالى لطفاً منه إلى عباده لهدايتهم وإرشادهم، وذلك كله قصد تحضير الناشئين على التأسي بهم والاقتداء بأخلاقهم والاهتداء بسننهم والاسترشاد بسيرتهم، وجعلهم الرمز الحي والقدوة المثلى والأسوة الحسنة في العبادة والطاعة وفي الإيمان والعمل وفي الصدق والإخلاص وفي العدل والأمانة وفي الأخلاق والسلوك وفي السيرة والتصرف، وفي المواقف، والاتجاهات، وفي المثابرة والاجتهاد، وفي الصبر على المكاره والشدائد وفي الجلد والتحمل، وفي أداء الحقوق والقيام بالواجبات وفي شتى مناشط الحياة والمعاملات والعلاقات، قال تعالى: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ»[1].

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر: هو نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة الأخرى، الذي جعله الله للحساب والثواب والعقاب، والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق الجازم واليقين القاطع بما يكون بعد الموت من الحياة البرزخية، وأحوال القبر والبعث والحشر والنشر والصحف والميزان والحساب والجزاء والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار، ونبقى في تربية الطفل على هذا التسلسل السابق تدريجياً حتى نصل إليه إلى أن الدنيا فانية وهي دار اختبار وابتلاء وأن الإنسان لم يخلق عبثاً وإنما لهدف وغاية قال تعالى: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»[2]، أي:{أَفَحَسِبْتُمْ} أيها الخلق {أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} أي: سدى وباطلا تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال:{وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} لا يخطر هذا ببالكم،{فَتَعَالَى اللَّهُ} أي:

(1) **سورة الأنعام**، الآية: 90.

(2) **سورة المؤمنون**، الآية: 115.

تعاظـــم وانتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القـــدح في حكمته قال تعالى: «الْمُلْكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[1] فكونه ملكا للخلق كلهم حقا، في صدقه، ووعده، ووعيـــده، مألوها معبودا، لما له مـــن الكمال {رَبُّ الْعَرْشِ الكريم} فـــما دونه من باب أولى، يمنـــع أن يخلقكم عبثا، ومـــن الأهداف التربوية المترتبة على الإيـــمان باليوم الآخر والتي لها أثرها الفعّال في نفوس ومشـــاعر وقلوب الأطفال، حيث ترشد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة العملية التربوية بمناهجها ووسائلها، وتوجه القائمين عليها من آباء ومربين ومســـئولين إلى جني ثمار التأثيرات الإيجابية للإيمان باليوم الآخر – لما فيه من ترسيخ للإيمان والعقيدة بأركانها المتعددة.

سادسًا: الإيمان بالقدر خيره وشره:

«حَدَّثَنِـــي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُـــولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَـــدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ، فَأَسْـــنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَـــعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْـــلَامِ، فَقَالَ رَسُـــولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْـــتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْـــأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُـــلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَـــانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُـــدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَـــرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْـــئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَـــالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّـــاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَـــالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّـــائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُـــولُهُ

(1) **سورة المؤمنون**، الآية: 116.

أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ الْمَرْءُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[2]

فالإيمان بالقدر هو:» التصديق واليقين القاطع بأنَّ كل شيء من خير أو شر، أو حركة أو سكوت، إنما يقع على علم من الله تعالى ومشيئته وقدرته، وأنه تعالى الفعّال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلاّ عن تدبيره، ويخاطب المربي الطفل قائلاً: «وأنت يا ولدي كما يمتحنك معلموك في المدرسة لمعرفة اجتهادك في الدروس، ومقدار التفاوت بينك وبين غيرك من زملائك الطلاب، كذلك -سبحانه وتعالى- يمتحن عباده ويختبرهم، ويمتحن بعضهم بالملك والسلطان والغنى والصحة، وآخرين بالفقر والمرض والنكبات»، فعلينا كمربين أن نفهم أطفالنا مسألة القضاء والقدر على قدر ما يبلغه عقولهم، إننا نجلس إلى جانب أطفالنا وبكل بساطة وروية فنقول لهم: إن الإنسان في الدنيا معرض لكل أنواع المصائب والآلام ولعله يفتقر بعد غنى ويمرض بعد صحة، فماذا يصنع؟ ليس له إلا التسليم، والصبر والرضى بقضاء الله تعالى، والأخذ بالأسباب المشروعة، راجياً الثواب والأجر في الآخرة».

أثر الإيمان بالقضاء والقدر في نفوس أولادنا:

عندما يعلم الطفل أن إيمان المؤمن يتجدد كلما مرت به المحن والشدائد، فهو يعلم ابتداء كثمرة لإيمانه الصادق، أن لله -سبحانه وتعالى- في كل حال من الأحوال إرادة، وأن الله لا يريد به إلا خيراً، فهو على موعد في هذه الحياة مع أقدار الله، فإنَّ نفسه لا تضيق ولا تجزع إنما يواجه الشدائد بنفس راضية بقضاء الله وقدره قال تعالى: «قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».[3]

(1) **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، ج1، ص:36، برقم (8).

(2) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج11، ص: 305، برقم: (6703).

(3) **سورة التوبة**، الآية:51.

المبحث الثاني: تربيتهم على محبة الله تعالى، والاستعانة به، ومراقبته سبحانه وتعالى ودعائه

اعتقادهم بالله الواحد الأحد، وترسيخ حب الله تعالى.

لماذا نعلمهم حب الله تعالى:

أ-لأن الله تعالى قال عن الذين يحبونه: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».[1]

ب- لأن الله جلَّ شأنه هو الذي أوجدنا من عَدَم، وسوَّى خَلقنا وفضَّلنا على كثير ممَّن خلق تفضيلا، ومَنَّ علينا بأفضل نعمة وهي الإسلام، ثم رزقنا بالكثير من فضله دون أن نستحق ذلك، ثم هو ذا يعدنا بالجنة جزاءً لأفعال هي من عطاءه وفضله، فهو المتفضِّل أولاً وآخراً.

جـ - عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الذي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ نَفْسِى وَأَهْلِى وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ». قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ»[2]، ولنا في ذلك أسوة الحسنة.

وعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:« قِيلَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ، وَأَنَا

(1) **سورة آل عمران**. الآية: 31.

(2) **سنن الترمذى**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تح: بشار عواد معروف، ن: دار الغرب الإسلامي - بيروت: 1998 م،ج5، ص400، برقم (3490)، وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ »[1].

وعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِّ –صلى الله عليه وسلم – بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: «إِنَّ رَبِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَا يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا، قَالَ: فَخُيِّلَ لِي مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ، فَأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ وَبَذْلُ السَّلامِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ: فَمَشْيٌ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: قُلْتُ: فَعَلِّمْنِي، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ»[2].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: احْتَبَى عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ يَوْمًا صَلاةَ الْغَدَاةِ فَقَالَ: إِنِّي صَلَّيْتُ الْبَارِحَةَ مَا قُضِيَ لِي وَوَضَعْتُ جَنْبِي فِي الْمَسْجِدِ فَأَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ، يَعْنِي الْمَلأَ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لاَ أَيْ رَبِّي، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَالَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، قُلْتُ: لاَ أَيْ رَبِّ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ قَالَ: فَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلاَمِ، وَالصَّلاَةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِنْ أَرَدْتَ، أَوْ قَالَ: أَرَدْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ، فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ،

(1) **المستدرك للحاكم**(1932) صحيح

(2) **كشف الأستار عن زوائد البزار**، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت_ط/ 1، 1399 هـ – 1979 م ج3 ،ص 14)، برقم: (2129)، حديث حسن.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: تَعَلَّمُوهُنَّ وَادْرُسُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ»[1].

د- لأن الحب يتولد عنه الاحترام والهيبة في السر والعلن، وما أحوجنا إلى أن يحترم أطفالنا ربهم ويهابونه- بدلاً من أن تكون علاقتهم به قائمة على الخوف من عقابه أو من جهنم- فتكون عبادتهم له متعة روحية يعيشون بها وتحفظهم من الزلل.

هـ- لأن الأطفال في الغالب يتعلقون بآبائهم وأمهاتهم -أو مَن يقوم برعايتهم وتربيتهم- أكثر من أي أحد، مع العلم بأن الآباء، والأمهات، والمربين لا يدومون لأطفالهم، بينما الله تعالى هو الحيُّ القيوم الدائم الباقي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، فهو معهم أينما كانوا وهو الذي يحفظهم ويرعاهم أكثر من والديهم، إذن فتعلقهم به وحبهم له يُعد ضرورة، حتى إذا ما تعرضوا لفقدان الوالدين أو أحدهما عرفوا أن لهم صدراً حانياً، وعماداً متيناً، وسنداً قوياً هو الله -سبحانه وتعالى.

و - لأنهم إذا أحبوا الله عز وجل وعلموا أن القرآن كلامه أحبوا القرآن، وإذا علموا أن الصلاة لقاء مع الله فرحوا بسماع الأذان، وحرصوا على الصلاة، وخشعوا فيها، وإذا علموا أن الله جميل يحب الجمال فعلوا كل ما هو جميل وتركوا كل ما هو قبيح، وإذا علموا أن الله يحب التوابين والمتطهرين، والمحسنين، والمتصدقين، والصابرين، والمقسطين، والمتوكلين، وأن الله مع الصابرين، وأن الله ولي المتقين، وأنه وليُّ الذين آمنوا وأن اللهَ يدافع عن الذين آمنوا، اجتَهَدوا ليتصفوا بكل هذه الصفات، ابتغاء مرضاته، وحبه، والفوز بولايته لهم، ودفاعه عنهم، أما إذا علموا أن الله لا يحب الخائنين، ولا الكافرين، ولا المتكبرين، ولا المعتدين، ولا الظالمين، ولا المفسدين، وأنه لا يحب كل خَوَّان كفور، أو من كان مختالاً فخورا، لابتعدوا قدر استطاعتهم عن كل هذه الصفات القبيحة حبًّا في الله ورغبة في إرضاءه.

ز- لأنهم إذا أحبوا الله -جل وعلا- أطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه بطيب نفس ورحابة صدر، وشبُّوا على تفضيل مراده على مرادهم، وتقديم كل غال وثمين من أجله،

(1) **أخرجه الترمذي**، برقم (3235). صحيح

والتضحية من أجل إرضاءه، وضبط الشهوات من أجل نيل محبته، فالمُحب لمن يحب مطيع.

حـ- لأن حب الله يعني استشـــعار وجوده -عز وجل - معنـــا في كل وقت ومكان، مما يترتب عليه الشـــعور بالراحـــة والاطمئنان والثبات، وعدم القلـــق أو الحزن، ومن ثم ســـلامة النفس والجسد من الأمراض النفســـية والعضوية، بل والأهم من ذلك السلامة من المعاصي والآثام ، وما أجمل قول القائل: مَن كان الله معه، فمَن عليه؟.

طـ - لأن أعز ما يملكه الإنســـان - بعد إيمانـــه بالله عز وجل - هو الكرامة «وليس المال أو المنال، أو الجاه أو القدرة،...، فالمجرم يتعذب في داخله قبل أن يحاسبه الآخرون؛ لأنه على بصيرة من قرارة نفســـه التي تحسُّ بغياب الكرامة بفعل الأفعال الدنيئة، أمّا الإنســـان المحترم الذي يحسُّ بوفرة الكرامة لديه، فإنه أحرَى أن يعتلي القمم السامية والمنازل الرفيعة...وهكذا كان شـــأن «يوسف» الصدِّيق -عليه السلام- حين توسم فيـــه عزيز مصر أن ينفعه ذات يوم، ويكون خليفة له على شـــعبه،أو يتخذه ولداً، لذا فقد قال لامرأته حين أتى بيوسف مســـتبشراً به: «أكرِمي مثواه» أي أكرمي مكانته، واجعليـــه محط احترام وتقديـــر، ولم يوصها بأي شيء آخـــر... فلعله رأى أن التربية القائمة على أســـاس الكرامة تنتهي بالإنسان إلى أن يكون عالماً، وقادراً على أن يتخذ القرارات السليمة وفقاً لأسس وقواعد التفكير الحكيم، هذا بالإضافة إلى قدرته على وضعهـــا موضع التنفيذ، فإذا أردنا الكرامة ونتائجها لأطفالنا فما أحرانا بأن نهبها لهم من خلال حبهم لخالق الكرامة الذي كرَّم أباهم آدم وأسجد له الملائكة، وقال عنهم: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»[1].

وإذا أردنا لهم الدرجات العُلا في الدنيا والآخرة، فلا مفرَّ من مساعدتهم على حبِّ الله الذي

(1) **سورة الإسراء**. الآية:70.

يقودهم إلى التقوى [1] ، فيصبحوا مـــن الذين قال عنهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»[2].

طرق ترسيخ حب الله –سبحانه وتعالى– في الطفل:

ولنرسخ في أذهان أطفالنا أنَّ حب الله تعالى يشتمل باتباع الآتي:

أولاً: تنزيه سبحانه الله تعالى وطاعته ومراقبة الله سبحانه وتعالى في سر والعلن:

جاءت الرســـالات الســـماوية كلها توضح وتؤكد تنزيه الخالق فهو مُنـــزّه عن الشركاء، له الألوهيـــة وحده وله الربوبيـــة وحده، وله الحاكميـــة وحده، وله الأمـــر والنهي وحده[3]، «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا»[4]

وقال تعالى: «فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۚ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[5].

الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعها بقدرته ومشيئته وحكمته، جعل لكم من أنفســـكم أزواجًا؛ لتســـكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجًـــا ذكورًا وإناثًا،

---

(1) **محبة الله أصل الدين: محاضرة مسجلة على الرابط**، فضيلة الشيخ «راتب النابلسي»:
http: / /www.alminbar.net /alkhutab /khutbaa.asp?mediaURL=5251

بواسطة

http://saaid.net/tarbiah/11.zip،

وانظر_ كيف نربي أبناءنا على الإيمان، ص 3، من مقالة منشورة على الرابط:
www.almodarresi..com /moha /e91a2cd8.htm

بواسطة

http: / /saaid.net /tarbiah /11.zip

(2) **سورة الحجرات**. الآية: 13.

(3) **الطفل في الشريعة الإســـلامية ومنهج التربية النبوية**، سهام مهدي جبار، (معاصرهـ)، بيروت، المكتبة العصرية، ص 192.

(4) **سورة الإسراء**. الآية: 43.

(5) **سورة الشورى**. الآية: 11.

يكثركم بسببه بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلَّها حسنى، وصفاتِه صفات كمال وعظمة، وأفعالَه تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه مِن أعمال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجازيهم على ذلك.[1]

فليس هنالك من شيء يماثله – سبحانه وتعالى –: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، والفطرة تؤمن بهذا بداهة، فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه، ومن ثم فإنها ترجع كلها إلى حكمه عند ما تختلف فيما بينها على أمر، ولا ترجع معه إلى أحد غيره؛ لأنه ليس هناك أحد مثله، حتى يكون هناك أكثر من مرجع واحد عند الاختلاف، ومع أنه – سبحانه – لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فإن الصلة بينه وبين ما خلق ليست منقطعة لهذا الاختلاف الكامل، فهو يسمع ويبصر: وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، ثم يحكم حكم السميع البصير، ثم إنه إذ يجعل حكمه فيما يختلفون فيه من شيء هو الحكم الواحد الفصل، يقيم هذا على حقيقة أن مقاليد السماوات والأرض كلها إليه بعد ما فطرها أول مرة، وشرع لها ناموسها الذي يدبرها: لَهُ مَقَالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وهم بعض ما في السماوات والأرض، فمقاليدهم إليه.[2]

وعَنْ عَبْدِ الله قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ الله أَكْبَرُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ للهَّ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهَّ إِلٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا»[3].

ثانياً: حسن الظن بالله واللجوء إليه والخوف منه:

إن حسن الظن بالله صفة راسخة على كل مؤمن إن يغرسها في قلبه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ.[4]

---

(1) **التفسير الميسر**، المصحف الإلكتروني،على الرابط التالي http: //www.e-quran.com/

(2) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، (ت1385هـ)، القاهرة، دار الشروق، ج5، ص3146

(3) **سورة الفرقان**. الآية: 68.

(4) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو

وعَنْ أَبِي سُــفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ: مَنِ اسْــتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لاَ يَمُوتَ إِلاَّ وَظَنُّهُ بِاللَّهِ حَسَــنٌ، فَلْيَفْعَلْ، وفي رواية عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: سَــمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ: لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلاَ[1].

وقال تعالى عن قافلة الأنبياء: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِــعِينَ»[2]، أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتهــا الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليهــا، إلا انتهزوا الفرصة فيها، وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، أي: يســألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالــح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منهــا، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون، وَكَانُوا لَنَا خَاشِــعِينَ، أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم[3].

إن الله فطر الإنسان على الخوف والرجاء ويعمل هذان الخطان باستمرار في نفسه، وبمقدار اتجاههما الاتجاه السليم، يفوز المسلم بالأمن في الدنيا وبالجنة في الآخرة[4].

ثالثاً: الصلة بالله وبيان أثرها في الطاقات الإنسانية:

إنَّ الأساس في التربية الإيمانية هو أن يكون بين الإنسان وربه إيصال دائم لا ينقطع، فالعبادة بجميع أنواعها وشــتى صورها تشعر المؤمن أنه موصول بالله –سبحانه وتعالى– يستمد منه

حاتم، الدارمي، البُســتي (ت: 354هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت_ ط/ 2، 1414 – 1993 – (2 / 399) (631) صحيح لغيره.

(1) **صحيح ابن حبان** – (2 / 404) (637–638) صحيح

(2) **سورة الأنبياء**. الآية: 90.

(3) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: مؤسسة الرسالة، ط/ 1 1420هـ –2000 م – ج1، ص: 530.

(4) **الطفل في الشريعة الإســلامية ومنهج التربية النبوية**، سهام مهدي جبار، (معاصرهـ)، بيروت، المكتبة العصرية، ص 198.

الهداية والعون، يدعو فيجيب الله دعاءه، وبالتالي، فقد انعقدت بين الله وبين قلب هذا الطفل صلة لا تنقطع في النهار أو الليل، لا تنقطع في عمل أو شعور أو فكر أو قول، إذا أردنا أن تظهر الفضائل الإنسانية الحقيقية في قلوب أطفالنا، فلنربيهم على قاعدة تربوية يكون أساسها الارتباط الواقعي والصلة الدائمة بينهم وبين خالقهم[1].

رابعاً: شكر الله اعترافاً بالجميل:

وواجبنا أن نلفت دائماً أنظار أولادنا إلى هذا الإنسان وما فيه من نِعَم ربانية لا تحصى، أو أن نُعلّمهم أن علينا واجباً نحو خالقنا -سبحانه وتعالى- الذي تفضل علينا بالنعم وهذا الواجب يتمثل بشكره تعالى على نعمه، وأن نقول لهم أن الشكر يتحقق بالعبادة والطاعة، «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ». [2]

خامساً: الدعاء وبيان بركته وفضله:

علينا دائماً أن نكون قدوة للأطفال بأن نرفع أيدينا دائماً بالدعاء لله وطلب كل ما نريده ونبين لهم أن الإنسان ضعيف وفقير إلى الله يستمد قوته منه وحده سبحانه، قال تعالى: «ا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ۖ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»[3]، وإن الناس في حاجة إلى تذكيرهم بهذه الحقيقة في معرض دعوتهم إلى الهدى، ومجاهدتهم ليخرجوا مما هم فيه من الظلمات إلى نور اللهّ وهداه، في حاجة إلى تذكيرهم بأنهم هم الفقراء المحاويج إلى اللهّ، وأن اللهّ غني عنهم كل الغنى، وأنهم حين يدعون إلى الإيمان باللهّ وعبادته وحمده على آلائه فإن اللهّ غني عن عبادتهم وحمدهم، وهو المحمود بذاته، وأنهم لا يعجزون اللهّ ولا يعزون عليه فهو إن شاء أن يذهب بهم ويأتي بخلق جديد من جنسهم أو من جنس آخر يخلفهم في الأرض، فإن ذلك عليه يسير.

الناس في حاجة إلى أن يذكروا بهذه الحقيقة، لئلا يركبهم الغرور وهم يرون أن اللهّ - جل

(1) **المصدر نفسه**: ص 201-202.

(2) **سورة النحل**. الآية: 18.

(3) **سورة فاطر**. الآية: 15

وعلا – يعنى بهم، ويرسل إليهم الرسل ويجاهد الرسل أن يردوهم عن الضلالة إلى الهدى، ويخرجوهم من الظلـــمات إلى النور، ويركبهم الغرور فيظنون أنهم شيء عظيم على اللهّ! وأن هداهم وعبادتهم تزيد شـــيئا في ملكه تعالى! واللهّ هو الغني الحميد، وإن اللهّ ســـبحانه يمنح العباد من رعايته، ويفيض عليهم من رحمته، ويغمرهم بسابغ فضله – بإرسال رسله إليهم، واحتمال هؤلاء الرســـل ما يحتملون من إعراضهم وإيذائهم، وثباتهم على الدعوة إلى اللهّ بعد الإعراض والإيذاء.. إن اللهّ سبحانه إنما يعامل عباده هكذا رحمة منه وفضلا وكرما ومنا؛ لأن هذه صفاته المتعلقة بذاته، لا لأن هؤلاء العباد يزيدون في ملكه شيئا بهداهم، أو ينقصون من ملكه شيئا بعماهم، ولا لأن هؤلاء العباد مخلوقات نادرة عزيزة صعبة الإعادة أو الاستبدال، فيغتفر لهم ما يقع منهم لأنهم صنف لا يعاد ولا يســـتبدل، وإن الإنســـان ليدهش ويحار في فضل اللهّ ومنه وكرمه، حين يرى هذا الإنســـان الصغـــير الضئيل الجاهل القاصر، الضعيف العاجز، ينال من عناية اللهّ ورعايته كل هذا القدر الهائل! والإنســـان ساكن صغير من سكان هذه الأرض، والأرض تابع صغير من توابع الشمس، والشمس نجم مما لا عد له ولا حصر مـــن النجوم، والنجـــوم إن هي إلا نقط صغيرة – على ضخامتها الهائلـــة – متناثرة في فضاء الكـــون الذي لا يعلم الناس حـــدوده، وهذا الفضاء الذي تتناثر فيـــه تلك النجوم كالنقط التائهة إن هو إلا بعض خلق اللهّ، ثم ينال الإنسان من اللهّ كل هذه الرعاية، ينشئه، ويستخلفه في الأرض، ويهبه كل أدوات الخلافة – سواء في تكوينه وتركيبه أو تسخير القوى والطاقات الكونيـــة اللازمة له في خلافته – ويضل هذا المخلـــوق ويتبجح حتى ليشرك بربه أو ينكره، فيرســـل اللهّ إليه الرسل، رسولا بعد رسول، وينزل على الرســـل الكتب والخوارق، ويطرد فضل اللهّ ويفيض حتى لينزل في كتابه الأخير للبشر قصصا يحدث بها الناس، ويقص عليهم ما وقع لأســـلافهم، ويحدثهم عن ذوات أنفسهم، ويكشف لهم عما فيها من قوى وطاقات، ومـــن عجز وضعف، بل إنه – ســـبحانه – ليحدث عن فلان وفـــلان بالذات، فيقول لهذا: أنـــت فعلت وأنت تركت، ويقول لذاك: هاك حلًّا لمشـــكلتك، وهاك خلاصًا من ضيقتك، وكل ذلك، وهذا الإنســـان هو الساكن الصغير من سكان هذه الأرض، التابعة الصغيرة من توابع الشمس، التائهة في هذا الوجود الكبير حتى ما تكاد تحس، واللهّ – سبحانه – هو فاطر

السماوات والأرض، وخالق هذا الوجود بما فيه ومن فيه بكلمة.

والناس خلقاء أن يدركوا هذه الحقيقة ليدركوا مدى فضل اللهّ ورعايته ورحمته. وليستحيوا أن يستجيبوا للفضل الخالص والرعاية المجردة[1]، قال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»[2]

يُحِبُّ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالإِجَابَةِ عَلَى دُعَائِهِمْ، وَدُعَاءُ العَبْدِ رَبَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِهِ بِرَبِّهِ، وَخَوْفِهِ مِنْهُ، وَطَمَعِهِ فِي ثَوَابِهِ وَكَرَمِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْتَمُّ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ لأَنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الخَلاَئِقِ، وَتَصْرِيفِ شُؤُونِهِمْ، وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَجْزِيَهُمْ بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ فَإِنَّهُ سَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُمْ أَذِلاءُ صَاغِرُونَ.[3]

وللدعاء أدب لا بد أن يراعى، إنه إخلاص القلب للهّ، والثقة بالاستجابة مع عدم اقتراح صورة معينة لها، أو تخصيص وقت أو ظرف، فهذا الاقتراح ليس من أدب السؤال، والاعتقاد بأن التوجه للدعاء توفيق من اللهّ، والاستجابة فضل آخر، فأما الذين يستكبرون عن التوجه للهّ فجزاؤهم الحق أن يوجهوا أذلاء صاغرين لجهنم، وهذه نهاية الكبر الذي تنتفخ به قلوب وصدور في هذه الأرض الصغيرة، وفي هذه الحياة الرخيصة، وتنسى ضخامة خلق اللهّ، فضلا على نسيانها عظمة اللهّ، ونسيانها للآخرة وهي آتية لا ريب فيها، ونسيانها للموقف الذليل في الآخرة بعد النفخة والاستكبار[4].

(1) **في ظلال القرآن**،سيد قطب، (ت1385هـ)، القاهرة، دار الشروق، (5 / 2937).

(2) **سورة غافر**. الآية:60.

(3) **أيسر التفاسير**، أسعد محمود حومد، (ت1432هـ)، دمشق، (1 / 4072).

(4) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، (ت1385هـ)، القاهرة، دار الشروق، (5 / 3091).

اتجاه معلمي التربية الإسلامية وأولياء أمور التلاميذ نحو العقاب البدني في المدارس الابتدائية

أنور لايق عبد الكريم اللافي - طالب دكتوراه / تخصص علوم القرآن والتفسير

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

لقد أخذت مسألة تربية الأبناء ونشأتهم النشأة الصحيحة حيزاً كبيراً من آراء المربين والمعلمين لما لهذا الموضوع من أثر كبير في تكوين شخصية الإنسان لاسيما في أعمار السنوات الأولى من الدراسة (المرحلة الابتدائية)، إذ تشكل هذه المرحلة اللبنة الأساسية في تحديد سلوك الإنسان واتجاهاته وميولاته، ومع بداية نشوء الأفكار والنظم والقوانين التربوية صار هؤلاء المربون والمعلمون يفكرون جدياً في كيفية ضبط سلوك المتعلمين لاسيما المؤسسة التربوية والتعليمية، فذهب البعض إلى ضرورة أن يكون العلاج متناسباً مع حجم السلوك غير المرغوب فيه من قبل الطالب وعدم الإيغال بالعقوبة تفادياً لانعكاسات نفسية وجسدية تترك عند المتعلم والبعض ذهب إلى ضرورة عدم استخدام العقوبة البدنية، ورأى فيها تجاوزاً على إنسانية الإنسان وخلق حالة من العزوف عن الدراسة والتعلم.

وخير من اهتم بهذا الموضوع أحكام الشريعة الإسلامية لأنها الراعي الأول والمهتم الأول في سلوك الفرد والمجتمع، إذ نظمت هذه الأحكام الشرعية بالشكل الذي يحفظ مكانة الفرد والمجتمع ويرعى مصالحهما، من هنا برزت الحاجة الملحة لتعميم هذه الأحكام والأخذ بها؛ لأن أحكام الشريعة الإسلامية الغراء بعدلها القويم، ومبادئها الشاملة تدور حول صيانة الضرورات الأساسية التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها ويعيش بدونها

ولقد حصرها أئمة الاجتهاد، وعلماء أصول الفقه بخمسة أمور، وسمّوها (الضرورات الخمس) أو (الكليات الخمس) وهي: (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العرض وحفظ العقل، وحفظ المال).

وبسبب الظروف التي تمر على مجتمعنا ودخول كثير من الأفكار المنحرفة والمؤذية للقيم والسلوك المجتمعي وانطلاقاً من الأحكام الشرعية وحرصها على هذا السلوك، قَالَ تَعَالَىٰ: «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ»(11)[1].

ومن الضروري اعتماد أسلوب العقاب البدني في تربية المتعلمين لمعالجة السلوك الخاطئ والمنحرف الذي يشكل عائقاً أمام ضبط الصف والمدرسة ومعوقاً كبيراً أمام تقدم العملية التربوية والتعليمية وضياعاً للوقت، لاسيما والعالم يشهد تعميماً لكثير من السلوكيات التي لا تتوافق مع مبادئ الشريعة من خلال موجة الأعلام المفتوح حيث صار العالم وكأنه في قرية صغيرة بحجة التطور والتمدن، وبذات الوقت نشهد حاجة ملحة عند الحريصين على مستقبل أبنائهم والحريصين على بناء مجتمعاتهم على أسس قويمة، نشهد دعوة ملحة إلى ضرورة الحفاظ على سلوك المتعلمين.

إن التربية الإسلامية هي مصنع تربوي قائم على أساس المثل والقيم الربانية والتي ترتقي بالشخصية الإنسانية نحو المكانة التي يريدها الله سبحانه وتعالى لها بحيث يحميها من الانحراف والزلل والضياع وهي تسمو بالإنسان نحو العزة قال تعالى: «**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**»[2].

وإنها تؤكد على تنمية الإيمان بالله سبحانه وتعالى ورسله واليوم الآخر والملائكة والكتب

(1) سورة الرعد: الآية: 11

(2) المنافقون: من الآية: (8)

السماوية والعمل على إيجاد إنسان صالح قادر على مواجهة العصر[1].

وكذلك اهتمامها في تهذيب النفوس وتقويم السلوك والجوانب الفكرية والنفسية وكذلك الحياة الاجتماعية بكل إبعادها ومشكلاتها وفق كل ذلك تستهدف حضارة مفتوحة الحدود شاملة لكل ما في الحياة من مجالات الرقي والتقدم[2].

لقد أولت التربية الإسلامية اهتماماً خاصاً لموضوع التعلم في الحياة وبينت أن في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يحتاجه الإنسان من العلوم والمعارف وشجعت على طلب العلم، قال تعالى: «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِۦقُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ»[3].

ولما كانت التربية الإسلامية تهتم بالإنسان ونموه وتكيّف تفاعله مع معطيات العصر تأثراً فإن ذلك سيلقي بظلاله على المجتمع، فهي رسالة تربوية يتم من خلالها تغيير السلوك الاجتماعي للفرد والمجتمع ويبدأ هذا التغيير في محور هذه الرسالة وهو الإنسان بوساطة أداة فعالة وهي العقيدة الإسلامية[4].

وبعد اهتمام التربية الإسلامية بالإنسان انتقلت إلى الاهتمام في النهضة العلمية وحصرتها بالإطار العام والذي يضمن تحقيق مقاصد الخير والأعمار في الأرض ومنعت استعمال ما يبتكره الإنسان من مخترعات واكتشافات في مجالات الشر والتدمير، قال تعالى: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَۖوَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم

(1) عبدالله، عبد الرحمن صالح أساليب التدريس والتقويم في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، (القاهرة،2002م): 109.

(2) الميداني، محمود عصام التربية البيئية والتلوث البيئي مطرق تدريس موضوعات البيئة في ضوء نظريات التعلم، مجلة التربية، العدد (102) (القاهرة، 2003م)، 119 – 115.

(3) الزمر: الآية: (9)

(4) جرادات، عزت وصادق إبراهيم عودة: العلم والتكنولوجيا والتنمية في الأخطاء الإسلامية، ط1، مطابع الدستور، عمان الأردن، 1402هـ / 1982م)، 59.

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون»[1].

إن التشـــجيع على العلم والمعرفة في تربيتنا الإســـلامية قد ظهر جلياً مع نزول أول آية على سيدنا محمد عندما قال له جبريل: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ».[2]

ويســـتند هذا بآية أخرى تعبيراً عن السّر الإلهي في أحد رموز العلم وهو القلم بقوله تعالى: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْـــطُرُونَ»[3]. وكلا الآيتين فيهما الترابط الواضـــح وهما القراءة والكتابة وأهميتهما في موضوع التعلم، قال تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا».[4] وقوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ولا ينقص من أزوارهم شيء ومن ســـن في الإسلام ســـيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء)[5].

لقد اســـتطاعت التربية الإسلامية بوسائلها المتجددة مع تطورات العصر أن تبني حضارة قوية يكون لواؤها الحق والعدل والخير للإنسانية، واستطاعت أن تصقل تلك العقول من الســـلف الأول بحيث يكونون قادة لمجتمعاتهم ينظر إلى أفعالهـــم وأمجادهم بعين التقدير والإعجاب أمثال ســـيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وســـعد والقعقاع وخالد بن الوليد وآخرين (رضوان الله عليهم أجمعين) ملأوا الدنيا عدلاً واستقامة حتى وصلت فتوحاتهم الإسلامية إلى مشارق الأرض ومغاربها.

إن التربية الإســـلامية عندما حققت كل ما مر من دروس وعبر لم يكن قد حققته من العدم

(1) التوبة: الآية: 105.

(2) العلق: الآية: (1).

(3) القلم: الآية: (1).

(4) البقرة: من الآية: (31).

(5) مسلم، أبو الحسين مســـلم بن الحجاج (ت 261هـ/ 874م): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان (د.ت): كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (2/ 704)، (1017).

وإنما من عقيدة ربانية تحتاج إلى من ينظر إليها ويعمل على نشرها بسلوك قويم يكون محط ثناء وإعجاب كل فرد يحتاج إلى التغيير نحو الأفضل وتحتاج إلى شخصية ذات جذور وأصول تؤثر في الآخرين وتغيّر في سلوكهم المتجذر.

كل هذا في شخصية سيدنا محمد ﷺ، وكيف لا وقد كان قبل البعثة أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحشاء وأكثرهم تواضعاً، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خلق عظيم}[1].

ولعل كتاب (أفضل مائة رجل في العالم) يعطينا فخراً وعزاً حيث احتل رسولنا الكريم محمد ﷺ المركز الأول، إضافة إلى ذلك فإن تربية الرسول لم تكن تربيته كتربية (جون لوك) أو (جون ديوي) أو (افلاطون) أو غيرهم إنما هي تربية رجل زكى الله عقله قال تعالى: «**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ**»[2][3].

لقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة في التربية وحسن المعشر عندما كان يوصي الناس بحسن الجوار[4].

قال عليه الصلاة والسلام: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوايقه» [5]

---

(1) سورة القلم الآية: (4).

(2) النجم: الآية (2).

(3) ربيع، هادي مشعان: مدخل إلى التربية، ط1، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع (عمان، 2005م، 164 – 193.

(4) علوان: عبد الله ناصح تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط38 (القاهرة، 2002م)، (303).

(5) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ / 859م: صحيح البخاري، المجلد الرابع المطبعة الأميرية الكبرى (مصر 1312هـ)، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه (8/ 10)، (6016).

ومن إشـــعاعات النور في تربية رسول الله ﷺ تأكيده على أهمية التراحم بين الناس ليكون المجتمع مجتمعاً متماســكاً، ولقد جعل رسولنا الكريم رحمة الناس بعضهم بعضاً لرحمة الله إياهم؛ فقد أخرج الترمذي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[1].

واليكم بعض الأمثلة مما تعلمه الصحابة الكرام من تربية الرسول ﷺ في مجال الرحمة:

1 – وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يودع جيش أســامة بن زيد ويوصيهم قائلاً: (لا تقتلــوا امرأة ولا شــيخاً ولا طفلاً، ولا تعقروا نخلاً، ولا تقطعوا شــجرة مثمرة وستجدون رجالاً فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما أفرغوا أنفسهم له...)[2].

2 – يروى عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه كان في الجاهلية معروف بشدته وقسوته على المســلمين.. ولما أسلم فجر الإســلام ينابيع الرحمة في قبله.... كان يرى نفسه مسؤولاً أمام الله عن عثرة بغلة عثرت بأقصى العراق لأنه لم يعبد لها الطريق[3].

لقد استطاع رســول الله ﷺ، ومن خلال تربيته الإسلامية أن يبني مدرسة عقائدية تخرج منها أولئك الرجال العظام الذين ملأوا الدنيا عدلاً فأصبحوا مناراً يهتدى به. ومن الأمثلة على ذلك:

يــوم تولى الخلافة ســيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، جعــل الدولة كلها وهو على رأســها في مكان القدوة حاملــة وحاملاً معها كل ما تلقاه من مســؤوليات وباذلاً كل ما تتطلــب من تضحيات وقبل أن يبــدأ بولاته وقضاته وخزنته بدأ بنفســه بكلمة عظيمة:

(1) أبو داود، ســليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 4 / 285.

(2) الطــبري، محمد بن جرير بن يزيد، (ت 310 هـــ / 911م): تاريخ الطبري، ط2، (بيروت، دار إحياء التراث، 1387هـ)، 3/ 227.

(3) علوان، 2008: 279.

(لست إلا كأحدكم غير إني أثقلكم حملاً)[1].

لقد كان رسول الله يؤكد على تربية الأولاد وهم صغار تربية تعتمد على الموعظة الحسنة والرفق بهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم، قال تعالى: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» [2].

كما وأن الإسلام من خلال إرشادات الرسول الكريم ﷺ أقرّ مبدأ العقوبة واعتبرها من الأساليب الفاعلة في التربية بجميع مستوياتها حين تستعصي النفس البشرية عن الاستقامة بالسبل الإرشادية والعلاجية الأخرى، فلقد أقرّ القرآن الكريم حق الزوج في تأديب زوجته عن النشوز، كما في قوله تعالى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا» [3].

وفي هذه الآية أجاز الله سبحانه وتعالى تأديب الزوجة ومعاقبتها بالضرب بعد وعظها وهجرها، وفي هذه الآية إشارة إلى استخدام العقاب كأسلوب للتأديب وتعديل السلوك كذلك حفلت السنة النبوية الشريفة بالكثير من التوجيهات القولية والفعلية في مجال التاديب والعقاب في حالة استنفاد كل الوسائل التربوية الأخرى لقوله: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [4].

وقوله: (إذا ضرب أحدكم أخاه فليتق الوجه)[5].

(1) خالد، محمد خالد: خلفاء الرسول، مطبعة أوفيست، بغداد، (1986م: 581).

(2) سورة الشعراء: الآية: (215).

(3) النساء: الآية (34).

(4) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (1/ 133)، (495).

(5) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه (4/ 2016)،(2612).

وفي هــذا الحديث لم يمنع رســول الله الضرب ولكن وجّه الوجهــة الصحيحة وكدليل على إقرار العقوبة البدنية في موضوع التربية وأهميتها كان الرســول الكريم يقول: (علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم)[1]، إذ كان عليه الصلاة والسلام يرى في وجود السوط أمام المتعلمين وأمام أهل البيت ضرورة تخوفيه لهم في حالة التقصير والعصيان.

والسؤال الذي يطرح نفسه، متى يستخدم العقاب البدني؟.

أن العقاب البدني إنما يستخدم في الأصل عند الضرورة القصوى، بحيث يكون استخدامه لعرض الطاعة الواجبة وان استعمال الضرب دون الحاجة إليه فإنه اعتداء يخرج عن إطاره التربوي والشرعي، لأن الإســلام عندما أجاز للمعلم معاقبة تلميذه بالضرب إنما يكون ذلك بقصد التأديب وأنه لم يجعل هذا الأمر في مطلق الحرية، وإنما الزمه بجملة من القواعد والشروط التي يجب أن يتقيد بها حينما يعاقب تلميذه المذنب[2].

ويمكن إجمال أبرز هذه الضوابط على النحو الآتي:

أ – مراعاة التدرج:

يقصد به عدم لجوء المربي إلى العقاب البدني مباشرة دون اســتنفاد الخطوات الســابقة له والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1 – النصح والتوجيه والإرشاد:

فإذا صدر من المتعلم خطأ أو إساءة على المربي والمعلم عليهما أن يوجهانه بالنصح والإرشاد قال عليه الصلاة والسلام: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ

(1) الطبراني، أبو القاســم ســليمان بن أحمد بن أيوب (ت 360 هـ): الروض الــداني (المعجم الصغير)، محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط 1، المكتب الإسلامي، دار عمار (بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1985م): 92/ 3.

(2) أبو دف، محمود خليل: مشــكلة العقاب البدني في التعلم المدرسي وعلاجها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي، (غزة) (1999م): 29.

الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1].

وروى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ أي تحت رعايتهـ) وكانت يدي تطيش في الصحفة (أي تتحرك هنا وهناك في القصعة) فقال لي رسول «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[2].

فلقد رأينا أنه عليه الصلاة والسلام أرشد عمر بن أبي سلمة الإرشاد إلى الخطأ بالموعظة الحسنة، والتوجيه المؤثر والمختصر البليغ.

2 – الإرشاد الى الخطأ بالملاطفة:

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ فقال رسول الله للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟، فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحد، فتله رسول الله ﷺ في يده (أي وضع الشراب في يدهـ) وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس[3]. وهذه هي الملاطفة وأسلوب التوجيه.

3 – الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة:

روى البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما): كان الفضل رديف رسول الله فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل رسول الله يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله، أن فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحة، فأحج عنه؟ قال: نعم وذلك في حجة الوداع [4]' فلقد رأيت رسول الله عالج خطأ النظر إلى الأجنبيات بتحويل الوجه إلى الشق الآخر، وقد أثر ذلك في الفضل.

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ (1/ 74)، (55).

(2) صحيح مسلم: كتاب الاشربة، بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا (3/ 1599)، (2022).

(3) صحيح البخاري: كتاب الأشربة، باب: هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر (7/ 111)، (5620).

(4) صحيح البخاري: كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله (2/ 132)، (1513).

4 – الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ:

روى البخاري عن أبي ذر له قال: (إِنِّي سَـابَبْتُ رَجُـلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيـكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْـتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُـوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْـهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»)[1].

فلقد رأيـت انه عالج خطأ أبي ذر حين غير الرجل بسـواده بالتوبيخ والتأنيب، وذلك في قوله: يا أبا ذر (إنك امرؤ فيك جاهلية)، ثم وعظه بما يلائم المقام، وما يناسب التوجيه.

5 – الإرشاد إلى الخطأ بالضرب:

ما ذكرناه سابقا من حديث رسـول الله روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [2].

لقد رأيت أن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسـلام وهو يـأتي بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر وهذا الترتيب يفيد أن العربي لا يجوز له أن يلجأ إلى الرشـد إذا كان ينفع الأخف، ليكون الضرب هو أقسى العقوبات على الإطلاق، ولا يجوز اللجوء إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم والإصلاح[3].

ويمكن أن يمر العقاب البدني (الضرب) بمرحلتين:

المرحلة الأولى:

مرحلة شد الإذن وقد استخدم هذا الأسلوب عليه الصلاة والسلام في حق الغلام الصغير،

(1) البخـاري: كتاب الايمان، باب: المعاصي من أمـر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم 30، 15/ 1.

(2) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (1/ 133) (495).

(3) علوان، 2008: 568.

وذلك في معرض التأديب، والحث عـلى الأمانة، حيث جاء في الحديث النبوي الشريف: عن عبدالله بن بشر الصحابي قال: بعثتني أمي إلى رسول الله ليقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلغه، فلما جئت به، أخذ بأذني وقال يا غدر[1].

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الضرب، حيث لم يجد مع الطفل اسـتخدام الأسـاليب السـابقة، وقد تعذر حمله على إتباع الفضيلة والإقلاع عن الرذيلة بسـبب إصراره وعناده. من كل هذا تبين أن العقاب البدني يمر بثلاث مراحل أساسية:

الأولى: النصح والإرشاد.

الثانية: العقاب البدني من توبيخ ولوم وتخويف معنوي وحسي.

الثالثة: العقاب البدني شد الإذن، الضرب[2].

وبناءً على ما سبق يتوجب على المعلم أن يتحرى التدرج في العقاب مراعياً الموقف الذي هو بصدد معالجته، أخذاً بعين الاعتبار الفروق الفردية بين تلاميذه، حيث خلق الله قال الناس، متفاوتين في الأرزاق والمواقع وذلك يتضح من خلال الهدي القرآني: «**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَـمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَـتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**» [3].

وفي موضـع آخر، أشـار القرآن الكريـم إلى التفاوت بين الناس في مسـتوى الانضباط السـلوكي والالتزام الأخلاقي: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِيـنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ**

(1) البخاري، 5080.

(2) نشواني، عبد المجيد: علم النفس التربوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع (الأردن، 1984م): 130.

(3) الزخرف: الآية (32)

لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ [1].

فالتلاميذ من حيث ظروفهم وخصائصهم النفسية والصحية والمزاجية مختلفون والمعلم إزاء الموقف العقابي يجب أن يدرك جيداً انه لا يتعامل مع نمط واحد من التلاميذ وتؤكد أكثر أراء الباحثين على مبدأ مراعاة الفروق الفردية بين الصبيان المعاقيين فمنهم من تكفيه عبوسة وجه، وآخر لا يرتدع إلا بالكلام الغليظ والتهديد وبعضهم لا ينزجر إلا بالضرب كل على قدر حاله. فمراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ المعاقبين. تتطلب التعامل كل حالة بطريقة خاصة[2].

وتقتضي مراعاة الفروق الفردية – في حالة توقيع العقاب البدني المزيد من الرفق والتلطف مع الإناث نظراً لظروفهن النفسية والعاطفية والجسدية الخاصة وقد أوصى الرسول بمزيد من الرفق في حق الإناث: عن أنس بن مالك قال: أتى النبي على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالقَوَارِيرِ»[3].

ومن خلال اطلاع الباحث على كثير من المراجع والمصادر المتعلقة بهذا الموضوع تبين أن من الشروط الواجب إتباعها في عقوبة الضرب هي:

1 – أن لا يستعمل المعلم الضرب إلا لذنب اقترفه التلميذ.

2 – ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاد جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها حينها تخصص العقوبة البدنية.

2 – أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير مؤلم، وأن يكون الضرب على اليدين أو الرجلين بعصا غير غليظة، وأن تكون الضربات من واحدة

(1) فاطر: 32

(2) شوائي (1987)، (121).

(3) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (8/ 35)، (6149)

إلى ثلاث، إذا كان الولد دون الحلم وإن شـــارف الولد على البلوغ ورأى العربي أن الضربات الثلاث لا تردع، فله أن يزيد حتى العشر[4].

4 – ألا يضرب وهو في حالة غضب شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد.

5 – أن يتجنـــب في الضرب الأماكن المؤدية كالرأس، والوجه والصدر والبطن... لقوله ﷺ: (إذا ضرب أحدكم أخاه فليتق الوجه)[5].

6 – ألا يكون الضرب مبرحاً ولا يترتب عليه مضاعفات كالكسر والحرق وتغيير لون البشرة[6].

7 – إذا كانـــت الهفوة مـــن الولد لأول مرة... فتعطى له الفرصـــة أن ينوب عما الترف ويعتذر عما فعل ويتاح له المجال لتوسط الشـــفعاء ليحولوا – ظاهراً دون العقوبة مـــع أخذ العهد عليه.. حتى لا يعود للخطأ مـــرة ثانية، وهذا أولى من الالتجاء إلى الضرب أو التشهير به أمام الناس.

8 – أن لا يكـــون الضرب من قبل المعلم انتقاصـــاً أو انتقاماً من التلميذ وليكن الهدف ردعه عما ارتكب من تصرف خاطئ.

ومن خلال العرض السابق لضوابط العقاب البدني يتضح الآتي:

تنوع هذه الضوابط وشمولها واتصافها بالعمق والدقة والاعتدال مما يؤكد ضرورة الأخذ بها جميعاً دون إهمال أي منها[7].

– لقد تجســـد في هذه الضوابط، البعد الإنســـاني بقوة، وذلك من خلال تأكيدها على

(4) علوان، 2008: 571.

(5) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه (4/ 2016)، (2612).

(6) اعطير، بسام يوســـف، عبد الواحد، اتجاهات معلمي ومشرفي التربية الإسلامية وأولياء أمور الطلبة نحو العقاب البدني في مدارس فلسطين، (القاهرة، 2003م)، 21.

(7) نشوان، يعقوب حسن الجديد في تعليم العلوم، دار الفرقان، (عمان، 1989م)، (121).

عدم المساس بكرامة الإنســان، وحرصها على مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ المعاقبين.

- إن الهدف الأســاسي لهذه الضوابط هو الحفاظ على ســلامة المتعلم بالدرجة الأولى وجعل تنفيذ العقاب البدني يتم في إطار أنساني[1].

ويــرى الباحث أن على المعلم والمربي أن لا يوغل في الشــدة ولا يقســو في مواطن الرحمة والعفو، قال المتنبي:

إذا أنــت أكرمــت الكريــم ملكتــهُ وإن أنــت أكرمــت اللئيــم تمــردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلي مضر كوضع السيف في موضع الندى
ومــا قتــل الأحــرار كالعفــو عنهم ومن لــك بالحــر الذي يحفــظ اليدا

ولنا في قول الله تعالى حكمة بالغة في عافية قساوة القلوب، قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ»[2].

أن المفكرين والفلاســفة ذوي الشأن التربوي الإســلامي عندما أقروا العقاب البدني في التربية كانوا ينظرون إليه على أنه وسيلة للإرشاد والإصلاح وليس للزجر والانتقام ونادوا باســتخدام الضرب حين يستنفد المعلم وسائل التأديب الأخرى، فهذا (محمد بن سحنون أول من الف في مجال التربية الإسلامية يجيز للمعلم أن يضرب الصبيان إذا أساموا المعاملة أو قــصروا في التعليم. كذلك أجاز (القابسي) العقاب البدني ولكنه يرى التدني في العقوبة من العبوس إلى الضرب على أن تتناسب العقوبة مع المجرم حتى يكون لها مردود تأديبي[3].

(1) أبو دف، 1999: 149 - 158.

(2) سورة الحديد: الآية: (16)

(3) يونس، مجدي: دراســة تحليليــة لآراء المعلمين الأولياء الأمور حول العقــاب في المدارس الابتدائية (الأردن، 2012م). (123).

كذلك ذهب ابن سينا إلى ضرورة استخدام العقاب البدني في تربية الأولاد فتراء يقول: لكي تغتنم الصبي ينبغي أن تجنبه مقابح الأخلاق وينكب عنه معايب الأداة بالترهيب والترغيب والأنباس والأنجاش وبالحمد مرة وبالتوبيخ مرة أخرى، فإن الصاج إلى الاستعانة باليد فلا يحجم عنه وليكن أول الضرب موجعاً قليلاً فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بها بعدها واشتد خوفه منها وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظن الطفل بالباقي فلم يحفل به[1].

وقد حذر ابن حجر (الهيثمي) من الضرب المبرح وهو الذي يخشى منه تلف النفس أو تلف عضو من أعضاء الجسم، وأقر بعدم جواز الضرب المدمي وحذر من الضرب على الوجه والمقاتل، وأكد على ضرورة أن يكون بين الضربتين زمن يخف فيه الألم[2].

وقد ذهب الإمام النووي، إلى أن المكافاة تثبت التعلم وتجعل أهداف التعليم قريبة التحقق بالإضافة إلى أنه كان اقل دعوة في استخدام العقاب في ضبط السلوك ويرى أنه إذا استخدم المعلم العقاب فعليه أخذ الحيطة والحذر بحيث يكون العقاب خفيفاً دون اهانة التلميذ[3].

هذا عن نظرة الإسلام وشريعته السمحاء وما استوحي منها من آراء العلماء والمربين في موضوع العقاب، ويتضح مما مر ذكره أن الإسلام ورسوله الكريم عندما اقرا مبدأ العقاب لم يكن ذلك من فراغ أو بقصد التشهير والانتقاص من شخصية المتعلم وإنما من أجل حفظ النظام العام بها في ذلك حقوق الأفراد في المجتمع وأن تكون هنالك تربية ناصحة وقويمة لذلك قال رب العزة: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الرئيس (ت: 428هـ) رسالة ضمن «مجموع في السياسة»، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد الناشر: مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ط1، 114.

(2) ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت (751هـ/ 1349م): لسان العرب المحيط الجزء الرابع، دار الكتب العلمية (بيروت، 1413هـ)، (292).

(3) النووي، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف (ت 631هـ) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تعليق وتحقيق د. ماهر ياسين الفحل (بغداد، 2007م).

وَلٰكِنَّ اللهَّ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» [1].

علاوة على ذلك فقد توصل أكثر الباحثين إلى مجموعة الأسس والضوابط التي تحكم عملية العقاب البدني وكانت على النحو الآتي:

1 – عنـد معاقبة التلميذ على السـلوك غـير المرغوب فيه يجب تشـجيعه على إصدار اسـتجابة صحيحة أو مرغوب فيها ثم تعزيزه عليها بعد ذلك، وذلك لأن العقاب يفقد قيمته ولا يحقق الهدف التربوي منه إذا لم يؤد إلى حذف استجابة أو إضعافها[2].

2 – ضرورة التفريق بين عقاب ناتج عن فشـل التلميذ في التعليم والعقاب الناتج عن خروج الطفل عن سلوك أخلاقي معين[3].

3 – قـد يكون العقاب إخباريا للتلميذ مثل الألم الـذي يحصل له نتيجة اللعب بالنار، الأخطاء باللون الأحمر في دفتر الواجب وهذا النوع من العقاب أو تصحيح.

أكثر فاعلية لأنه يحدد للطفل الاسـتجابة المرغوب فيها ويمكن تسميته بالتغذية الراجعة هذا ويجب عدم المبالغة في العقاب أو الاسـتمرار في اسـتخدامه في تربية التلميذ حتى لا يؤدي إلى إعاقة التعلم اللاحق الناتج عن زيادة مستوى القلق عند التلميذ[4].

لقد حدد الباحثون في مجال التربية مجموعـة من المفاهيم الخاصة بالعقاب البدني في التربية الحديثة، رأى الباحث أنه من الضروري التطرق إليها وذكرها بشكل موجز وهي:

1 – تحديد السلوك المستهدف: وهو السلوك المراد تقليله، ويجب التأكد من أن الشخص الذي سـيخضع سـلوكه للعقاب يفهم جيداً ما هو متوقع منه وما هو السـلوك

(1) البقرة من الآية: (25)

(2) مرتضى، سلوى: واقع الثواب والعقاب في رياض الأطفال، جامعة دمشق (سوريا، 2001م): 40.

(3) تيج أرتوف: نظريات ومشكلات في سيكولوجيا التعلم، دار ماكر وهيجل، (نيويورك، 1981م): 85.

(4) سلامة، عبد الحافظ محمد: رسائل الاتصال – التكنولوجيا في التعلم، دار الفكر عمان (1996م): 120.

المستهدف قبل البدء بتنفيذ العقاب.

2 – جدول العقاب مهم جداً وخاصة المتواصل، وينصح بمعاقبة السلوك غير المرغوب فيه في كل مرة يحدث فيها وتجنب معاقبته بعض الأحيان فقط.

3 – شدة العقاب: وهو ما يؤثر في العقاب وشدته وكلما زادت شدة العقاب كان أثره في السلوك أكبر، ويعني ذلك عدم استخدام العقاب العنيف، وإنما تجنب زيادة شدته تدريجيا فذلك سيؤدي في النهاية إلى تعود الشخص عليه.

4 – فورية العقاب: وهو من أهم العوامل التي تزيد فاعليته، ويجب معاقبة السلوك غير المرغوب فيه مباشرة، لأن العقاب المباشر يجعل الشخص يقرن السلوك غير المرغوب فيه بالعقاب، ويؤكد له على أن ذلك السلوك لن يحتمل.

5 – استخدام العقاب بهدوء، وهو الابتعاد عن الغض، لأنه يترتب عليه عواقب وخيمة.

6 – استخدام العقاب بطريقة منظمة

7 – تعزيز السلوك المرغوب فيه.

8 – معاقبة السلوك وليس الفرد، ويجب أن لا يكون فيه اعتداء على كرامة الفرد وإلا يحاول الانتقام بشكل مباشر أو غير مباشر.

9 – تهيئة الظروف البيئية المناسبة للعقاب.

10 – استخدام العقاب عند الضرورة فقط.

11 – ينبغي أن يكون الهدف الأساسي من العقاب علاجياً[1].

ويرى الباحث أنه من الضروري تشجيع التلميذ على الأفعال الحسنة واستخدام التعزيز

(1) هيوز، أي جي، التعلم والتعليم مدخل في التربية وعلم النفس، ترجمة: حسن الجيلي، عمادة شؤون المكتبات في جامعة الملك سعود الرياض (2010): 192.

الإيجابي والذي يؤدي إلى تطوير أفعال التلميذ نحو الأفضل وفي حالة عدم الاستجابة من قبل التلميذ يلجأ المربي إلى استخدام العقاب البدني بضوابطه الصحيحة دون أن يترك أثراً سيئاً في نفسية المتعلم.

إن العقوبة الجسـدية أو ما يسمى بالعقوبة (البدنية) لها تأثير في تقويم وتعديل السلوك لا سيما في التربية الإسـلامية ورغم ذلك أن هذه التربية تعمل على تضييق العقاب الجسدي إلى حد تضمن فيه إيصال مفهوم العقوبة أو تحقيق الهدف دون اللجوء إلى سلوك يؤدي إلى الألم والإهانة[1].

وفي عصرنـا الحاضر تتعالى الأصوات من بعض أولياء أمـور التلاميذ وتقف بالضد من اسـتخدام العقوبة البدنية، رغم مـرور زمن طويل على اسـتخدامها ووقوف الكثير من المؤيدين لها مع هذه العقوبة. وقد كثرت شكاوى المعلمين في العقود الأخيرة من انخفاض مسـتوى ما يلاقونه من تقدير واحترام ومن ثم تدني مسـتوى مكانتهم في نفوس طلابهم وبالتالي تنخفض هيبة المدرسة[2].

ويوعز الكثير من المعلمين الأسـباب التي أدت إلى تدني المسـتوى التربوي والتعليمي إلى منـع العقاب البـدني في كثير من المدارس، بينما يذهب البعـض منهم إلى أن ما يحدث من ضعف في العملية التربوية إلى ضعف شـخصية المعلم بحيث يكون تعامله باللين أكثر من الحدود الواجبة إتباعها ويزداد الأمر سـوءاً عندما يهمل أو يتغاضى المعلمون عن كثير من التصرفات غير المرغوب بها، بحجة الرفق والإنسـانية بينما يعتقد البعض من المعلمين أن قوة الشخصية إنما ترتبط بالشدة المفرطة والعبوس بوجه التلاميذ والتعسف والجور ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فهو المعلم الأول والمربي الناجح فقد كان يحسن إلى البر والفاجر ولذلك قال فيه رب العزة: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا

(1) زهران، حامد عبد السلام: علم نفس النمو، طه، دار الكتب العلمية (القاهرة، 2008): 70.

(2) الزهراني، مريم سعيد: العقاب البدنى وصفات العقوبة، بيروت، (2008م)، (6).

مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ[1].

ومما تقدم يرى الباحث أن اغلب الدراسات والآراء التي مرت تخلص منها الآتي:

1 – أن العقوبة البدنية وقاية لمن تسول له نفسه بارتكاب الأخطاء، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، والعقوبة تعزز فكرة التحرز عن الإبداء والاتعاظ بفعل الغير قال رسول الله: السعيد من وعظ بغيره)[2]

2 – لا يجوز أن تمتد العقوبة فتحول إلى إهانة للطفل وإهدار لكرامته[3]

3 – كلما زاد العقاب البدني على التلميذ، زاد السلوك العدواني.

4 – التلميذ أو الطفل الذي يعامل وبصورة دائمية بعنف وقسوة، سوف يرسخ به أسلوب القساوة في التعامل.

5 – إذا تم معاقبة التلميذ من قبل المعلم أو العربي عليهما أن يلتزما الهدوء لكي لا يتحول الموضوع إلى تشفي والى لغة وعيد وتهديد.

6 – أن العقاب البدني يؤدي إلى نتائج سلبية إذ لم يستخدم في إطاره التربوي الصحيح[4].

وقد تبين فيما سبق أن العقاب البدني، إنما يكون في مجال التأديب وفي إطار ذلك يمكن أن تحدد الأهداف المرجوة من استخدامه وعلى النحو الآتي:

---

(1) (سورة آل عمران الآية: 159)

(2) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (4/ 2037)، (2645).

(3) زهران، 2008، 71.

(4) أبو دف، 10:1999.

1 – إصلاح المتعلم:

فالعقوبة وسيلة لإصلاح المتعلم وعقوبة الضرب: إنما جازت للصبي لظن أنها تفيد الإصلاح، فإذا كان الضرر يتأتى منها التفت وفي هذا قال الغزالي: على المعلم أن لا يتردد في توقيع العقوبة على الطفل بشرط أن يؤدي ذلك إلى الإصلاح والتهذيب) وذهب (علوان) إلى أن العقاب البدني وسيلة لزجر الولد وكفه عن سوء الأخلاق بحيث يكون عنده من الحساسية والشعور، ما يروعه عن الاسترسال في الشهوات وارتكاب المحرمات واقتراف الموبقات[1].

2 – المحافظة على نظام المدارس:

فالمدرسة عبارة عن مجتمع صغير، له نظامه وعاداته وتقاليده التربوية والتي توجب توقيع العقاب على من يخالف هذه النظم بغض النظر عن نوع هذا العقاب حتى تتمكن المدرسة من فرض النظام – حماية الأخرين في المجتمع:

فالله وضع لعباده العقوبات حفاظاً على أرواحهم وإعراضهم ودينهم وممتلكاتهم وفي ذلك قال تعالى في محكم كتابه العزيز: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[2].

ويرى الباحث أن للعقاب أهدافا على مستوى الفرد والمجتمع وهذه الأهداف متكاملة، ذلك لأن صلاح الفرد يعني صلاح المجتمع كما أن أمن المجتمع لا يتحقق إلا بحماية أفراده، وإذا ما غابت الأنظمة والقوانين التي تحكم سلوك الفرد صار المجتمع الإنساني مجتمعاً يسوده قانون الغاب. وبعد أن تم الحديث عن الأهداف التي يرجى تحقيقها من وراء استخدام العقوبة البدنية في مجال التربية، يرى الباحث أنه من الضروري الحديث عن المبادئ التي يرتكز عليها استخدام العقاب البدني في المدرسة.

(1) علوان، 2008، 531.

(2) البقرة: الآية: (179).

المبدأ الأول: النظرة الايجابية إلى الطبيعة الإنسانية:

لقد ذهبت بعض الفلسفات إلى اعتبار الإنسان شريرا بطبيعته وإن الشر جزء من تكوينه النفسي وبه يندفع إلى العدوان والانحراف موقد عبر عن هذه النظرة بعض رجال الدين المسيحي الذين اعتقدوا بخطيئة الإنسان التي ورثها عن آدم. أما التربية الإسلامية فقد نظرت إلى الطبيعة البشرية على أنها محكومة بنزعات طائشة تشرد بها عن السبيل السوي. قال تعالى: «وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ»[1] وهناك نزعات أخرى خيرة تهدي الإنسان إلى سواء السبيل وتنهاها عن ارتكاب المعاصي، قال تعالى: «وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ»[2].

فالإسلام نظر إلى طبيعة الطفل، نظرة ايجابية معتدلة، فهي ليست بالخير المحض ولا بالشر المطلق قال تعالى: «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» [3].

فالطبيعة الإنسانية قابلة للتشكيل بفعل عوامل التربية وهذا يتضح من خلال التوجيه النبوي الشريف: «مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تَنْتِجُونَ الْإِبِلَ، فَهَلْ تَجِدُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ صَغِيرًا؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[4].

المبدأ الثاني: التأديب عملية أساسية في التربية الإسلامية

وهذا ما تميزت به التربية الإسلامية عن سائر الفلسفات التربوية الأخرى. فهي في المقام الأول، تأديب وتهذيب وهذا هو سر ديمومة التربية الاسلامية وسر تأثير الاسلام وانتشاره

(1) سورة يوسف: الآية (53).

(2) سورة القيامة: الآية (2).

(3) سورة العاديات الآية: (8).

(4) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (4/ 2048)، (2658).

في بقاع الأرض وهو اصل بناء الحضارة الإسلامية عبر التاريخ[1].

المبدأ الثالث: الجمع بين الضبط الداخلي والخارجي لدى المتعلم:

من المؤكد يقيناً أن الولد إذا ارتبط وهو في سن البلوغ والتمييز بروابط عقائدية، وروحية وفكرية وتاريخية واجتماعية، فسوف ينشأ شاباً يافعاً، إلى أن يصبح رجلاً، ثم ينحدر كهلاً وهو في داخله ضبطاً خلقياً كبيراً.

وكدليل على اهتمام الرسول ﷺ بالتربية والمربين حين سئل عليه الصلاة والسلام عن البر والألم قال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[2]

أما الضبط الخارجي فهو العقاب البدني والذي ورد في كثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد على استخدام العقوبة البدنية في حالة مخالفة الفرد لقواعد التربية الصالحة وارتكابه للمعاصي التي نهى الشارع عنها قال تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». [3]

المبدأ الرابع: الجمع بين الثواب والعقاب في العملية التربوية:

ونعني بذلك أن يكون الثواب والعقاب في إطار التوجيه التربوي والإسلامي من خلال الجمع بين الترغيب والترهيب. فهما يتلازمان يكمل بعضهما الآخر: (أن الترغيب أو الثواب معناه الأمل والرجاء في نعمه تعالى، فكلما عملت النفس عملاً خيراً، كان على المربي أن يتبين ثمراته اليانعة[4]

وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: من صنع إليه معروفاً فقال لفاعله: جزاك الله خيراً

(1) علوان، 2008: 572.

(2) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ (4/ 1980)، (2553).

(3) سورة المائدة: الآية: 38.

(4) أبو دف، 1999، (12).

فقد أبلغ في الثناء)[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[2].

وقد أكد الإمام الغزالي ذلك بقوله: مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس[3].

المبدأ الخامس: الجمع بين العفو والعقاب البدني العفو:

هو شعور نفسي نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدي ظالماً وجائراً بشرط أن يكون المعتدى عليه قادراً على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين ومقدسات الإسلام، وإلا كان العفو ذلة ومهانة واستسلاماً وخضوعاً والعفو بهذا المعنى وبهذه الشروط شيمة خلقية أصيلة تدل على إيمان راسخ وأدب إسلامي رفيع[4]

ولا عجب إذ نرى القرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله: «وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [5]. وقوله تعالى: «الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

(1) الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (279هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت البنان د.ت)، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه (4/ 380)، (2035)، وقال ابو عيسى: «هذا حديث حسن جيد غريب».

(2) سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (2/ 128)، (1672).

(3) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ / 1106 م): إحياء علوم الدين، تقديم: بدوي طبانة، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة: 1985م): 213.

(4) علوان، 2008: 282

(5) البقرة: من الآية: (237).

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».[1]

أما كيف يكون الجمع بين العفو والعقاب البدني، من خلال توسط احد الشفعاء بعد التهديد والوعيد بإيقاع العقوبة وهذا ما يترك الأثر المطلوب في نفس المتعلم و من المؤكد إننا بشر لا نشبه الآلات في شيء لا تعمل بضغط على زر بل لنا طبيعة خاصة وكل البشر ما هم إلا مجموعة من الأحاسيس والمشاعر وطلابنا بشر لهم من المشاعر والأحاسيس قد تفوقنا أحياناً فهم في مرحلة من مراحل النمو تحتاج منا كل الاهتمام والرعاية.[2]

ولذلك ذهب البعض إلى أنه من الضروري إيجاد بدائل للعقاب البدني وهي:

1 – تكليف الطالب المشاغب بإعمال تخص الصف لإشعاره بقيمته والرفع من مكانته؛ لأن تصرف الطالب المشاغب إنما يقوم بهذه الأعمال المخالفة للأنظمة والقوانين بقصد جذب انتباه الآخرين إليه.

2 – يقوم المعلم بتعليم الطالب أو التلميذ السلوك المرغوب فيه ومكافاته عليه وشكره.

2 – حرمان التلميذ ولو لوقت قليل من أشياء يرغبها مثل المشاركة بالأنشطة الرياضية أو الزيارات.

3 – استخدام لوحة الشرف للتلاميذ المثاليين.

5 – الصبر والتدرج في العقاب حسب تعليم الانضباط المدرسي.

6 – التشجيع والثناء للمجتهدين والمنضبطين.

7 – التركيز على دور المرشد التربوي وتزويد المدارس بالكتب الإرشادية.

(1) آل عمران الآية: (134).

(2) ياسين وليد: بدائل العقاب البدني رسالة ماجستير (غير منشورة)، (بغداد، 2009م)، 1.

8 – إعداد المعلم المتفاعل مع مهنته.

9 – الإشـــباع: يعتمد أســـلوب الإشـــباع على تقديم المعززات المرتبطة بالسلوك المراد تعديله بطريقة متواصلة لفترة زمنية محددة إلى أن يتم الكف عن ممارســـة الســـلوك غير الصحيح[1].

10 – القدوة الحســـنة: وهي إســـتراتيجية نبوية قائمة على تقديـــم النموذج الأمثل في السلوك، فالتعليم بالقدوة أنجح والرسول ﷺ كان يعلم أصحابه بالقدوة: (صلوا كما رأيتموني أصلي).[2].

وفي القدوة الحســـنة ممكن أن يقوم المعلم بالتقاط ورقة من على الأرض ويضعها في ســـلة المهملات ليبعث في نفـــوس طلابه اتجاه المحافظة على نظافة الصـــف. ويرى الباحث أن هنالك اثراً كبيراً وواضـــح المعالم للعقاب البدني من حيث الانعكاســـات التربوية والتي أكدت عليها الدراسات السابقة فقد ذهب (تيج) إلى أن العقاب لا يؤدي إلى إزالة السلوك المعاقب عليه وإنما إلى كبت هذا الســـلوك إضافة إلى أنه لا يحدد للطفل أو المتعلم أن يفعله كبديل للســـلوك المعاقب عليه الذي يمكـــن أن يعود للظهور وبشـــكل لقوى بعد زوال العقاب[3].

كما وقد يـــؤدي العقاب البدني إلى ظهور الحركات والأزمات العصبية (رمش العين قضم الأظافر) والتي يسببها الضرب[4].

(1) عايش 2008، 2.

(2) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان للمســـافر، إذا كانوا جماعـــة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة (1/ 128)، (631).

(3) تيج أرتوف: 1981م: 65.

(4) زيغور، علي: التربية وعلم نفس الولد في الـــذات العرابية، دار الأندلس زين الدين أحمد: العقاب في مدارس دمشق الابتدائية، كلية التربية، جامعة دمشق (بيروت، 1985)، (66).

وذهب البعض إلى أن العقاب البدني بأسلوبه القسري ينشر بذور السلوك العدواني في المجتمع وأن الطفل الذي يتربى بأسلوب يميل إلى القسوة فإنه من المحتمل أن يستخدم نفس الطريقة مع أبنائه مستقبلاً.

وذهب الباحث إلى أن التربية رسالة إنسانية وعملية ذات أبعاد تفاعلية بين المعلم وتلاميذه وأن يكون المعلم قدوة حسنة يرى فيه المتعلمون صورة المعلم المثالي في التصرف والسلوك والهندام والقيم والمثل العليا فيؤثر في سلوكهم واتجاهاتهم وميولاتهم بل يؤثر في صور مستقبلهم كبناة لمجتمعاتهم يتفاخر بهم أهلوهم وذووهم قال تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (1)

ومن الضروري أن نحيط أنفسنا علماً أن لا نعتمد وسيلة واحدة لمعاملة جميع التلاميذ أو الأطفال، فالتربية الصحيحة هي تلك التي تراعي الفروق بين التلاميذ ونأخذ بنظر الاعتبار الظروف الخاصة والعامة التي تحيط بالمتعلمين وأعداد خطة تربوية تصحح مسار الأخطاء والزلات التي تصدر من المتعلمين، فمن رأى من مستعلم أو تلميذ جواباً صحيحاً أو قدم سلوكاً صحيحاً فعلى المعلم أو المربي أن لا يخفي إعجابه وشكره وثنائه بل يشجع على المزيد من هذه التصرفات جميع.

كما يرى الباحث أنه من الضروري أن يوسع المعلم نطاق الثواب، عن أبي هريرة قال: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»(2).

وقد ثبتت التجارب أن أسلوب الثناء والشكر أقوى من أسلوب العقاب فالإنسان يفقد وبسرعة المعلومات التي حصل عليها عن طريق القسر أو العقوبة ويحتفظ ولسنوات بالمعلومات التي حصل عليها باللين والخبرات الممتعة، وهذا لا يعني أن لا يصبر المتعلم

(1) سورة الأحزاب: الآية: (21).

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب (1/ 118)

على نفرات المعلم فقد ذهب الإمام الشـــافعي إلى القول مشجعاً على الصبر في العلم حيث قال:

تصير على مر الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نفراتـه

ومهما كانت أخطـــاء المتعلم وزلاته فيجب أن يحتفظ المتعلم بكرامته في البيت والمدرســـة والمجتمـــع وأن تكون عقوبة ذات نتائج ايجابية وتربوية وقد أمرنا رب العزة بالمحافظة على كرامة الإنســـان حيث قال: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُـــمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلً»[1].

وقد ينتـــج عن العقاب البدني المبرح وغير المشروط بضوابط شرعية وتربوية آثار نفســـية واجتماعية وجســـدية وفكرية وعندما قال عليه الصلاة والسلام: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [2].

فإن من الصعب أن يصل الطفل إلى العاشرة من عمره وهو لا يصلي وقد استفدت معه كل الوســـائل التربوية والتوجيهية صار لزاماً على ولي أمره أن يضربه ولكن بالضوابط التي ذكرت. ســـابقاً، لذا يرى الباحث أن السلوك الإنساني فعل مكتسب وهو تحصيل حاصل من ظروف بيئية أو اجتماعية أو أسرية أو مادية على المعلم أن يتحمل مسؤوليته الأخلاقيـــة في الإصـــلاح لأنه يحمل هدفاً تربوياً اســـمى مـــن كل الأخطاء والزلات والشطط.

من كل ما مر يرى الباحث إن من الضروري ذكر أراء المؤيدين للعقاب البدني والرافضين له وعلى النحو الآتي:

يرى المؤيدون لاســـتخدام العقاب البدني في المدارس الابتدائية أنه طريقة فعالة ومجدية

(1) الإسراء: الآية (70).

(2) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (1/ 133) (495).

ومباشرة في تعديل سلوك التلاميذ وحفظ النظام وتأكيداً لذلك فإن العقاب سيظل ملازماً للتعليم، فقد وجدت دراسة نسبت إلى بعض المعلمين والأباء والتي يرون فيها أن تحريم العقاب في المدارس قد الحق الضرر الكبير بالعملية التربوية والتعليمية، مما أدى إلى ازدياد المشاكل السلوكية وكانت النتيجة تدهور مستوى التعليم وانخفاض الناتج التربوي[1].

وقد جاءت دراسة أخرى مؤيدة لاستخدام العقاب والتي أوضحت بدورها أن نسبة كبيرة من أولياء أمور التلاميذ يعتبرون العقاب شرطاً ضرورياً لحفظ النظام[2].

كما أظهرت دراسة شاملة بخصوص ذلك أن أغلب أولياء الأمور يوافقون على استخدام العقاب البدني بينما عارض البعض الآخر[3].

وأشارت دراسة أخرى تؤكد على الشأن نفسه بأن استخدام العقاب البدني له تأثير إيجابي على قمع السلوك غير المرغوب فيه وأحداث الأثر المطلوب من التعلم ومنع الأذى عن الآخرين وضبط الطلاب غير المنضبط[4]

بعض الدراسات الرافضة للعقاب البدني

ظهر فريق من المعارضين لاستخدام العقاب البدني موقد عارضوا استخدامه نهائياً، وقد

(1) عبد المولى صابر مجازي: العدوان والعقاب البدني، دراسة لدى بعض الشباب العماني، مجلة البحث في التربية وعلم النفس (مصر،1993م): 1.

(2) لطفي طلعت إبراهيم، الجزائيات وأثرها في حفظ النظام الاجتماعي العام داخل الجامعة الدراسة ميدانية على عينة من طلاب الجامعة، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود المجلد 12 العدد الثاني (الرياض، 1405هـ/ 1985م)، 489.

(3) الشويعر، قماشة محمد: ممارسة العقاب في مؤسسات رياض الأطفال الحكومية والأهلية – دراسة ميدانية في مدينة الرياض، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الملك سعود (الرياض، 1993م) (35).

(4) الحارثي، زايد بن عجير: اتجاهات المعلمين وأولياء الأمور في مدينة مكة المكرمة نحو العقاب البدني في المدارس وعلاقته ببعض المتغيرات، حولية كلية التربية جامعة قطر، العدد 1، السنة العاشرة، (قطر، 1411هـ)، (13).

استند رأي هؤلاء الرافضين لاستخدام العقاب إلى الآثار السلبية التي يمكن أن ينجم عن العقاب أو سوء استخدام العقاب في المدارس أو اعتقادهم بان العقاب أسلوب غير فعال في تعديل السلوك، وبرز على رأس هؤلاء الرافضين الزرقاني الذي يرى أن العقاب البدني قد يكون له مخاطر على الصحة النفسية والجسمية للتلميذ مما يدفع التلميذ للهروب من المدرسة أو يكره المادة فيتخلف عنها، كما أن العقاب يمزق الصلة بين التلميذ والمعلم وبالتالي يفشل المعلم في العملية التعليمية[1].

وأشار الهاجري إلى أن العقاب يؤدي إلى تكوين السلوكيات العدوانية ويقلل الثقة في الذات عند التلاميذ كما انه يدفعه إلى تحاشي البيانات التي يحصل فيها العقاب عن طريق التغيب عن المدرسة وعدم المشاركة في الأنشطة المدرسية[2].

العقاب البدني في الصفوف الأولية:

يرى الباحث أنه من الضروري التحدث إلى موضوع العقاب البدني في الصفوف الأولية للمرحلة الابتدائية وأعني بذلك الصف الأول الابتدائي والثاني والثالث ولقد لوحظ من خلال متابعة المعلمين والمربين والمشرفين وكذلك أولياء الأمور أن العقاب البدني يخلق علامات من الاستفهام يجب الوقوف عندها والاستفادة منها، خاصة وان طفل اليوم يختلف كثيراً عن طفل الأمس إذ أصبح طفل اليوم مدللاً عند والديه ويتعامل مع التقنيات الحديثة وصار يطلع على كثير من مجالات المعرفة والانفتاح قبل دخوله إلى المدرسة. علاوة على ذلك أن الطفل ينتقل من عالم مليء بالدلال والاهتمام الأسري إلى عالم جديد لم يألفه بعد خاصة في الأسابيع الأولى من عمر المدرسة ويصطدم مع حالة من الانضباط الذي

(1) الزرقاني عبد ربه الرسول: نحو رؤية إسلامية للسلوك الإسلامي في المدرسة، مجلة لواء الإسلام، العدد الثالث والرابع (مصر، 1403هـ)، (66).

(2) الهاجري، عبد الله: دراسة تحليلية لآراء الطلاب والطالبات في أساليب ضبط السلوك الطلابي المتبعة في مدارس الكويت، المجلد التربوي، العدد 27، جامعة الكويت، الكويت، 1993م: 180.

لم يعرفــه داخل أسرته من هنا تبرز الحاجة إلى ضرورة أن يكســب المعلم ثقة ضيفه الجديد بأسلوب تربوي يحتوي فيه كل ما يدور في مخيلة هذا التلميذ الجديد وكذلك من الضروري الابتعاد عن مسألة العنف في تعامله مع التلميذ، وتجنب العقوبة البدنية قدر المستطاع الأن المعلم الذي يتعامل بأســلوب العقوبة مع هذه الأعمار يثبت على نفســه أنه فقد السيطرة عليهم.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1 – معرفة آراء معلمي التربية الإسلامية بخصوص استخدام العقاب البدني في التربية.

2 – معرفة آراء أولياء أمور التلاميذ بخصوص استخدام العقاب البدني في التربية.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والســلام على مَن أرسله ربّه تعالى هداية ورحمة، الحمد لله الذي جعلنا من أمّة الحبيب المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم)، أما بعد:

فلابدّ أنْ نذكّر أنفسنا ونذكّر غيرنا من أنَّ القرآن الكريم وسُنّة الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) فيها خير الهداية وخير التربية، وأنّهما دستور الحياة المتكامل، ولذلك علينا أنْ ننهلَ من هذا الدســتور العظيم وأساليبه التربوية العظيمة كي نعمّر أنفسنا ونسعى جاهدين أنْ نربّي هذا الجيل تربيةً نصوحةً.

أهم النتائج:

إن اللجــوء إلى العقاب البدني في الصفوف الأولى من قبل المعلم ســوف يخلقُ وضعاً عند الطفل سوف تجد أن هذا الطفل تســيطر عليه المخاوف حتى من نفسياً مضطرباً. الإشارة التي تصدر من المعلم بشــكل عفوي أو تعليمي، وتبقى الانعكاســات النفســية مسايرة للطفل مع تقدم المراحل الدراسية وقد تفضي إلى حدوث عزوف كبير في كثير من المدارس

الابتدائية، مع السنوات الأولى من عمر التلميذ لن يعجز المعلم عن إيجاد أساليب تربوية مشوقة للتلميذ مع طابع الرفقة والرأفة مع تلاميذه ومنحهم الثقة بأنفسهم من خلال التعامل معهم بأنهم رجال مع المرشد المدرس وأولياء الأمور كل هذا يجعل المعلم يبتعد عن استخدام العقاب البدني شكراً حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[1].

(1) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (4/ 2004)، (2594).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الرئيس (ت: 428هـ) رسالة ضمن «مجموع في السياسة»، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد الناشر: مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ط1.
2. ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت:751هـ/ 1349م): لسان العرب المحيط الجزء الرابع، دار الكتب العلمية (بيروت، 1413هـ)
3. أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
4. أبو دف، محمود خليل: مشكلة العقاب البدني في التعلم المدرسي وعلاجها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي، (غزة)، (1999م).
5. اعطير، بسام يوسف، عبد الواحد، اتجاهات معلمي ومشرفي التربية الإسلامية وأولياء أمور الطلبة نحو العقاب البدني في مدارس فلسطين، (القاهرة، 2003م).
6. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/ 859م: صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
7. الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت279هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت البنان د.ت)
8. تيج أرتوف: نظريات ومشكلات في سيكولوجيا التعلم، دار ماكر وهيجل، (نيويورك، 1981م.
9. جرادات، عزت وصادق إبراهيم عودة: العلم والتكنولوجيا والتنمية في الأخطاء الإسلامية، ط1، مطابع الدستور، عمان الأردن، 1402هـ/ 1982م).
10. الحارثي، زايد بن عجير: اتجاهات المعلمين وأولياء الأمور في مدينة مكة المكرمة نحو العقاب البدني في المدارس وعلاقته ببعض المتغيرات، حولية كلية التربية جامعة قطر، العدد1، السنة العاشرة، (قطر، 1411هـ)
11. خالد، محمد خالد: خلفاء الرسول، مطبعة أوفيست، بغداد، (1986م).
12. ربيع، هادي مشعان: مدخل إلى التربية، ط1، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع (عمان، 2005م).
13. الزرقاني عبد ربه الرسول: نحو رؤية إسلامية للسلوك الإسلامي في المدرسة، مجلة لواء الإسلام، العدد الثالث والرابع (مصر، 1403هـ).

14. زهران، حامد عبد السلام: علم نفس النمو، طه، دار الكتب العلمية (القاهرة، 2008)

15. الزهراني، مريم سعيد: العقاب البدنى وصفات العقوبة، بيروت، (2008م)

16. زيغـــور، علي: التربية وعلم نفس الولد في الذات العرابية، دار الأندلس زين الدين أحمد: العقاب في مدارس دمشق الابتدائية، كلية التربية، جامعة دمشق (بيروت، 1985م).

17. سلامة، عبد الحافظ محمد: رسائل الاتصال – التكنولوجيا في التعلم، دار الفكر عمان (1996م).

18. الشويعر، قماشة محمد: ممارسة العقاب في مؤسسات رياض الأطفال الحكومية والأهلية – دراسة ميدانية في مدينة الرياض، رســـالة ماجســـتير (غير منشـــورة)، كلية التربية، جامعة الملك سعود (الرياض، 1993م).

19. الطبراني، أبو القاســـم سليمان بن احمد بن أيوب (ت 360 هـ): الروض الداني (المعجم الصغير)، محمد شـــكور محمود الحاج أمرير، ط 1، المكتب الإسلامي، دار عمار (بيروت، لبنان، 1405هـ / 1985م).

20. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (ت 310 هـ / 911م): تاريخ الطبري، ط2، (بيروت، دار إحياء التراث، 1387هـ).

21. عبـــد المولى صابر مجازي: العدوان والعقاب البدني، دراســـة لدى بعض الشـــباب العماني، مجلة البحث في التربية وعلم النفس (مصر،1993م).

22. عبدالله، عبد الرحمن صالح أســـاليب التدريس والتقويم في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، (القاهرة، 2002م).

23. علوان: عبد الله ناصح تربية الأولاد في الإســـلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط38، (القاهرة، 2002م).

24. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ / 1106م): إحياء علوم الدين، تقديم: بدوي طبانة، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة: 1985م).

25. لطفي طلعت إبراهيم، الجزائيات وأثرها في حفظ النظام الاجتماعي العام داخل الجامعة الدراسة ميدانية على عينة من طـــلاب الجامعة، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك ســـعود المجلد 12 العدد الثاني (الرياض، 1405هـ / 1985م).

26. مرتضى، سلوى: واقع الثواب والعقاب في رياض الأطفال، جامعة دمشق (سوريا، 2001م).

27. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261هـ / 874م): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ت.

28. الميـــداني، محمود عصام التربية البيئية والتلوث البيئـــي مطرق تدريس موضوعات البيئة في ضوء

نظريات التعلم، مجلة التربية، العدد (102)، (القاهرة، 2003م).

29. نشوان، يعقوب حسن الجديد في تعليم العلوم، دار الفرقان، (عمان، 1989م).

30. نشواني، عبد المجيد: علم النفس التربوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع (الأردن، 1984م).

31. النووي، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف ت 631ه، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تعليق وتحقيق د. ماهر ياسين الفحل (بغداد، 2007م).

32. الهاجري، عبد الله: دراسة تحليلية لآراء الطلاب والطالبات في أساليب ضبط السلوك الطلابي المتبعة في مدارس الكويت، المجلد التربوي، العدد 27، جامعة الكويت، الكويت، 1993م.

33. هيوز، أي جي، التعلم والتعليم مدخل في التربية وعلم النفس، ترجمة: حسن الجيلي، عمادة شؤون المكتبات في جامعة الملك سعود الرياض (2010م).

34. ياسين وليد: بدائل العقاب البدني رسالة ماجستير (غير منشورة) (بغداد، 2009م).

35. يونس، مجدي: دراسة تحليلية لآراء المعلمين الأولياء الأمور حول العقاب في المدارس الابتدائية (الأردن، 2012م).

دلائل الإعجاز التربوي
لآيات الحج في القرآن الكريم

سعد عوّاد بردي الحلبوسي(*) - أبوبكر عزيز سعد آل غازي الرفاعي العاني(**)

الملخص باللغة العربية

هدفت هذه الدراسة للتعرف على الإعجاز التربوي في آيات الحج في القرأن الكريم، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي وتكونت هذه الدراسة من فصلين مكون كل فصل من مبحثين حيث تناولت الدراسة الحصول على المعاني الإعجازية من التعرف على أيات الله الخاصة بالحج وشعائره ومراحله والوقوف على النقاط المهمة فيه، فقد جاءت فريضة الحج تحيي في نفس الإنسان مشاعر كثيرة، فهي تحيي فيه مشاعر العطف على المسلمين والانتصار لمأساتهم، ومشاعر الجيل الإسلامي الأول، الذي عاش هنا، وحياة الاضطهاد من أجل العقيدة التي عاناها، ومشاعر الولاء الله و لرسوله والمؤمنين، ومشاعر التوجه الخالص الله، ومشاعر التجرد عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، ومشاعر العزم على فتح صفحة جديدة مع االله، **وكانت أهم نتائج الدراسة وهي** أن مناسك الحج تعد ميداناً لصدق النظرية الإسلامية بقسميها الإلهي والتربوى، وعليه فإنه يعد الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ورمي الجمار، وكانت أهم التوصيات للدراسة ضرورة العمل على نشر الفتاوى الشرعية لتوعية وشرح الأهمية التربوية التي تعود على الحجاج لأهم مقاصد الحج ومنها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية.

الكلمات الدلالية: الإعجاز، التربية القرآنية، الحج، الإعجاز التربوي.

(*) طالب دكتوراه في كلية الآداب / جامعة الجنان – تخصص: التفسير وعلوم القرآن.

(**) طالب دكتوراه في كلية الآداب والعلوم الانسانية / جامعة الجنان – تخصص: التفسير وعلوم القرآن.

Abstract

This study aimed to identify the educational miracle in the verses of hajj in the Holy Qur›an. The study used the inductive and analytical approach and consisted of two chapters consisting of each chapter of two researches where the study dealt with obtaining the miraculous meanings of recognizing God›s verses of hajj and its rituals and stages and identifying the important points in it. Who lived here, the life of persecution for the faith he suffered, the feelings of loyalty to God and his Messenger and believers, the feelings of pure orientation of God, the feelings of abstraction from the world, the turnout of the hereafter, and the feelings of determination to open a new page with God and the most important results of the study were That the rituals of hajj are a field for the sincerity of Islamic theory in its divine and educational sections, and therefore it prepares the haram, the tawaf, the quest, standing in Arafa, and throwing al - Jammar, and the most important recommendations of the study were the need to work on the dissemination of legitimate fatwas to raise awareness and explain the educational importance Which belongs to pilgrims for the most important purposes of hajj, including political, economic, social and educational.

Key words: miracles, Qur'anic education, hajj, educational miracles.

– المقدمة:

الحمد الله الــذي وهب البشرية نعمة القرآن، فكان سراجاً منيراً، يضيء لهـــا الطريـــق، لينقـذها مـن متاهات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وهذا يتجلى في خضم التطور العلمي، وعظمة الإعجاز التـــشريعي وســـموه، أما بعد: لقد اختصت الأيـــات القرآنية التربوية عـــلى جملة من المواضيع، منهـــا ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلـــق بالأخلاق وغيرها من القضايا التربوية، ومن هذا المنطلق جاء موضوع الدراســـة الإعجاز التربوي لآيات الحج

التـــي ذكرت في القرأن الكريم، وما تحتويه من مفاهيـــم تربوية، فإن القرآن الكريم معجز بألفاظه وتراكيبه وبيانه وتناسق عباراته، وكذلك معجز بتـــشريعاته الخالـــدة التي أنزلها االله للناس جميعاً من أجل إرســـاء قواعد الأمن والطمأنينـــة في نفوس البشرية. لابد لكل تشريع من دعائم يقوم عليها، وتســـاعد على بقائه ودوامه بـــين الناس، والتشريع القرآني بحمـــد االله له دعائمه الثابتة وخصائصه التي تجعل البشرية تنقاد إليه عن قناعة وثقة؛ لأنه يتفق مع الفطرة البشرية، ويســـاير مصالح الناس، ونظـــراً لكون الحج هو الركن الخامس من أركان الإســـلام، لذلك كان من الأهمية بمكان توضيح هـــذه الشعيرة وفق ما ذكرها القرآن الكريم، ووضحها رســـولنا الكريم صلى االله عليه وسلم وإن التربية المتعلقة بالحج قضية مهمة في الواقع الإنساني؛ حيث إنها تعالج قضية عملية عباديـة ولما كان الأمر كذلك جاءت معظم أحكامه الأساســـية في ثنايا القرآن الكريم، وقامت السنة بالبيان والتفصيل، وهذا يشعر باهتمام التربية الإسلامية بالحج.

مشكلة الدراسة:

تناول القرآن الكريم مواعظاً جمة وســـاهم في قصصه الإعجازية لتوضيح أركان وأســـس للتعامل بين الناس في أرضه، فقد فرض الله تعالى أركانه، وعليه تمثلت مشكلة الدراسة أو الأسباب التي دعت للدراسة وهي حسب الآتي:

1 – بيان أصالة المفاهيم القرآنية لآيات الحج والاستفادة من القرآن في تأصيل الأحكام الـشرعية التربوية منها، وبيـان التوجيـه القرآني للبشرية.

2 – بيان مقاصد الشريعـــة وغايتها؛ والعبر من الركائز التربويـــة منها وذلك بتحقيق صلاح الإنسان، ودفع الفساد عنه في الـدنيا والآخـرة، ورفع الحرج عنه.

3 – بيان أسرار الإعجاز القرآني التربوى للحج ومعانيه لدى المسلمين.

4 – إثراء المكتبة الإسلامية بتأليف رسالة في هذا المجال.

5 – مرجعـاً علمياً أصيلاً للباحثين في مجال علوم تفسـير القـرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وكذلك الدراسة تعد مرجعاً في العلوم الإسلامية التربوية.

أهمية الدراسة:

1 – إبراز دور الحج في توحيد صفوف الأمة الإسلامية، وأثره في دراسة همـوم الأمـة ومـشاكلها والعمل على حلها عالمياً.

2 – ما يميز الحج بإعجازه القرأني الذي لا يضاهيه تشريع وضعي في توحيـد الأمـة الإسـلامية وجمعها على قلب رجل واحد.

3 – القرآن هو الخطاب العالمي الأممي المتفرد بصلاح البشرية وسعادتها في معاشها.

4 – إن الإعجاز التشريعي يتضمن التشريعات المختلفة في: العبادات، والمعـاملات، والأخـلاق، وأنه نظام شامل لجميع أمور الحياة، ومناسب لكل زمان ومكان.

– منهجية الدراسة:

تعتمد دراسة هذا الموضوع على المنهج الاستقرائي لآيات الحج وفقاً للدراسة الموضـوعية، ويمكـن بيان ذلك من خلال البنود الآتيه:

1. جمع الآيات وعزوها إلى مواضعها في السـور، بذكر اسـم السورة، ورقم الآية مع الرجوع إلى كتـب التفسير للآيات.

2 – شرح الآيات القرآنية المتعلقة بمناسك الحج شرحاً مـوجزاً وذلـك بـالرجوع إلـى كتـب التفـسير والإعجاز، واقتباس أسرار الإعجاز التشريعي من الأدلة التفصيلية من القرآن الكريم وما ورد في الـسنة والأثر في أحكام الحج.

3 – ربط هذه المعاني بالأبعاد المعاصرة للأمة وواقعها المعاصر، مع وضع حلول ورؤى لمشاكل الأمـة من خلال هدايات هذه الشعيرة العظيمة.

4 – محاولة الوقوف عند كل جديد من هدايات الحج ومضامينه وآثاره وعجائبه.

5 – الاستعانة بالكتب الحديثة المعاصرة في بيان الإعجاز التربوي، والاجتماعي، والتشريعي، للحج، ما أمكن.

– الدراسات السابقة:

بعد التتبع والاستقصاء لموضوع (الإعجاز التربوي لآيات الحج في القرآن الكريم) والاطلاع على الدوريات، والأبحاث العلمية لم نجد دراسات سابقة بذات العنوان نصاً صريحاً، وبعد سؤال ذوي الاختصاص، سواء داخل الوطن، أو خارجه، لم أجد – في حدود علمي – من كتب في هذا الموضوع بشكل مفصل، أو عرض لجميع جوانبه.

الإطار النظري

1. الإعجاز بين المفهوم والتفسير لآيات الحج.

1,1 مفهوم الإعجاز وتفسير آيات الحج.

1,1,1 – الإعجاز لغةً وإصطلاحاً.

1,1,1,1 الإعجاز لغة:

معنى الإعجاز هو الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني، والتعجيز هو التثبيط، ومنه قول الله تعالى (والذين سعوا في آياتنا معاجزين)، بمعنى أي ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون، وأنه أي لا جنة ولا نار.[1]

1.1.1.2 – الإعجاز اصطلاحاً:

تناول مفهوم الإعجاز حيث نذكر منها:[2] إعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعاد[3] وقال

(1) لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، لسان العرب: لابن منظور، ج3، دار صادر، بيروت – وانظر، المفردات في غريب القرآن، ص 322 ، 323 ، دار المعرفة، بيروت.

(2) نعيم الحمصي فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، ص 9، مؤسسة الرسالة.

(3) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم و البلاغة النبوية، ص 139، دار الكتاب العربي، بيروت.

تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾[1] فالآية والآيات هي التي عبر عنها بالمعجزات فيما بعد، ويغلب الظن أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء[2].

2. 1.1.1 المعجزة لغة وإصطلاحاً

أولاً: المعجزة لغة

إن أصل مادة معجزة العجز، يقول الراغب الأصفهاني: عجز الإنسان مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره، قال تعالى: ﴿تنزِع الناس كأنهم أعجاز نخْلٍ منقعِرٍ﴾[3]، كان اسمًا للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة قال الله تعالى: ﴿أعجزتُ أن أكُون﴾، (وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته جعلته عاجزاً، والعجوز سميت عجوزاً لعجزها في كثير من الأمور، قال الله تعالى: ﴿إلا عجوزاً فِي الْغابِرِين﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿أألِد وأناْ عجوز﴾[5] والعين والجيم والزاء في عجز تتضمن معنيين صحيحين: أحدهما: يعني الضعف فتقول: عجِز عن الشيء، وفلان عاجز فلاناً إذا ذهب ولم يوصل إليه.

والثاني: يعني مؤخر الشيء والجمع أعجاز، وكذلك يأتي العجز بمعنى عدم القدرة على الشيء مع عدم التمكن من إدراكه فنقول: عجِز فلان عن الشيء عجزاً بمعنى لم يقدر عليه، وأعجز الشيء فلاناً فاته ولم يدركه[6].

---

(1) سورة الإسراء: 101.

(2) مصطفى صادق الرافعي، مصدر سبق ذكره ص 28.

(3) سورة القمر: 20.

(4) سورة الشعراء: آية .171

(5) سورة هود: من آية .72

(6) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني – ص 223، 323. و انظر معجم مقاييس اللغة – لأبي حسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق و ضبط عبد السلام هارون، ج4، ص 232 ، 233 دار الجيل، بيروت.

ثانياً: المعجزة إصطلاحاً

عرفها العلماء بعدة تعريفات على حسب اجتهاداتهم وكان من أدقها حيث خلص إلى تعريف المعجــزة بأنها: «حالة خارقة عن المعتاد، وقد اســتخلص هذا التعريف بعد مناقشــته عدة تعريفات للعديد من العلماء، من هذه التعريف: تعريف الإمام السيوطي حيث يقول: «اعلم أن المعجــزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحـــدي وتعريف[1] الإمام عبــد القاهر البغدادي حيث يقول: «وحقيقة المعجزة على طريقــة المتكلمين من يتحدى به عن معارضته مثله»، و تعريــف كلٍ من أبو الغيط و قلعجي في كتابيهما حيث قالا: «والمعجزة عند علماء العقيدة أمر خارق للعــادة[2] مراده تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة «ولقد عرف عباس المعجزة بأنها: « كل ما يدل على تصديق االله تعالى للمدعي في دعواه الرســالة، أو هي تأييد االله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدقه المرسل إليهم».

1.2 آيات الحج وصور أدابها

1.2.1 – الآيات المتعلقة بالحج و العمرة

لقد جاءت الآيات المتعلقة في الحج واضحة تدعو الناس لتعظيم شــعائره وتدعو الناس لزيارة بيته لما فيه من الأجر الجزيل وعليه فقد قال الله تعالى: ﴿إِن الصفا والْمروة مِن شعائِرِ اللهّ فمن حج الْبيــت أوِ اعتمــر فــلا جناح عليه أن يطوف بِهِما ومن تطوع خيراً فإِن اللهّ شاكِر عليم﴾[3]- وتقرأ ﴿تطوع﴾ قرأ حمزة والكـــسائي وخلـــف ﴿يطّـوع﴾ بالغيــب وتشديد الطاء وإسكان العين على الاستقبال، ووافقهم يعقوب فـــي الأول، وبــاقي القــراء بالتــاء

(1) اللوح، عبد السلام، لإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص6 ، ط / الثانية، 1423ه – 2002م، مكتبة آفاق، غزة.

(2) أبو الغيط، محمد، قلعجي، محمد رواس العقيدة الإسلامية في مواجهــة المذاهــب الهــدامة، ص 183، دار البحوث العلمية الكويت، 1403هـ – 198.

(3) سورة البقرة آية: 158.

وتخفيف الطاء فيهما وفتح العين على المضي[1]- أسباب النزول: عن عائشة – رضى الله عنها – أن « عروة بن الزبير» – رضـــي الله عنه – قال لها قــول الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شــاكر عليم﴾، قالت عائشة: ثم سن رســول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما وأخرج البخاري[2] عن عاصم بن ســليمان – رضى الله عنه – قال: سألت أنــساً عــن الــصفا والمروة؟ قال: كنا نعتقد أنهما من أمر الجاهليه فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فــأنزل الله: ﴿إِن الصفا والْمروة مِن شعآئِرِ اللهّ والمعنى الإجمالي: « أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس وهو جبل بمكة معــروف وكذلك المروة جبل أيضاً وأنه ذُكر الصفا والمروة لأن آدم – عليه الســلام – وقف عليه فســمي به، ووقفت حواء على المروة فسميت باسم المرأة، فأنث لذلك، وقال الشعبي: كان على الصفا صــنم يسمي « إساف»، وعلى المروة صنم يدعى « نائلة « وما كان كراهة من كره الطــواف بينهمــا إلا من أجل هذا، حتى رفع الله الحرج في ذلك، وقوله: ﴿مِن شعائر اللّــهِ﴾، أي مــن معالمــه ومواضع عبادته، والشعائر هي المتعبدات التي أشعرها الله تعالى أي جعلها أعلاماً للناس من الموقف والسعي والنحر، وقوله: ﴿فمن حج الْبيت أوِ اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بِهِما﴾ أي قصد،[3] وأصل الحج القصد، وأصل العمرة الزيارة «(يقول السعدي في تفسيره: «هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما، لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفى تعالى الجناح لدفع هذا التوهم لا لأنــه غير لازم، ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنــه لا تطـوع بالـسعي مفرداً إلا مع انضمامه لحج أو عمرة بخلاف الطواف بالبيت؛ فإنه يشرع مع العمــرة والحـج وهو عبادة مفردة،

(1) الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهــير بابن الجزري، النشر في القراءات العشر: ج2، ص 322، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(2) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب السعي بين الصفا و المروة ، ج 2 / 1.

(3) القرطبــي، للأمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصــاري، الجامع لأحكام القرآن: ج 1 / ص 871 – 184 دار إحياء التراث العرب، بيروت، لبنان، ط / الأولي 1416هـ – 1995م.

أما السعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة، ورمي الجمار، فإنها تتبع النسك.

1.2.2 – صور الآداب في آيات الحج

شـــواهد تربوية: لقد فرض الله تعالى على عباده المســـاواة والتقيد بنظـــام رباني، والجاهلية عفى الله تعالى عنهـــم وأعطى الله لهم الفرصة من جديد للمغفرة التامة، فالتواضع لله رب العالمين فالشعائر هي فرصة ســـنوية يمنحها الله تعالى للتقرب له، قول االله تعالى في سوره البقرة: «﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقـــى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[1]- أسباب النزول: قوله: ﴿يسألُونك عنِ الأهِلـةِ﴾ هـذا ممـا سـأل عنـه اليهـود واعترضوا به على النبى – صلى االله عليه وسلم – فقال معاذ: يا رسول االله، إن اليهود تغـشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوى وثم يستدير ثـم يـنقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل االله هذه الآية. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم سألوا نبي االله صلى االله عليه وسلم: لِم خُلقت هذه الأهلة؟ فـأنزل[2] االله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هِي مواقِيتُ لِلناسِ والْحـــج﴾ وقوله تعالى: ﴿وليـــس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورهـــا ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ هنا يوجد ارتبـــاط بـين شطري الآية هو المناسبة بين أن الأهلة هي مواقيت للناس والحج، وبين عـــادة جاهليـة خاصـة بالحج هي التي يشير إليها شطر الآية الثاني، هذا كما كان الأنـــصار وغيـرهم مـن العـــرب إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبداً بذلك، وظناً منهم أنه بر، فأخبر االله أنه ليس من البـــر؛ لأن االله تعالى لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها االله ولا رسوله فهو متعبـد ببدعـة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع، وقوله تعالى: ﴿واتقُواْ اللّهّ لعلكُم تُفْلِحون﴾ هذا هو البر الذي أمر االله به، وهو لـزوم تقـواه على

(1) سورة البقر: 189.

(2) النيسابوري، أسباب النزول: تأليف أبي الحسن على بن أحمد الواحدي – ص 28، دار الفكر، بيروت، ط / الأولي 1241هـ – 1002م.

الدوام بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإنه سبب للفلاح الذي هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فمن لم يتق الله – تعالى – لم يكن له سبيل إلى الفلاح، ومن اتقاه فاز بالفلاح والنجاح يقول تعالى: ﴿فلا رفث ولا فُسوق ولا جدال فِي الْحج﴾ قرأ الجمهور بالفتح في الجميع على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج، وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بأن أمروا أن يقفوا أيضاً بعرفات، وقرأ أبو جعفر وابن كثير بالرفع في الجميع: « فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج « على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق (فنزلت في خاصة وهي لكم عامة عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: [1]» كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فيسألون الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وتزودواْ فإِن خير الزادِ التقْوى[2]﴾، وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت: « كانت قريش ومن دانب دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس[3]، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه، حيث ارتبطت هذه الآيات بالآيات السابقة، حيث إن أحكام الحج ذكرت بعد ذكر أحكام الصيام؛ لأن شهور الحج تأتي مباشرة بعد شهر الصيام، وأما آيات القتال السابقة لهذه الآيات، فقد نزلت في بيان أحكام الأشهر الحرم، والإحرام، والمسجد الحرام ولما أراد عليه السلام أداء العمرة وصده المشركون أول مرة بالحديبية، وأراد القضاء في العام القابل، وخاف أصحابه غدر المشركين بهم، أنزل الله أحكام القتال، ثم عاد الكلام إلى إتمام أحكام الحج. فالتسلسل في سياق الآيات واضح بين الحديث عن الأهلة وأنها مواقيت للناس والحج، والحديث عن القتال في الأشهر الحرم وعن المسجد الحرام، والحديث عن الحج والعمرة وشعائرهما، هذا هو وجه الارتباط والله تعالى أعلم. ففي الآيات السابقة يأمر الله – سبحانه وتعالى – المؤمنين بإتمام الحج والعمرة، وأداء المناسك

(1) صحيح البخاري: أبواب الإحصار وجزاء الصيد، ج 2 / 1271.

(2) سورة البقرة: 791.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج31، ص171.

على الوجه الأكمل ابتغاء وجه الله، وبين الله – سبحانه وتعالى – اختلاف المواقيت التي يؤدى بها الحج والعمرة، فجميع السنة وقت للإحرام بالعمرة، ووقت لأداء العمرة، أما الحج فيقع في السنة مرة واحدة، فلا يكون في غير هذه الأشهر، واختلف في هذه الأشهر، ولم يسم الله تعالى أشهر الحج في كتابه لأنها كانت معلومة عندهم، فإذا منع المحرِم « أي أُحصر » عن إتمام النسك بسبب عدوٍ أو مرض، وأراد أن يتحلل فعليه أن يذبح ما تيسر له من بدنة أو بقرة أو شاة، ونهى الله تعالى عن الحلق والتحلل قبل بلوغ الهدي المكان الذي يحل ذبحه فيه بقوله: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة[1]﴾ وهو القائل «اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام» وقال ابن سيرين: قال علي للعباس: ألا تهاجر، ألا تلحق بالنبى – صلى الله عليه وسلم – ؟ فقال: ألست في أفضل من الهجرة؟ ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام [2]؟ فنزلت هذه الآية.

2. المقاصد من آيات الحج (المناسك والشعائر)

2.1 الآيات المتعلقة بالمناسك

2.1.1 آيات المناسك « الحج»

يقول الله تعالى: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا[3]﴾

المعنى الإجمالي: يقول تعالى ﴿ربنا واجعلْنا مسلِمينِ لك﴾ أي صيرنا، سأل إبراهيم وإسماعيل التثبيت والدوام، والإسلام في هذا الموضع: الإيمان والأعمال جميعاً، قوله تعالى ﴿ومِن ذُريتِنا أُمةً مسلِمةً﴾ أي من ذريتنا فاجعل فيقال: إنه لم يدع نبي إلا لنفسه

(1) سورة البقرة: 196.

(2) النيسابوري، أبي الحسن على بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، تأليف: دار الفكر، بيروت ط / الأولى، 1421هـ – 2001م ص135: ص138.

(3) سورة البقرة: 128.

ولأمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه، ولأمته ولهذه الأمة و» من « في قولـه: ﴿ومِـن ذُريتِنـا﴾ للتبعيض؛ لأن االله – تعالى – قـد كان أعلمه أن منهم ظالمين. وقال الطبري: أنه أراد بقوله ﴿ومِن ذُريتِنا﴾ العرب خاصة، قوله تعالى: ﴿وأرِنـا مناسِكنا﴾ أرنا من رؤية البصر، ﴿مناسِكنا﴾ يقال: إن أصل النسك في اللغة الغسل يقال منه: نسك ثوبه إذا غسله وهو في الشرع اسم للعبادة يقال: رجل ناسك إذا كـان عابـداً، واختلـف العلماء في المراد بالمناسك هنا فقيل: مناسك الحج ومعالمه قاله قتـادة والـسدي، وقـال مجاهد، وعطاء[1]، وابن جريج: المناسك المذابح أي مواضع الذبح وقيل: جميع المتعبدات وكل مـا يتعبد به إلى االله – تعالى – يقال: له منسك، ومنسك والناسك كالعابد، ويقال نسك ينـسك، فكـان يجب أن يقال على هذا: منسـك، وقيل: لما فرغ إبراهيم عليه السـلام من بناء البيت الحرام قـال: أي رب قد فرغت فأرنا مناسكنا فبعث االله – تعالى – إليه جبريل فحج به حتى إذا رجع من عرفة وجاء يوم النحر عرض له إبليس فقال له: أحصبه، فحصبه بسبع حصيات ثم الغد، ثم اليوم الثالث ثم علا جبل يسـمى ثبيرا، فقال: يا عباد االله أجيبوا فسمع دعوته من بين الأبحر ممن في قلبـه مثقال ذرة من إيمان فقال: لبيـك اللهم لبـيك، وقوله تعالى: ﴿وتُب علينا﴾ اختلف في معنى قول إبراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام وتب علينا وهم أنبياء معصومون فقالت طائفة: طلبـاً للتثبيـت والدوام لا أنهما كان لهما ذنب.[2]

2.1.2 العبرة التربوية من آيات المناسك

تمثلت العبرة التربوية باستخلاص أهم ركائزها لآيات المناسك وهي حسب الآتي:

1 – إن مناسـك الحـج تعـد ميداناً لصدق النظرية الإسـلامية بقسـميها الإلهـي والاجتمـاعي؛ فالإحرام، والطواف، والسـعي، والوقوف بعرفة، ورمي الجمار،

(1) الطـبري، جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج 3، ص 453، دار المعرفة ، بيروت ، ط / الرابعة 1400هـ – 1980م.

(2) مصدر سبق ذكره، النيسابوري، ص602.

وسائر المناسك تدفع المسلم المجتهد في أعماله إلى عرض سلوكه على الله طامعاً برضاه وقبول أعماله، واكتساب المعارف الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، وبذلك يكون الحج ميداناً عملياً لتمرين النفس الإنسانية على التعامل الروحي مع خالق الوجود، وعلى التعامل الاجتماعي مع أفراد المجتمع.

2 - إن جميع شعائر الحج تعود المسلم على النظام والانضباط؛ حيث إن للحج أربعة أركان هي: الإحرام، وطواف الإفاضة، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، فمن ترك ركناً من هذه الأركان لم يصح حجه، ولا يتم إلا به، مما يجعل المسلم بعد عودته من أداء المناسك يعود نفسه على الانضباط والصبر على أداء الطاعات والعبادات، ففي كل فعل من أفعال الحج عظات ومعان، إذا تحسسها الإنسان ولّدتْ معه مفاهيم ربانية أكثر، وسلوكاً إسلامياً أجود.

3 - يعد موسم الحج أكبر تجمع تشهده بقعة من بقاع الأرض، وهذا التجمع فرصة لتحقيق العديد من المنافع، التي منها تفعيل المعاملات الاقتصادية على مستوى حكام دول العالم الإسلامي، وعلى مستوى رجال الأعمال، وعلى مستوى المستهلك المسلم، حتى ينتفع المسلم من أخيه المسلم.

2.2 نماذج من الإعجاز التربوي في الحج

2.2.1 الإعجاز التربوي في الحج

تجلت مظاهر الوحدة الإسلامية والترابط في أهم صورها وهي إن الوحدة الإسلامية جانب مهم جداً من جوانب الحج، فالمسلمون من كل أنحاء العالم يجتمعون في مكان واحد، ويؤدون معاً مناسك الحج، فالحج هو الاجتماع الديني العالمي للمسلمين، ولقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك منها: يقول الله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً

وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[1] ويقول تعالى: ﴿فاجعلْ أفْئِدةً من الناسِ تهوِي إليهِم﴾ يقول الشوكاني: ﴿فاجعلْ أفْئِدةً من الناسِ تهوِي إليهِم﴾ الأفئدة جمع فؤاد وهو القلب عبر به عن جميع البدن لأنه أشرف عضو فيه وقيل هو جمع وفد، والأصل أوفده فقدمت الفاء وقلبت الواو ياء فكأنه قال: وجعل وفوداً من الناس تهوي إليهم و﴿من﴾ في ﴿من الناسِ﴾ للتبعيض، وقيل زائدة ولا يلزم منه أن يحج اليهود والنصارى بدخولهم تحت لفظ الناس لأن المطلوب توجيه قلوب الناس إليهم للسكون معهم والجلب إليهم لا توجيهها إلى الحج ولو كان هذا مرادا لقال تهوي إليه وقيل ﴿من﴾ للابتداء، ﴿تهوِي إليهم﴾ تنزع إليهم يقال هوى نحوه: إذا مال وهوت الناقة تهوي هوياً فهي هاوية: إذا عدت عدواً شديداً كأنها تهوي في بئر ويحتمل أن يكون[2] المعنى: تجيء إليهم أو تسرع إليهم والمعنى متقارب. ويقول تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ يقول الشوكاني: ﴿وإِذْ جعلْنا الْبيت﴾ هو الكعبة المشرفة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا و﴿مثابةً﴾ أي مرجعاً يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم، وقيل المثابة من الثواب: أي يثابون هنالك وقال مجاهد: المراد أنهم لا يقضون منه أوطارهم، وقوله: ﴿وأمناً﴾ هو اسم مكان: أي موضع أمن وقد استدل بذلك جماعة من أهل العلم على أنه لا يقام الحد على من لجأ إليه.

2.2.2 المساواة ومدرسة الأخلاق (شواهد تربوية)

إن الحج هو عبارة عن ذلك اللباس البسيط – الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى – يلبسه الملك والأمير، كما يلبسه المسكين والفقير، وإنهم ليطوفون بالبيت جميعاً فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه، ويقفون في عرفات ألوفاً، فلا تحس بفقر فقير، ولا غنى غني، ولا تحس حين تراهم في ثيابهم البيض وفي

(1) سورة الحج: آية 27.

(2) تأليف. محمد بن على الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، لبنان، بيروت، 3 ,14هـ – 1983، ص106.

موقفهم المزدحم العظيم إلا أنهم أشبه بالناس في ساحة العرض الأكبر، يـــوم يخرجـــون مـن الأجداث إلى ربهم ينسلون[1] ويضيف قائلًا: إن المسلم حين يحـرم بـالحج يظـل فتـرة إحرامه في سلام حقيقي، مع من حوله، وما حوله، فلا يجوز له أن يقطـع نباتـاً، أو يعـضد شجرة، كما لا يجوز له أن يذبح حيواناً صاده غيره له، أو يرمي هو صـــيداً فـي الحـرم، أو خارجـــه، قال االله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنـــوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمـــدا فجزاء مثل ما قتل يا أيها الذين آمنـــوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل[2]﴾ وقال تعالى: ﴿وحرم عليكُم صيد الْبر ما دمتُم حرماً﴾، بل لا يجوز للمحـــرم أن يحلق شعر نفســـه، أو يقص ظفره، حتى يتحلل من إحرامه، فيقص ويحلق أو يقصر، فهل رأت الدنيا تطبيقاً عملياً للســـلام، وتدريباً عليه، كهذا الذي صنعه الإسلام في رحلة الحـج: رحلـة 3 السلام إلى أرض السلام، في زمن السلام؟»

– المقاصد التربوية من أيات الحج:

إن الحج أعظم وسيلة لتعـــارف الشعوب الإســـلامية واتصالها ببعضها، فالمسلمون على تباعد أقطارهم، وتنائي ديارهم وتشـــتتهم في جميـــع أنحاء الأرض، هيأ االله – تعالى – لهم مؤتمراً دينياً عاماً يجتمعون فيه، فيقع بيـــنهم أولاً التعارف الـــذي دعا إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يـــا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـــعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3] ثم بعد ذلك التعارف يقع التحدث عن حالة كل شـــعب من شعوب الإسلام، والبحث في تحسينها، والنهوض بها إلى أعلى مراتب الكمال، وتبسط آمال كل شعب وآلامـــه، وتوضـع البـــرامج لتحقيقها، ويكون كل شعب متهيئاً لإعانة بقية الشعوب بما في طوقه وبما يقدر عليه).

(1) أسرار العبادات في الإسلام، عبد العزيز سيد أهل، دار العلم للملايـين، بيـروت، لبنـان ط / الثالثة، 1984م، ص172.

(2) سورة المائدة: آية 95.

(3) سورة الحجرات، آية 31.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

خرج الباحث بمجموعة من النتائج ذات الصلة بموضوع الدراسة وهي حسب الآتي:

1. يعد موسم الحج أكبر تجمع تشهده بقعة من بقاع الأرض، وهذا التجمع فرصة لتحقيق العديد من المنافع، التي منها تفعيل المعاملات الاقتصادية على مستوى حكام دول العالم الإسلامي

2. إن الحج يظهر حرمة مكة المشرفة، وضرورة تعظيمها؛ فهي البلدة التي شرفها االله لأمرين، الأول: باعتبار مناسك الحج التي تؤدى فيها، والثاني: نسبة مكة الله – عز وجل – .

3. إن الحج يعمل على تربية النفس وترويضها على الصبر، وتحمل المشاق، خاصة الصبر على الفتن في الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وتداعت الأمم على المسلمين كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

4. – الحج فرصة لتأهيل عقيدة الولاء والبراء في نفوس المؤمنين خاصة في العالم كله لا سيما في هذه الأيام التي ضعفت فيها هذه القضية المهمة بين المسلمين.

5. في الحج مواقف ومشاهد جهادية تاريخية تجعل منه عبادة مهمة تستحث الإنسان لإعادة بناء ذاته من خلال ما تثير فيه من استذكار مواقف الأنبياء السابقين وأدوارهم في هذه البقعة المقدسة، وما تحمله من دلالات معنوية كبيرة خاصة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وزوجته هاجر.

6. يعد الحج مؤتمراً سياسياً عالمياً، وملتقى اجتماعياً عاماً لجميع المسلمين من شتى أنحاء العالم، وفرصة للتعارف، والتآلف، وانتفاع بعضهم ببعض، ومداولة أمورهم، وحل مشاكلهم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في جو من:

الأمـن والأمـان والقداسـة، والصفاء، والمحبة.

7. إن الحج وسـيلة فاعلـة للإعلان عن رفض السياسـات العدائية التي تمارس ضد الأمـة الإسلامية مما يعطي للحج البعد السياسي، والتعبير عن وحدة المسلمين.

ثانياً: التوصيات:

وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات وهي حسب ما يلي:

1. بذل المزيـد من الجهد في مجال تدريب الطاقات الفنية والإدارية العاملة في موسـم الحج، وذلك عـن طريق إقامة مراكز التدريب والاسـتفادة من خبرات الفنيين والإداريين والعلماء، مع الاسـتمرار في عقد الندوات عن طريق وسـائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة؛ من أجل توعية الحجاج بأعمال الحج ومناسكه.

2. تفويت الفرصة على أعداء الإسلام الذين يسعون إلى محاربة اللغة العربيـة، ومحاولـة القضاء عليها، وذلك بالدعوة إلي إحيـاء اللهجات العامة في كل قطر عربي، فهذه محاولـة منهم لمحاربة الإسلام نفسه، والقضاء على وحدة المسلمين التي هي ثمرة التقائهم على لغة القرآن الكريم والسنة النبوية.

3. نـوصي ولاة أمر المسـلمين بالعمل على نـشر اللغة العربية بين المسـلمين من غير العرب؛ حتى يستطيعوا مناقشة قضاياهم مع إخوانهم في موسم الحج، والاسـتفادة مـن تجـارب الآخرين في إيجاد حلول للمشـاكل التي يعاني منها المسلمون في بلدانهم، وكذلك من أجـل التعارف، فكم يكون مؤلماً عندما ترى مسلماً من تركيا أو إيران أو الهند مثلاً، وأن تشعر نحوه بالعاطفة الطيبة والحاجة للتحدث معه، ثم لا تستطيع ذلك لجهله باللغة العربية.

4. ضرورة إنشاء مكتب خاص، لتُعرض عليه مشاكل الحجاج؛ من أجل إيجاد الحلول المناسبة لها كل حسب اللغة التي يتحدث بها، ويكون من مهام هذا المكتب أيـضاً

تحديـــد المشاكل المهمة العاجلة التي تتطلب السرعة في الحل، ليقوم بعرضها على أهـل الخبـــرة من ذوى الاختصاص من أجل علاجها، على أن يكون لهذا المكتب فروع للتيـسير علـى الحجاج والمسلمين في عرض مشاكلهم وقضاياهم.

5. نـــشر الوزاع التربوى والفكـــر التربوى وما تحمله قصة الحج من ســـيدنا إبراهيم عليه السلام والاثار التربوية من الصبر و التحمل والأجر الكبير الذي يحصله الحاج.

– المصادر والمراجع:

أولاً: القرأن الكريم:

1. سورة البقرة: 158.
2. سورة البقرة: 197.
3. سورة الشعراء: 171.
4. سورة البقرة: 196.
5. سورة البقرة: 128.
6. سورة المائدة: 95.
7. سورة الحجرات: 13.
8. سورة هـود: 72.
9. سورة البقرة: 189.
10. سورة الإسراء: 101.
11. سورة الحج: 27.
12. سورة القمر: 20.

ثانياً: المراجع:

1. القرطبـي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامـع لأحكام القرآن، ج 1 دار إحياء التراث العرب، بيروت، لبنان، ط: الأولى – 1995م.

اللوح، عبد السلام ،لإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط الثانية، – مكتبة آفاق، غزة، 1423هـ.

2. الشوكاني، محمـد بـن علـي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، لبنان، بيروت، 3, 14هـ.

3. الرافعي، مصطفى صـادق، إعجاز القرآن الكريم و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م

4. الحمصي، نعيم فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، 1980م.

5. الحسني، محمد بن علوي بن عباس المالكي، – في رحاب البيت الحرام، ، ط الثالثة، 1405هـ.

6. الشافعي، محمد بن إدريس، كتاب الأم تحقيق وتخريج رفعت فـوزي عبـد المطلب، دار الوفاء، ط الأولى، 1422هـ.

7. الزيلعي، أبي عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي تحقيق: محمد يوسف البنوري، كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية، دار الحديث بمصر، 1357هـ.

8. الشافعي، تقي الدين أبى بكر بن محمد الحسيني الحصنى الدمشقي، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، دار الفكر، بيروت، 2016م.

9. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزولدار البيان الحديثة، ط: الأولى، 1423 هـ.

10. ابن منظور، لسان العرب، ج 3، دار صادر، بيروت، 1330هـ.

11. العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ج12، 1984م.

12. أبو الغيط، محمد، قلعجي، محمد رواس العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، دار البحوث العلمية الكويت، 3, 14ه.

13. النيسابوري، أبي الحسن على بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، دار الفكر، بيروت، ط الأولي – 2001م.

14. الطبري، أبي جعفر الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 3، دار المعرفة، بيروت، ط: الرابعة 1400هـ.

15. الطبري، أبي جعفر الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م.

16. النيسابوري، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980.

17. الطبري، أبي جعفر الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، أسرار العبادات في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط الثالثة، 1984م.

18. الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1412هـ.

19. بن زكريا، أبي حسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج4، دار الجيل، بيروت، 1979م.

ندوة مجلة «تحولات»
حول كتاب الشاعر والأديب نعيم تلحوق
«أرض الزئبق»(*)

تقديم الندوة: ميشلين مبارك

مساء الخير

مساء الكلمة

مساء المعنى

معالي وزير الثقافة اللبنانية القاضي محمد وسام المرتضى راعي هذا اللقاء (ممثلاً بالمحامي زياد بيضون)

مؤسس مجلة تحولات الأديب والإعلامي الأستاذ سركيس أبو زيد

المحتفى به الشاعر نعيم تلحوق

الشاعرات والشعراء

المفكرون الكرام، بنات وأبناء المعنى

أيها الحفل الكريم،

«سردية المعنى في أرض الزئبق» هي تجربة شاعر مع الوجود، اكتشف أنّ الثقافةَ لا تقاس بعدد الكتبِ التي نقرؤها، بل في استدلال المعنى التابع لها. هي خميرتُه التي بدأت مع سقراط في «أعرف نفسك»، عبرت مع المسيح في «الله محبة» حتى توالدت أسراراً واكتشافات في فضاءات

(*) أُقيمت الندوة حول كتاب «أرض الزئبق» للشاعر نعيم تلحوق في لبنان – بيروت – الحمرا – قاعة جريدة السفير – بيروت في 18/ 11/ 2022.

فلسفية، ووجودية عاشها الشاعر نتيجة اختبارات حياتية، فجذبنا معه إلى أرض زئبقية متحركة قلقة ومتحررة في آن تنادي بالتنوّر، بالإنقلاب على الصورة والغوص على المضمون، لمحاولة إكتشاف العمق وعدم الخوف من البياض. فما بعد هذه السردية لن يكون أبداً كقبلِها.

شكراً لمجلة تحولات على دعوتها إلى هذا اللقاء، شكراً لوجودوكم في قلب المعنى.

حبيب يونس:

شاعر وإعلامي، استطاع بقدرته الذكية إقناع وبالتالي استضافة الأستاذ نعيم في برنامجه الأسبوعي، وقد أطلق على ضيفه لقب «سندباد يقف على رأسه»، بحيث أنّ الكلّ يتماهى في السردية من أنس وجنّ وجماد، يُقيم على أرض زئبقية وقد أضحت كل البلاد بلاد شاعرنا فأصبح هو السندباد. كلمة الأستاذ حبيب يونس.

حسن حماده:

هو إعلاميّ وباحث وكاتب سياسي عروبي، له العديد من المؤلفات، والأبحاث والمقابلات التلفزيونية. يقرأ لنا الليلة شهادة من القلب والفكر بشخص صديقه الراقي والإنساني. فرحون بوجودك معنا الدكتور حسن حماده المنبر لك.

د. راغدة قربان:

هي دكتورة في اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية، شاعرة وصديقة منتدى «شهرياد» منذ زمن، كتبت مداخلة عن سردية المعنى وخبأتها في طيات الكتمان، الليلة ستفتح لنا الباب لنغرف معاً الناحية الفلسفية والصوفية عند الشاعر تلحوق. الدكتورة راغدة قربان المنبر لك.

د. محمود حيدر:

هو مفكر وباحث وأستاذ محاضر في الفلسفة الحديثة والتصوف النظري، رئيس مركز «الدلتا» للأبحاث المعمقة، ورئيس تحرير فصلين «علم المبدأ»، ومدير التحرير المركزي لفصلية «الاستغراب». له ست وعشرون كتاباً واللائحة تطول ما شاء الله. مداخلته اليوم

عن رحلة الاستئناس في المعنى، ونحن على أتمّ الاستعداد لنبحر معه في هذا السفر الفكري الفلسفي. الدكتور محمود حيدر المنبر لك.

مردوك الشامي:

الشعرُ كالفلسفةِ عند نعيم تلحوق، هناك مسافةٌ بين المقروء واللامنظور في النص، بين المحسوس والمجازي، حتى يكادَ المدلول أن يتجاوزَ الدالِ في كثير من الأحيان. كأن الوجودَ يخاطب الشاعر في المعنى، والشاعر يجذبُ القارىء انطلاقاً من فلسفته الكونية. هل لدى تلحوق مدرسةً خاصةً به؟ سؤالٌ يجيب عليه صديق قديم للمحتفى به، قديمٌ قدمَ الشّعر، فقراءةُ هذا الشاعر الشاميّ ثاقبةٌ في النصوص والقوافي والإنسان، فكمّ بالحريّ مطالعتُه الفكريةُ واللغوية في سردية المعنى؟ الشاعر مردوك الشامي المنبر لك.

كلمة أستاذ نعيم:

في الختام، كيف يكون الإنسانُ موضوعياً عندما يقدمُ أستاذَه ومعلمه في الشعرّ والأدب، عميدَنا في شهرياد، وقدوتنَا في الحياة، فاعذورا كلماتي إن خذلتني وأنا شهريادية الهوى منذ نعومة أشعاري...

أيُّ ثمارٍ تحمّلنا إيّاها وأنتَ تزهر في الستين من عمرك، أيُّ هدية تكشفها ونحن واقفون على ضفاف المعنى، نخافُ أن يعرينا البياض، أن يكشف النور خبثنَا وفراغنَا. نؤدي أدوارَ الشخصيات في طقوس مجنونة من العيش والتعايش والسلم، نكسر أسرارَ الصمت بالكلام والمطولات حتى تضيقَ بنا السماء. لم نتعلم بأنّ الصمتَ فرصتنُا للقاء مع ذواتنا. من قال إنّنا لسنا بحاجة إلى كفٍّ يوقدُ فينا المعرفة ويضيءُ في روحنِا الوعي... نحنُ أناس بسطاءٌ يا صديقي، اعتدنا العيشَ في العتمة، وأنتَ جئت إلينا من شهقة الحبّ والحبر، من اصطدام كوكب الألام مع مجرة اللغة، من ارتباط الهويةِ العربية مع الحداثة الشعرية، جئت تكشفُ عن أعينِنا الحجاب، تفتح لنا الباب لنخرج من المنفى. ها هي صفحاتُ قلوبِنا لك أيها الشاعر، فانفض عنها جروحَ الادّعاء وجمّلها بمواسمِ المعنى.

كلمة ممثل معالي وزير الثقافة القاضي محمد وسام المرتضى في ندوة كتاب «أرض الزئبق» للكاتب نعيم تلحوق

المحامي زياد بيضون

الأساتذة والكُتاب والأدباء والمفكرين الكرام، أسعد الله أوقاتكم بكل خير

لقد شرفني معالي وزير الثقافة القاضي محمد وسام المرتضى بتمثيله والوزارة في هذه الندوة الفكريــة حول كتاب «أرض الزنبق» للكاتب المبدع الأســتاذ نعيم تلحوق، والحقيقة أنها لمهمة صعبة.

مهمة صعبة أن أحضر بين كوكبة من الأدباء والمفكرين والكتاب لمناقشــة رائعة من روائع اللغة والبلاغة والفلســفة والشــعر والنظريــات والذكريات والغــوص في فضاء الحياة والوجــود، وأنا القادم من عالم القانــون، الذي وإن كان غوصاً في غــمار الحياة ومبادئها والحقوق والواجبات فيها، إلا أنه يبقى عاجزاً أمام فلسفة الحقيقة التي تجسدها كل مراحل الحياة بحلوها ومرها.

قــرأت ما تيــسر لي قراءته من الكتاب اللوحــة، ولا أقول الحق إن ذكــرت أمامكم أنني إســتطعت الغوص في معاني مفرداته بما يمكنني من مناقشة، أقله، بعض من ما فيه، حيث أنه يحتاج إلى أكثر من قراءة لســبر أغوار البلاغة المتجزرة فيه، وقد عزز قناعتي فيما تقدم، ما قراءته عن الكتاب الناقدين، حيث وجدتهم أيضاً غارقين في صوره البلاغية، ومعبرين بأعمق العبارات عن مضمونه الزاخر.

وهكذا، انتقلت من عمق معاني الكتــاب، إلى عمق مقالات الناقدين، فوجدت أن أهون الحلــول أن أترك الأمر لكم وأنتم أهل هذا الأمر، دون أن يمنعني ذلك، من أن أعبر، ولو بشكل مختصر، عن بعض ما استوقفني وأرغب بتسليط الضوء عليه.

لقــد أحضر الكاتب الأهل من عمــق الذاكرة، فتحدث عن أمه وعن مخاوفها وأســئلتها وأجوبتها، وهو يعي ســبب تلقي جســده الطري ضربات قضيــب الرمان ذات يوم، كما تحــدث عن أبيه «حكيم الزمان «، وعن مرافقته له منــذ الصغر، ومنه أرغب بجواب عن سبب هذا الإحضار لنغني تجربتنا جميعاً بما تخمر لديه.

لقد وجدت في ما كتبه الكاتب، حبــاً في الحديث عن زوجته التي عــلمته الصبــر والانحياز إلى الاعتدال في أكثر الأوقات، وعرف من خلالها «أن الهدوء هو انحياز ضمني لســقوط الأقنعة»، ومنه أرغب في معرفة السر خلف ذلك، ولكن طبعاً بلغة نفهمها وهي التي كانت تقول له لماذا لا تسهل على القارىء فهم ما تكتب.

كما قرأت له، أنه لم يشعر أن وطناً يولد برأسه إلا لما قرأ أنطون سعاده، ومنه أرغب في معرفة الوطن المولود الذي تحدث عنه، ومدى إمكانية تحققه، علنا نكون سوياً على ذات الشعور أقله في حبنا أن يكون لدينا وطناً ننتمي إليه أولاً وأولاً وأولاً وأخراً.

لــن أطيل، ففي الكتاب عناوين عــن اللغة، وعناوين أكثر عن المعنى، فضلاً عن أســئلة وأســئلة فيها الفلسفة والشعر والنظريات والمداليل المختلفة، ولست أدعي أنني مؤهل في الوقت الراهن للنقاش والخوض فيها.

خاتماً كلامي بتعليق معالي الوزير على مضمون الكتاب، بــأنه كتاب يحتوي في كل صفحة منه على كتاب.

أشكركم، وأتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح.

بيروت في 18/ 11/ 2022

كتاب «أرض الزئبق»

عالمٌ لا أحد سوى نعيم تلحوق يمتلك المفاتيح إليه

مردوك الشامي

أحياناً تكونُ الشّتيمةُ أبلغَ تعليقٍ على الإعجاب.. تكونُ ردّة الفعل الطبيعية على موقف ما، أو انفعال أكبرَ من التوازن والموضوعية التي نتمسك بها..

وهذا ماحدث حين انتهيت من قــراءة مخطوط «أرض الزئبق» قبل نشره في الكتاب الذي نجتمع حوله اليوم..

أرسله لي صديقي نعيم لأقرأه، وشرف كبير أن يختصني نعيم بهذا الشرف..

أعترف أنني تعلقت بسطوره عند أول عناق، وأنني خلال يومين عشت حالات لا توصف من الدهشة والعشق والذهول.. بعيد منتصف ليل اليوم الثاني انتهيت من القراءة..

وأول مــا فعلته أنني اتصلت بنعيم.. كنت أعرف أنّ الوقت متأخر، وقد يكون نائماً، وكان نائماً، ومع ذلك ألحيت في طلبه.. وحين سمعت صوته كانت ردة فعلي الأولى أنني شتمته.. نعم شــتمتُ نعيم تلحوق على ما ألحقه بي خلال يومين من حرائق واشتعالات لا حدود لها..

شتمته لأنه أدخلني عالماً لا أحد سواه يمتلك المفاتيح إليه..

شتمته لأنه وضعني أمام لغة مجنونة الحكمة، جميلة وفريدة حدّ التشظي والهيام..

شتمته لأنني لأول مرة أشعر بالغيرة من نصّ كتبه سواي..

لأنني مهما حاولتُ تلمسّه والإتيان بمثله سأكون عاجزاً حدّ الخرس..

شـــتمته لأنه بكل بساطة حطّم المرآةَ التي كنت طوال سنوات العمر أرى فيها وجهي حين أتأمل فيها، ولا أرى الله.

أقـــول بصدقٍ إن «أرض الزئبق» بـــكل الصفحات التي بين غلافيه أعـــلى بكثيرٍ مما يكتبه بشري، وليس أدنى مطلقاً من كتبٍ يقال إنها منزلة، بل يتجاوزها أجنحةً ومجرات.

هل الرواية كجنسٍ أدبي هي التوصيف الدقيق لهذا الكتاب؟..

هل هو الشعرُ، أم الفلسفة، أم التطرفُ في الجنون؟..

الرواية تقوم على السرد الحكائي، سرد المبنى، ونعيم تلحوق أطاح بالمبنى، واشتق للمعنى سرداً كثير الدلالات..

والرواية تقوم على المكان والزمان والأبطال والضحايا، على بداية وعقدة وخاتمة ما، ونعيم كان خارج المكان كله، خارج المجموعة الشمسية لكوكبنا الخرف، بعيداً عن الزمن المألوف المواقيت، داخل السرمد واللامتناهي من وقت..

والرواية لها أبطالٌ يقودون الـــسرد والحدث، يتوهمون ويتوجعون وينهزمون وينتصرون، والأبطال في أرض الزئبق أم راحلة وأبٌ يحضر الآن وفي المســـتقبل، وفضائيون يسقطون تباعاً وبلا مصادفة، ليؤسســـوا على التراب ممالك للنور.. أثق أن نعيم من تلك الســـلالة الغريبة، أثق في ذلك.

والرواية وقائعٌ وواقع، وأرض الزئبق خارج الواقع تماماً وخارج المدار المعيوش.

وقبل أن أسترسلَ دعوني أسأل: ما دور الكتابة والكاتب؟..

في مجمل الموروث والمعاصر، على رفوف المكتبات، وعلى حبال وسائل التواصل الاجتماعي نقرأ هذا الدور بكل وضوح.. وهو اللاجدوى، والتراكم والهشاشـــات والخفة، إلا قليلاً وما أقل الاستثناء من هذا القليل..

إذا لم تكنِ الكتابة خلقاً، فهي جثة متحللة..

وإذا لم يكن الكاتب خالقاً، وجريئاً وحرّاً وكشّافاً، فهو مجرد كائن عاطل عن الحبر.

نعيم تلحوق وضع في كتابه مفاصل وشواخصَ وأسئلةً، ولم يتركها من دون جواب..

صوّب على الوثنية في كل تشكلاتها، منذ الصنم الأول وصولاً إلى الله..

ومزق الأقنعةَ بلا اســتثناءٍ من الأرض المقنعة والســماء المقنعة وصولاً للإنسان الذي بلا ملامح..

كثيرون سبقوا نعيم إلى أسئلة الوجود الكبرى، والخلق والخالق، والخلود والفناء..

فلاسفةٌ وعلماءٌ ومتصوفة وملحدون.. كلهم طرحوا الأسئلة..

وفي «أرض الزئبق» كانتِ الأجوبة كلها حاضرة وبكل وضوح.

كأن نعيم أراد بفكره إعادة تشــكيل الحياة ما قبلها ومابعدها، وبتوصيفاتٍ لم يســبقه إليها أحدٌ أعاد ترتيب الجهاتِ واللغةِ والعوالمِ والشــخوص، لهذا نجد رؤيته للمرأة فريدة، كما رؤيته للرجل، ونقرأ إحساسه بالعقل والحرف والمعنى تتجلى في مطارحَ بلا سقوف.

تحدث في كتابه عن شــخصياتٍ نعرفها، لكننا من خلاله عرفناها بطريقة مختلفة، لأنه كان يرى فيها ما لم نراه نحن..

ورصّع الكثير من صفحات كتابه شعرٌ كثيرٌ، ولغة مباغتة تدفع إلى الدهشة والارتعاش..

في قــراءتي هذه لم أقارب الكتاب نقدياً لا قــراءةً مُحكمة ولا انطباعاً، حاولت الحديث عن تأثــير هذا الكتاب في داخلي، عــن آفاق بلا حدود يفتحها نعيم تلحوق بفكره الفلســفي ورؤيته الخلاقة المستشرفة..

في بداية الكلام، قلت إنني شتمتُ نعيم حين انتهيت من قراءة المخطوط..

والآن وقبل أن أترجلَ عن منبر العشق..

اشتمنا لأنني وأنا مسؤول جداً عما أقول نعجز عن الإتيان بمثل هذا الكتاب أجمعين.

«أرضُ الزّئبق» لنعيم تلحوق
معناكَ هناكَ في أَرضِ الذهبِ المصفَّى(*)

د. محمود حيدر – مفكر وباحث في الفلسفة والإلهيات - لبنان

لَمَّا عاينتُ «أرض الزئبق» من أطرافها، لاَحَ لِي تَسـآلُ عمَّا دهاكَ فحمَلكَ إلى تلك الأرضِ الموحشةِ على سـابقِ وعيْ. منذ أوائل كلماتكِ تساءلتُ: لماذا أراني أراكَ تهمُّ الاختياضَ في لُجَّة الزئبقِ، ولا تخشى التلاشي في أبديَّةٍ مسكونةٍ بالعتم؟.

درتُ مع كتابكَ غيرَ دورة. وكنت كلَّما قرأتُ تضاعَفَتْ حَيْرتي إن كان عليَّ أن أمضيَ معك في أرض الزئبق، أم أرى إليها من بعيد. لكنَّ المسـافةَ ما لبثـت أن طُويت. وأيقنتُ أن لا مناص من مصاحبتكَ ولو في الأمر خطبٌ جللْ.

دلَّ مـا ألفتني وأنت تجوبُ أرضكَ الجديدة، أنَّك، أكثرتَ في طلب المعنى حتى امتلأتَ به وامتلأ بك. قلتُ إنَّ بالمعنى الحياةَ كلَّها، وإنَّ بالحياة سرّاً آخرَ لا يعرفه إلاَّ الأتقياء. ولأنَّك شـغوفٌ بالتقوى فلم تُردها عن طريق النبأ الذي تَنَزَّل على الناس من وراءِ حجاب. وهذا لَعَمري ممَّا للمألوفِ الذي ألِفتَه من قوَّةٍ وسـلطان. قلتُ لا بأس من توسَّل المعنى أيّاً يكُن لونُه وصبغتُه. المهمُّ أن تجدَ مسـلكاً إليه ولو شَقَّ عليك. فإنَّك لو حصَّلتَهُ نجوتَ بنفسكَ، وطابق اسمُكَ مُسمَّاكَ المسمَّى وصرتَ نعيماً في عرشك. ولَمَّا أن اتَّخذتَ من الكلمات الثِّقال دُرْبـةً في المخاطرة. قلتَ في سرِّك: لا ينبغي أن أخشـى ممَّا أُبْديهِ من قـولٍ غريبٍ لا تألَفُهُ الأذهان، فإنَّ كلَّ مألوفٍ ومقبولٍ اليومَ كان بالأمسِ غريباً.

***

(1) نـص الكلمة التي ألقيت خلال اللقاء الفكري حول كتاب «أرض الزئبق» للشـاعر نعيم تلحوق في قاعة جريدة السفير بدعوة من منتدى تحولات بتاريخ الجمعة 18 – 11 – 2022.

أخالُك وقد بحثتَ عن المعنى لتعثُرَ عليه، إلاَّ أنَّك لم تعثُرْ عليه إلى الحدِّ الذي يمنحُكَ هدأةَ الصدر. وإذَّاك، صار حالُكَ كحالِ المُعلَّقِ بين أرضٍ وسماءٍ لا عمادَ لها. فما سؤالُك: «لماذا تركتَ المعنى خلفكَ من دون أيَّةِ دلالةٍ تشير إلى معناكْ» إلاَّ لتُعربَ عمَّا استغلقَ جوابُهُ عليك. حتَّى لكأنّي بكَ وقد تراءَيت لي وسْطَ فراغٍ عجيب.

والفراغُ العجيبُ هو الذي لا يصلُهُ إلاَّ الأقلَّونَ ممَّن كابدوا أرضَ الزِّئبق. وهو كهفُكَ الممتلئُ قلقاً وخوفاً ورجاءْ. إنَّه شغبٌ نادرٌ في معركة المعنى. الخائضُ في لجَّته محمولٌ على الظنِّ، أنَّ السؤالَ المُستَنْبَتَ من حجَّةِ العقلِ كفيلٌ بجعلِنا ننحني لظهورِ الحقيقة. لكنْ الظانُّ إيَّاهُ، كثيراً ما يغفلَ عن أمرٍ يؤيِّده العقلُ، وهو أنَّ السؤالَ الذي اُتُّخِذَ سلاحَاً أوحَدَ لنيلِ الحقيقةِ المُدَّعاة، سوف يُمسي مع الزمنِ داءً لا شفاءَ منه. كلَّما انتهى من سؤالٍ ابتدأ بآخر. حتى ليصير الخائضُ في اللُّجَّةِ كالظَّمآنِ المضطرِّ لماءِ البحرِ كلَّما ارتوى ازداد عطشاً. وإنّي لأزعمُ أنَّك وأنتَ تهمُّ الاحتراثَ في أرضِ الزئبقِ أدركتَ أنَّ «الفراغ العجيب» هلعٌ وتهيُّب ومتعة. من هنا جرأتُكَ على الخوضِ فيه لعلَّكَ تلتمسُ ما تيسَّر لكَ من عجائبيَّتِهِ وفتنتهْ.. هنالك لا استشعارَ للمكانِ ولا للزمانِ، حتى ليخالُ الذي هو ساكنٌ فيه كأنَّه في تيهٍ لا مُمْسِكَ له، أو لكأنَّه شيءٌ محاطٌ باللاَّشيء. فهو غريبٌ في أرضهِ. ولا يجدُ ما يؤنسهُ في غربتهِ سوى علاماتِ استفهامٍ لا جوابَ عليها. حتى لقد بدا كمثْلِ واقفٍ بقدمينِ مهزوزتينِ يوشكُ على السقوطِ من منحدرٍ شاهقْ.

المُمتَحنُ في ابتلاءاتِ المعنى كأنتَ يا صاحبي يستشعرُ في نفسه ضدَّين يتنازعانِ بلا هوادة: ضدٌّ يصرُفه عن الامتلاءِ ليبقيه في بئرٍ دهريَّةٍ بلا ماءٍ، وضدٌّ يتطلَّع إلى الانعتاقِ ولا يجد إلى ذلك سبيلاً.. ولولا أن بقيَ للمُمتحنِ حظٌّ من عقلٍ ورجاءٍ لمكثَ في بطنِ الظُّلمةِ أبداً. ولمَّا أن شقَّ عليكَ تحصيلُ المعنى مِلتَ إلى الجسد لعلَّ في حسن بدوته وسحر إغوائه ما يأتيك بمعنى. إلاَّ أنك لم تتلبَّث إلاَّ قليلاً، حتى ترجع القهقرى إلى ما أنتَ فيه من أسئلةٍ لا هوادةَ فيها ولا استجابةْ.

***

في أرضِ الزئبقِ التي استدعيْتَنا إليها، يظلُّ الواحدُ منَّا يسألُ حتى يتبدَّد السؤال.. وحين يصلُ إلى تلك المنطقةِ من الفراغِ العجيبِ يجدُ نفسه على الحافَّة: إمَّا أن يتطيَّرَ ويسقطَ في لُجَّةِ العدم، وإمَّا أن يغمرَهُ الأنسُ الأتَمُّ ويعودَ الكونُ كلُّه على كَثرتهِ وكَدَرِهِ حضرةً رحمانيّةً واحدةْ...

ماذا لو مضينا معاً أنتَ وأنا من أرض الفراغِ العجيبِ إلى أرضِ الذهبِ المصفَّى حيث لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ بلَغَهَا نبأ.؟

هنالك يا صديقي سيتهيَّأ للداخل إليها كما لو أنَّ يداً قدسيَّة امتدَّت نحوَهُ وتلطَّفتْ عليه بالأمانِ وسعةِ الصدر. ولو تنبَّه المتهيِّءُ إلى هذا «التأتِّي اللَّطفانيِّ» النَّازلِ عليه من الامتلاءِ المحضِ، لساءَلَ نفسَهُ عمَّا ينبغي له أن يردَّ الجميلَ بالجميلِ، واللُّطفَ باللُّطفْ. لكنَّ الأرضَ هنا غيرُ الأرضِ هنالك. هنا لا شيء أمامَكَ إلاَّ التلقِّي بصبرٍ وصمت. التأتِّي اللُّطفانيُّ بهذه الصورةِ غالباً ما يتدفَّقُ من دون حسبانٍ على الناجين من أغلالِ الفراغِ العجيب. ولذلك، فهو تدفُّقٌ مفاجئٌ يثيرُ مشاعرَ متضادَّةً تُراوحُ بين الدهشةِ والحبورِ والتهيُّب. وعلى الرَّغمِ من الفجْأةِ التي غمرَتْهُ برهبتِها، لا يجدُ الناجي غرابةً في ما حلَّ فيه. فما تؤتيهِ اليدُ القدسيَّةُ ينبسطُ على غيرِ صورة. حيناً على هيئةِ عقلٍ هادٍ، وحيناً كأمرٍ قدسيٍّ يمدُّه بالمسرَّةِ، وثالثاً على صورة روحٍ كليِّ العطاءِ ينفقُ من غير مِنَّة.

***

يوشك صاحبُ الحظِّ الذي جاوز أرضَ «الفراغ العجيب» أن يتعرَّض إلى جذبٍ غيرِ عاديٍّ، هو ضربٌ من استشعارٍ خاطفٍ بلذَّةِ الامتلاءِ بالمعنى. معه يتبدَّد كلُّ سؤالٍ مميتٍ، لينبعثَ من بعدهِ كلُّ تساؤلٍ حيٍّ.

حين يكشفُ الجاذبُ القدسيُّ عن معناهُ، لا يعودُ للسؤالِ عن سرِّ المعنى آنئذٍ مِن نفع. فلا لزومَ لإشغال الفكر باستفهاماتٍ قد تودّي بصاحبها إلى الاغتمامْ. فمن أدركَ سرَّ الاندهاشِ العجيبِ إدراكَ عيشٍ ومُعاينةٍ، لا يعبأَ إن كان قد تعقّلَ السرَّ بالحجَّةِ والاستدلالْ. فقد

وصلَهُ الدليلُ بالمعاينةِ لا بالخبرِ المَشــوبِ بالشكّ. فإنَّ من عاشَ السرَّ لا يَعُودُ يهمُّهُ التعرُّفُ على صفاتهِ وآثارِه، فقد بات يعرف ما لا يطيقُ معرفتهُ أكثرُ أهلِ النُدرة.

ثمَّ بعد هنيهةٍ قد يطرقُ ســمْعَك مُنادٍ يناديك: لا تُرهق نفســكَ بما ظننتَ أنَّك وأصلُهُ ولمَّا تصلْ إليه. الباحثونَ عن المعنى من قبلكَ مضَــوا في الضلالِ، ثمَّ تاهوا في أرضِ الكلماتِ الفانيةِ حتى غَشِــيتْ أعيُنُهم عن الأبصار. ثمَّ ســيقولُ لك: إمضِ بعيداً في ما لا سبيلَ إلى فهمِ سرِّهِ الرهيب. ولا تخشَ العتمةَ ولو تملَّــكَ الرَّهَبُ الأكبر، وكن دائماً بمفردكَ، ولو أعرض عنك المؤنسون.

إذن، لا تبحث عن المعنى وأنت على حالكَ هذا، ســتقولُ للذي أنبأك السرَّ: وكيف أراهُ؟: ســيجيبك: معناكَ في نفسكِ التي بين جناحيك. فلو استترتَ عنها أو سترْتَها أقمتَ أبداً في الجهــل. فلو عرفتَ ما أنتَ عليه عرفتَ معنايَ، ولو عرفتني ما عدتَ تســألُ عن معناك. قــدرُكَ حتى تمسي معي أن تكون بلا معنىً أنت تريــدُه. فما أنتَ تريدُه لا يكفيكَ، ثمَّ إنك لن تراني حتى تخلعَ نعليكَ: معناكَ وأناكْ. فلو فعلتَ فهي أول الانتباه، وأول الانتباهِ أنك طرقــتَ بابَ السرِّ، فإذا فُتِح لكَ انقشــعتْ لناظريكَ الغوامضُ، وانفســحتْ لبصيرتكِ الأمداءُ وتوسَّــع صدرُكَ من بعدِ ضيقٍ.. ثمَّ من بعدِ ذلك ســترى ما لن يكون لكَ أن تراهُ من قبل: إنكَ لتنظرُ إلى الكون كلِّه بعينِ النقصِ، وترى معنى الوجودِ بأمِّ العين.

الآن، وأنتَ توشكُ على مفارقة أرض الزئبق، ماذا لو تزاورنا في عالم الخيالِ ما سمَّاه العارفُ الواصلُ أرضَ الحقيقةِ الهائئةِ بإشراقاتِ المعنى: ســيقول لك القدسيُّ: أنت معنى الكون، معناكَ أقوى من الأرضِ والســماء. تبصر بلا طَرْفٍ وتســمعُ بلا سمعٍ. هنالك لا تسكنُ الديــارَ ولا تأكلُ الثمارَ. معناكَ هنالكَ لا تحيطُ به الألبابُ ولا تتعلَّق به الأســبابْ. وقال: لا يعــرفُ معنايَ الحــرفُ، ولا أُعرفُ بالحرفِ، ولا تعرفُ نفســك بالحرفْ. فإنَّ الحرفَ حجابٌ، وإنَّ الحجابَ حرفٌ. وقال: قف لي، أنت جسري إليك.

سرديَّة المعنى
بين تأويليَّة الاِمتداد، وقصديَّة الاِرتداد

د. راغدة قربان

ليس من غايتي في هذا المقال أنْ أقومَ بتصويبِ المعنى، أو تغييرِه، أو تجميلِه، إنَّما سأحاولُ قدْرَ المُستطاعِ أنْ أكشِفَ عن سِرّ تشكُّلِه على تلكَ الصُّورةِ التي هو عليها. إنَّ «أرضَ الزّئبقِ» تُعَدُّ قضيَّةً أساسيَّةً لإظهارِ الفَهم، وإنتاجِ المعنى، وقصديَّةِ المدلول، وانسجام التَّأويل.

إنَّ الذين يرسُمون الطرقات، لا تُحبُّهم الحياة؛ لأنَّ الطرقاتِ المرسومةَ، تكونُ عاقرًا في كثيرٍ منَ الأحيان. ونعيم تلحوق لا يرسُمُ الطرقاتِ في «أرض الزّئبق»، بل يرحلُ منها نحو الشَّمسِ، إكسيرَ حياةٍ وخلود. ويرى بأنَّ لدينا إخوةً وأخواتٍ بالرُّوح، وهم موجودون بيننا، قد نعرفُهُم، ونراهم كلَّ يوم، ولا نراهُم حقًّا، ونَسمعُهم يتكلَّمون، ولا نسمعُ أرواحَهم على الرُّغم من أنَّ الرُّوحَ هي التي تتكلَّمُ، ونبحثُ عنهم لنجدَهم، لأنَّنا لا نستطيعُ العيشَ إلَّا مع أقرانٍ لنا بالرُّوح، لكنَّنا لا نهتدي إليهم، فيما هم بيننا. تُرى، هل نعرفُ أنفسَنا؟ وكيف الذي لا يعرفُ نفسَه، سيعرفُ صِنوَها؟

نحن لا نعرفُ أنفسَنا من خلال الآخَر، بل نعرف الآخَر من خلال أنفسِنا، والطَّريقُ إلى الآخَر يمرُّ بنا. ولسرديَّة المعنى تأويلٌ روحيٌّ، يفيءُ نعيم تلحوق إليه في هدأةِ المكان، والوحدةِ المُطلَقةِ، إذ تخلُطُها السَّكينةُ بصمتِ الخالق. لسرديَّة المعنى تشكُّلاتٌ قرائيَّة كثيرةٌ تغوصُ في مساراتٍ تُحاذي ظلالَ النَّصّ المسرود، وتستدعي أشباهَ النَّظائر، وتتمازجُ وقْعيَّاتُ المعنى مع انكشافِه الشَّفيف، وتستحضرُ شخصيَّاتٍ عصيَّةٍ على النسيان، وتغورُ في جوفِ الرُّوحِ العطشى التي تكشُفُ عن مَجلى النور. إنَّ تشظياتِ الروحِ في سردية المعنى، تَشُقُّ نورَها في العالَم كالسَّاقية في الصَّخر.

وإذا كانَــتْ سرديَّة المعنى حركةً للدَّوائر النَّصيَّة الصُّغرى المنطلِقة من الأفعال والأســماء، والأحــرف، والتَّراكيب النَّحْويَّة، والأبعــاد الدَّلاليَّة للذّهن، فإنَّها عَبْر «شَــغَفِ اللغة»، تحاولُ استيعابَ ما اختفى، حتَّى إنَّ انتظامَ المستوى المعرفيّ الاستبطانيّ في تشظيَّاتِ الرُّوح، يُبدي حَيرَتَه في «أرض الزّئبق»، لِتتدافعَ المسافاتُ، وتختلطَ الآفاقُ الرّحابُ بين تأويلاتٍ، وتغمُضَ وتتضَّحَ، لتظَلَّ رؤيةُ نعيم تلحوق مفتوحةً على عالَمٍ حَدْسيّ، يقومُ على مُناشداتٍ روحيَّة، وإنْ شِئتَ فقُلْ: صوفيَّةً تتمظهَرُ في الأحوال، والمقامات، والمواقف.

أمَّا إذا أردْنا العودةَ إلى اكتشافِ وجوهِ المعنى، فإنَّنا نَرُدُّ العودةَ إلى ذاكرةِ التَّأويلِ التي تتراوحُ بينَ قصديَّةِ المعنى، وقصديَّــةِ النَّصّ الغائب، علْمًا بأنَّ خطابَ «أرض الزّئبق» لا ينفتحُ إلَّا إذا قُرِئَ من الدَّاخل؛ لأنَّ نعيم تلحوق أرسى لُغَةً جديدةً، تَنفَذُ إلى دواخل التَّجربة، وتَسبُرُ أغوارَها الدَّفينة، وتغورُ مجاهيلُ روحِه مع المجهول وفيه، لتصيرَ المناشــداتُ الرُّوحيَّةُ أشدَّ احتراقًا، وليكونَ الغامضُ أكثرَ ارتقاءً، خصوصًا في «انحناء المعنى».

إنَّ «نعيم تلحوق» لا يُعلنُ عن «أناه» البشريَّة، بل يَعملُ على اختراقها عَبْرَ الزَّمن، ويحوِّلُها في كلّ عودةٍ محطَّةً جديدةً، للقَبض على خيوط الخلاص. ويبقى «جســدُ» المعنى زاويةً من زوايا روحه، حيث يُحاورُ روحَه من خلال الذَّاكرة والصُّورة والمعنى. أمَّا معنى المعنى فقد خَفُتَ في فضاءِ الأحــلام، وهدأَ خلْفَ ظنون «مَنار». لذلك، يكشِــفُ نعيم تلحوق عن المعنى من خلال التَّجليَّات الخاصَّة به، وهي في بُعدِها العميق تنهضُ على الظَّواهرِ الدَّلاليَّةِ للصُّورةِ الذّهنيَّة، وليس للموجوداتِ الخارجيَّة. وبالتالي، يكونُ تقديرُ أمكنةِ المعنى صوَرًا ذهنيَّة للتَّمثُّلات الدَّاخليَّة.

إنَّ سرديَّــة المعنى عند نعيم تلحوق تبدأ من الذَّاكرة، وتمــرُّ في رحلة نحو المَجرَّة، وتبحثُ في معادلة الخوف، وتُبيِّنُ خوفَ الأب عليه من السُّــقوط في الفراغ، وتحاولُ فهمَ إنســانيَّةِ الإنســان، وتُجاهِدُ في معرفةِ شــجرة المعنى، وتنتظرُ انحناءةَ المعنى المُتساوق مع أحلامه، وتتعلَّمُ نفسُه أن تحملَ يقينَها وتبحثَ عنه بلا قناع. أمَّا بياضُ المعنى فإنَّه يتحدَّدُ من خلال

عنـــاصرَ داخليَّة، وأُخرى خارجيَّة. تتحدَّدُ العناصرُ الدَّاخليَّـــة في البنى التَّركيبيَّة واللُّغويَّة والمعجميَّة، فيما ترتبطُ العناصرُ الخارجيَّة بالنَّصّ وظروف كتابتِه.

وتبقى سرديَّةُ المعنى مَطلبًا مُلِحًّا بالنّسبة إلى المناشداتِ الرُّوحيَّة، التي يجتازُها نعيم تلحوق عَبْرَ روحِه التَّوَّاقة إلى كلّ ما هو متصوَّر، أو متخيَّل. إذًا، هناك حريَّةٌ في تأويلِ أرض الزّئبق، ولكنَّ الحرّيَّةَ التأويليَّةَ ليستْ نابعةً من مُنطلقاتٍ افتراضيَّة صِرفة، بل هناك خطاباتٌ ثقافيَّةٌ متنوّعة، تقومُ على جملةٍ من أفعالٍ قرائيَّةٍ تتســـاندُ فيها إشاراتٌ سياقيَّة، وتتفاعلُ مع حركيَّةِ المعنى، ومســـتوياتِ الطَّرح التَّسانُدي للأشكال. إنَّ لغةَ نعيم تلحوق في سرديَّة المعنى هي وسيلةٌ لتفكيكِ العلاقاتِ العتيقةِ بينَ الألفاظ، واستبدالِها بعلاقاتٍ جديدة، تُعبِّرُ فيما تُعبّرُ عن خاصيَّةٍ أساســيَّة، وتعملُ على تحيين مُضمراتِ اللغة، بينَ التِّشكيلِ النَّحْويّ، والحقيقةِ الإجتماعيَّةِ، والواقعِ الثَّقافيّ الكثيف. هذه اللغة، تُحدِثُ تغييرًا في أشـــكالِها التي تتراوحُ بين بنية المعنى، وسيميائيَّة الدَّوال.

أمَّا المعنى فهو مُحصَّلُ العمليَّاتِ النَّصيَّةِ والسّـــياقيَّةِ المتســـاندة، وهو ليس تجسيدًا لحالةٍ، أو موقفٍ فحسْـــبُ، بل إجلاءً للخفيّ، وكَشفًا عن المســـتور، ورؤيةً عن ثنائيَّةٍ متداخلةٍ بين الطاقةِ والعبور، أو بين المُنفعِلِ والفاعل. هذا الإجلاءُ الخفيُّ يتمشـــهَدُ بانفعالاتٍ تتواشحُ مع «نافذةِ الروحِ الموصولةِ بوحشتِها»، وتتشهَّى الوقوفَ على ناصية الكون، وتتشامخُ على حافَّة الشَّمس، وتنعتقُ من جراح الأرض، وتشـــقُّ عُبابَ الصَّمتِ بكلماتٍ لَمْ تجدْ طريقَها إلى شفاه الينابيع.

نعَمْ، هذا هو نعيم تلحوق في أرض زئبقِه، يناجي صفاءَ روح الآخَر، ويسترقُ السَّمْعَ على صفات الإنســـانيَّة، ويتآخى مع عبقِ الفصول خلف حُجُب الضباب، وســـكينة الألوان، ويوقِظُ أناشـــيدَ الصباح، وألحان «أورفيـــوس، فوق ذُرى الفجر، ويَســـمعُ أودية الرُّقاد العميقة، وُيسافرُ مع البحار، ليذوبَ فيها كقطرةِ زبَدٍ في بحرٍ سيظلُّ النهرُ مشتاقًا لينبوعِه، كقطرة ندى لا تعرفُ أنْ تفتحَ جفنَيها إلَّا بسمةً على ثغرِ الفجر، وقُبلةً على وجناتِ الورد.

لذلك، وَجَبَ التَّمييــزُ في سرديَّة المعنى بين تجلّياتٍ كثيرة، ومنهــا: تحريرُ المعنى، وتقريرُ المعنى، وتبريرُ المعنى، وتنويرُ المعنى، وتطويرُ المعنى، وتحويرُ المعنى، وتثويرُ المعنى، وجسدُ المعنى، وسكونُ المعنى.

ولا نَغلــو إذا ذهبْنا إلى القول بأنَّ «أرضَ الزّئبق» اقتربتْ من ماورائيَّاتِ الكون والشّــعر والإنســان. وقد ألقى نعيم تلحوق بإيحاءات سحريَّة متحرّكة، يكشُف من خلالِها عن الأبعادِ التي يمكن أنْ يكونَها الإنســانُ، من دون حــذفِ «الأنا» المتعدّدة الصّفات الفعَّالة والفاعلــة، والمتفاعلة. إنَّ نعيم تلحوق في كتابه: «سرديَّة المعنى أرض الزّئبق»، يستنســغُ اللامرئيَّات من أنزفَةِ رؤاه، ويُجرِّدُ خِصْبَ الحدْس، ويؤرِّقُ وهجَ النُّور، وينفتحُ معها ضمنَ حالة شعوريَّة تعبيريَّة، تتدفَّقُ بكوامنِها، وجوارحِها وانزياحاتِها، وتعكسُ ملامحَ «الرّحلة نحو المجرَّة»، عَبْرَ الطيورِ، والأزهار، والغيوم، والأمواج. هكذا، يســتدركُ تلحوق هذه الرحلةَ تعبيرًا ذهنيًّا لإنقاذِ الذاتِ المسافرةِ عَبْرَ الولاداتِ والدوائرِ والألعابِ الكونيَّة.

إذًا، يحاولُ نعيم تلحوق أنْ يُظهِرَ قضيَّةَ المعنى لارتباطه بالتَّأويل بشكل أساسيّ، خصوصًا من حيثُ إمكانيَّات تشــكُّلِه التأليفيّ، والوســائطِ المعتمَدَةِ من خلالِ النَّسيج النَّصيّ عَبْرَ آليَّاتِه الدَّلاليَّةِ المتحوّلة من وجودٍ بالقوَّة إلى وجودٍ بالفعل.

اخيرًا، إنَّ سرديَّة المعنى تتراوح بين تأويليَّة الإمتداد، وقصديَّة الإرتداد، وتتطلَّبُ وســيلةً تواصليَّةً لإجلاءِ «سرديَّة المعنى» الخاضعة لعمليَّات ذهنيَّة، تقومُ في أبرز تجلّياتِها على انتقاء الدَّلالاتِ الروُّحيَّة نحو آفاقٍ أرحبَ.

كلمة الأستاذ نعيم تلحوق

التقى العالم الشـــهير أينشتاين صاحب النظرية النسبية بفيلسوف الهند وشاعرها طاغور في ألمانيا العام 1930، جرى بينهما حديث معمق خلاصته الآتي:

آينشتاين: الواقع نسبي والحقيقة مطلقة.

ردّ طاغور: بل كلاهما نسبي، لأنك إذا أنكرت الواقع ستنكر الحقيقة، والعكس صحيح... فالكـــون بأكمله بداخلي، وأنا بداخل الكـــون، ولا يوجد جمال إلاّ بوجود معجب به، ولا توجد حقيقة إلاّ بوجود مصدّق لها.

انبهر أينشـــتاين من هذا الـــكلام العبقري لطاغور وقال له: قبـــل لحظات، كانت نظريتي ناقصة، وأنتَ الآن أكملتها بإثباتك أنّ الحقيقة نسبية...

تحت هذا السقف، تعمل الحقيقة وكذلك الجمال... الحقيقة بحاجة إلى عين ثالثة لنصدقها، والجمال بحاجة إلى كمال لننبهر، ويبقى الســـؤال لماذا علينـــا أن نصدق ولماذا علينا أن نُفتن وننبهر؟ الجواب لأننا بحاجة إلى ذلك...

إذا كانت أهمية النظرية أن تتحول إلى مفارقة لتولد، ومنها يبدأ الكون، هل يكفي الاســـم وحده لتولد الحقيقة... وهل يكفي الجمال وحده ليولد الشعر... أشكُّ في ذلك كثيراً، لكنّ القليل الذي أرضاه هو أنني بحاجة ماسة لذلك...

أنا بحاجة إلى سركيس أبو زيد لأزيل التباسي وغموضي، وبحاجة إلى ميشلين مبارك لأدلّل ضعفي، وبحاجة لحبيب يونس لأفكّ عقدتي، ولمحمود حيدر لأقيس نهمي وشـــكوكي،

ولراغدة قربان لأنقض نظرية آينشـــتاين النســـبية خلقاً وخُلقاً... ولمرودك الشامي لأبددّ مخـــاوفي بأننا أجزاء منهوبة في العراء، بل نحن جزءٌ مـــن كلّ والكل واحد... وبحاجة إلى حســـن حماده كي أؤكد اعتقادي بـــأنّ العالم نورٌ لطيف لا كثافة فيه وأنه أقوى من ســـاعة الظلام... أنا بحاجة لكم أنتم كي أصدق وجودي... أنتم الحقيقة والجمال معاً...

الحقيقة والجمال آفتا المعنى، وقد كنتُ لا أعرف من أنا ولماذا السردية، إلاّ لأنّ جميعكم فعل ذلك، فشـــكراً لكم جميعاً متوجة براعي اللقاء وزير الثقافة القاضي محمد وســـام المرتضى وممثله خير تمثيل المحامي زياد بيضون... وإلى الأصدقاء الأنقياء... والشـــكر للإعلاميين الطيبين الذي ينقلون بالمباشر وأخصّ الصديق الكاتب والمخرج يوســـف رقّة الذي سعى مع الأستاذ سركيس أبو زيد لإقامة هذه الندوة.